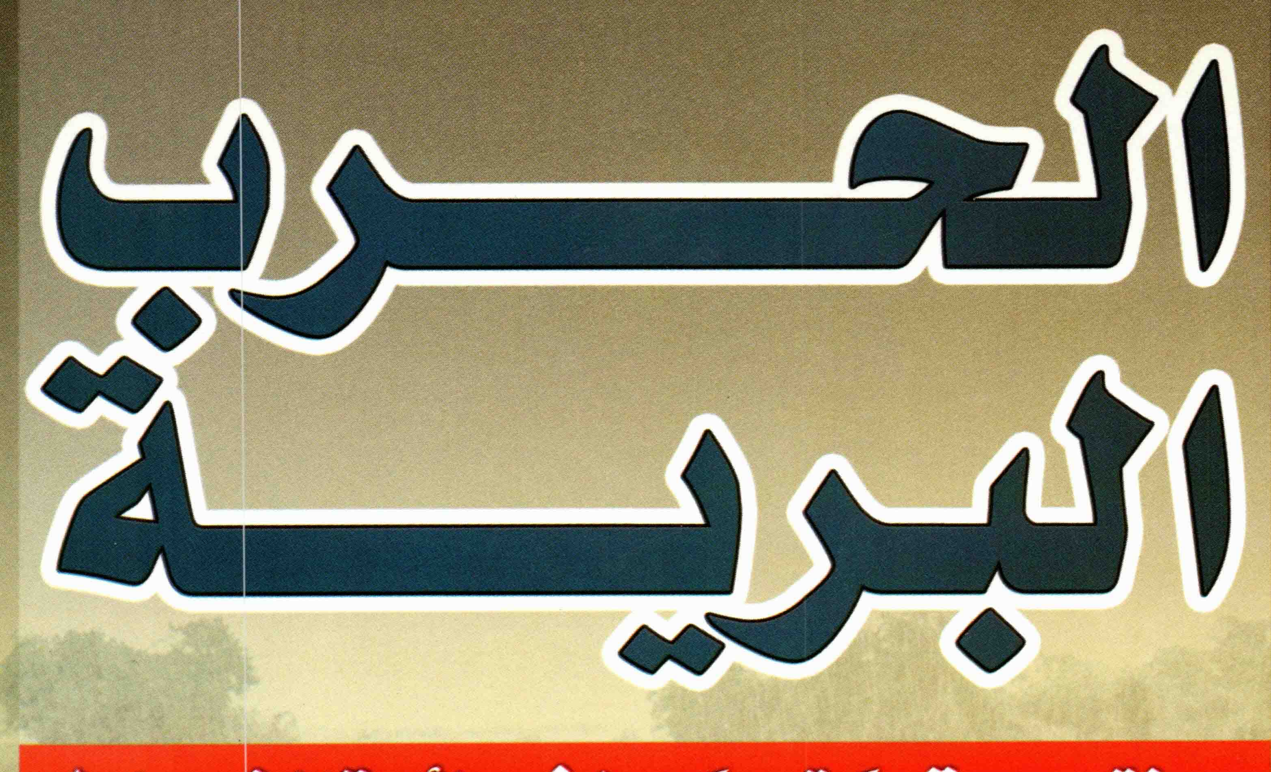


الحرب البرية

مختصر تكتيكي لفائدة الضباط
واختبار للمبادئ التي يقوم عليها فن الحرب

علي الشافعي

مكتبة النافذة

الحرب البرية

مختصر تكتيكي لفائدة الضباط واختبار للمبادئ التي يقوم عليها فن الحرب، مع شرحها بأمثلة مقتبسة من التاريخ الحربي من معركة ثرموبيل سنة ٤٨٠ ق. م حتى موقعة السامبر أول نوفمبر سنة ١٩١٨

الحرب البرية

مختصر تكتيكي لفائدة الضباط واختبار للمبادئ التي يقوم عليها فن الحرب، مع شرحها بأمثلة مقتبسة من التاريخ الحربي من معركة ثرموبيل سنة ٤٨٠ ق. م حتى موقعة السامبر أول نوفمبر سنة ١٩١٨

علي الشافعي

مكتبة النافذة

الحرب البرية

علي الشافعي

الطبعة الأولى ٢٠١٤

رقم الإيداع : ٢٠١٣/١٤٨٨٣

الترقيم الدولى : 3 - 86 - 5778 - 977 - 978

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة

الناشر

مكتبة النافذة

1 شارع المستشار حسن دياب برج مكة 3

المنشية -ميدان الساعة

-الطالبية -فيصل -الجيزة

تليفون :37241803 -فاكس 37241565

محمول :01223595973 -01007265885

Email:alnafezah @hotmail.com

الإهداء

إلى الضباط المصريين الذين اختاروا أسمى المهن شرفًا، في أقدم الأمم عظمة ومجدًا..

علي الشافعي

٧ نوفمبر سنة ١٩٣٥



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد وضعت محاضرات هذا الكتاب على نصوص متون الكتب الرسمية التي أصدرتها هيئة أركان الحرب الملوكية، وعلى ما أقرته السلطات المختصة بفن الحرب من الكتب.

والغرض الذي يرمي إليه هذا الكتاب هو بحث المبادئ التي يقوم عليها فن الحرب، مع الإتيان بأمثلة لها من التاريخ الحربي، للنصر الذي رافق الإلمام بالمبادئ الواردة في متون الكتب وتطبيقها تطبيقًا يشف عن ذكاء ونباهة، وللكوارث التي لازمت الجهل بما حوته هذه الكتب من الثقافة أو إهمالها.

«فالهيكل العظمي» للنشرات الرسمية مكسوٌّ بمواد قد يكملها تلميذ التاريخ الحربي من عنده متى أراد، ولذا فالمأمول أن يكون هذا الكتاب مما يعاون الضباط، إما فيما يمارسونه من أدوار التعليم، وإما بصفته أساسًا ملائمًا يقوم عليه ما تلقوه من الغير من التعليم.

وبقراءة رءوس المواد يستدل على ما يتناوله هذا الكتاب من أبحاث، فيرى أن المبادئ الأساسية لفن الحرب داخلة ضمن الطريقة التي اتخذت للمبحث، بينما انتفع بتنقيح الكتب الرسمية وإدماج الدروس المستفادة من تجارب القادة في الحرب العظمى في صلب موضوعاته.

وقد أوردنا أكثر من ٢٣٠ حادثة مقتبسة من «حوادث المعارك»، وسيرى القارئ أن المؤلف لم يألُ جهدًا في مراعاة دقة الضبط عند ذكر المراجع التي أشير إليها، وفي اجتناب أي غموض عند ذكر المبادئ المذكورة فيه.

فن الحرب

«فن الحرب ككل فن آخر؛ له نظرياته ومبادئه، وبدونها لا يكون فنًّا»

«المارشال فوش Foch»

فن الحرب كأي فن آخر مبني على مبادئ معينة ثابتة، وليس لها طريق مختصر يسلكه الطالب ليصل إلى غايته بسرعة، فالدراسة الطويلة الشاقة هي الطريق الوحيد الأمين لها، وفي ذلك الطريق كثير من مهاوي الزلل يجب تجنبها والتفادي من الوقوع فيها.

أولى تلك المهاوي حَفَرَها أولئك الذين يؤيدون فكرة: إنه عند ظهور حرب جديدة لا يؤبه للمعلومات السابقة عن الحرب، بل يجب إلقاؤها في سلة المهملات، ويُلتفت فقط إلى ما تقتضيه الظروف الحالية، ومهْواة أخرى هي الشَّرَك الخادع القائل: إن الحرب ما هي إلا سلامة ذوق وإدراك فقط، وثالثة المهاوي هي الفكرة الشائعة أن المعرفة تطلب من القائد، وطاعة الأوامر كافية للضباط الصغار.

ضرورة الإلمام بالمبادئ:

ففيما يختص بأولى هذه الصعوبات يجب الرجوع إلى آراء الثقات من القواد في فن الحرب، قال الجنرال تيلر "Taylor":

«المبادئ الأصلية التي يقوم عليها فن الحرب قليلة ولا تتغير، وهي في ذلك تشبه الكود أي الأصول المصطلح عليها في الآداب، ولكن تطبيقها يختلف باختلاف مسارح الحرب وطبيعة أرضها ومدارك وأمزجة المشتركين فيها، ونوع الأسلحة المستعملة بها».

وقال المارشال فوش: «ولو أن الاختراعات الحديثة المتعددة الأنواع قد أعطت الحرب مجالًا أوسع ومواد جديدة، إلا أنها ما زالت خاضعة لنفس القوانين والأصول التي

كانت تتقيد بها في الماضي، إلا أنها تطبق هذه القوانين بوسائل أكثر عددًا وأشد قوة وأكثر دقة من تلك».

وقال المارشال هايج «Haig»:

«لم تعطنا هذه الحرب مبادئ حربية جديدة، بل أعطتنا آلات وعددًا ميكانيكية تختلف عن سابقتها – وخصوصًا تقدم الطيارات السريع وكثرتها، واستخدام عدد جسيم من المدافع الرشاشة (الماكينة)، ومدافع اللويس، واستخدام مقادير عظيمة من الأسلاك الشائكة كموانع دفاعية مثمرة، والتوسع المهول الذي طرأ على المدفعية، وإيجاد كميات عظيمة من وسائل النقل الميكانيكية، كل هذه قد أوجدت مسائل جديدة كثيرة التعقيد والارتباك، فيما يختص بتعاون الأسلحة وأفرع الخدمة المختلفة بها، فاضطر الحال إلى بذل الكثير من التفكير في كيفية إشراك هذه المخترعات الجديدة مع الآلات السابق استعمالها بأحسن حالة ممكنة».

وقوانين الحرب وأصوله ليست في ذاتها عَسِرَة الفهم، إلا أن تطبيقها تطبيقًا يؤدي إلى النجاح في ميدان المعركة يتطلب دراستها دراسة اعتناء وتبصّر في كل وجهاتها.

ذكر الجنرال السير، أ. ب. هاملي «Sir E.B.Hamely»:

«ولا يستطاع تدريب العقل على ذلك (قوانين الحرب) إلا بدراسة الحملات الحربية دراسة عميقة، وحل مسائل بعينها على الخرائط وعلى الأرض».

ذكر المارشال فرنش «French» :

«لقد علّمتني تجارب الحياة العسكرية الطويلة والتي قضيتها في الدراسة والتفكير أن مبادئ استخدام الجنود تكتيكيًّا في الحرب لا بد أن تكون غريزية، وإني لأعرف أن وضع علم الحرب موضع التنفيذ يستلزم أن تكون أصوله ومبادئه (عقائده) مختلطة بدم الإنسان ولحمه «على حد التعبير». ففي الحرب لا يوجد في الوقت متسع للتفكير، بل إن العمل الصائب يجب أن يأتي بسرعة البرق – أي أن يلوح أمام الفكر كأنه أمر واضح تمام الوضوح».

وهذه الفكرة ذاتها قد أبداها قائد القادة (القائد الأعلى) لأعظم قوة فازت بالنصر وكان يسيطر عليها عقل واحد.

قال المارشال فوش:

«إن المواقف الرهيبة، بوجه العموم، تدخل شيئًا من الالتباس والغموض حتى على الذكاء المتوقد، وبناء على ذلك يتحتم على المرء قبل أن يبدأ بممارسة الحرب، حتى وقبل أن يدرك ماهيتها أن يثقف عقله ثقافة تامة، والدراسة بميدان المعركة مستحيلة؛ لأن كل ما يستطيع الإنسان عمله في الميدان إنما هو تطبيق ما يعرفه، ولكي يعمل الإنسان الشيء القليل يجب عليه أن يلم بالكثير، وأن يكون إلمامه إلمامًا تامًّا، والحل الصحيح يملي نفسه، أي أن تطبيق المبادئ يأتي على حسب الظروف والأحوال، أما العجز (عدم الأهلية) والجهل فلا تستطاع تسميتهما ظروفًا مخففة؛ لأن العلم في متناول كل مجتهد مُجِدّ».

وأيضًا قول نابليون المأثور بصيغته الحرفية هو:

«إن الطريق الوحيد لتعلّم فن الحرب هي قراءة الحملات الحربية التي قام بها كبار القادة وإعادة قراءتها».

سفسطة «سلامة الذوق» (القياس الباطل):

إن القياس الباطل القائل بأن الحرب «إن هي إلا مسألة سلامة الذوق (أو الإدراك العادي)» قد هتكه الكولونيل هندرسن «G.F.R. Henderson»، وكشف ستره في مقارنته بين إدارة الحرب الأهلية الأمريكية سنة ١٨٦١ – ١٨٦٥ حينما كان يسيطر عليها الرئيس «لنكولن» ووزارته في واشنطن، وبينما حينما عهد بإدارتها من غير تحفظ إلى جندي محترف مهنته الجندية موجود بالميدان (هو الجنرال جرانت)، فقليل هم الناس الذين يفوقون «أبراهام لنكولن» في «سلامة الذوق»، ومع ذلك فهو قد أباح التدخل في خطط قوّاده تدخلا قد أدى في كثير من الأحيان إلى إخفاق تلك الخطط، ولولا أن جفرسون ديفز «Jefferson Davis» كان يقيم مثل تلك العراقيل أمام قادة الجنوب، لأتت «سلامة الذوق» البادية الذكر والمقرونة بحسن القصد، بكوارث أفظع، قال هندرسون في كتابه المسمى «ستونوول جاكسون» «S. Jackson»:

«إن الرجال الذين نظرًا لشعورهم بالعجز كان من المحتمل أن يتهيبوا من تولي قيادة جماعة من المشاة أثناء القتال، قد حاولوا، دون أي تردد أن يتولوا إدارة جيش جسيم».

ففي يونيه سنة ١٨٦٣ كانت جيوش الجنوب منتشرة في الوادي بين ستراسبورج «Strassburg» وفريدركسبرج «Fredericksburg» (في اسبو تسيلفانيا «Spottsylvania»). فالتمس الجنرال هوكر «Hooker» الذي كان يقود جيش البوتوماك في الميدان، إذنًا بمهاجمة فيلق «لي» «Lee» بهجمات متفرقة، أي مهاجمة الفيلق قسمًا قسمًا، كل قسم على حِدَته، وكان نجاح هذه الحركات محققًا، ولكن طلبه لم يقبل لأن الفكرة الوحيدة التي لا ثانية لها التي كانت تخالج حكومة الشمال كانت إبقاء جيش البوتوماك حائلًا بين «لي» وعاصمة حكومة الاتحاد الشمالي.

سفسطة «الرتب العالية»:

وهذا الكاتب نفسه قد احتج بشدة على فكرة قصر ممارسة الاستراتيجية في الميدان على الرتب العالية.

فقد قال في مؤلّفه المسمى «علم الحرب» ما يأتي:

«كل ضابط تعهد إليه قيادة قسم منفصل، أو قول طيار، وكل ضابط يكلف في أي وقت بعمل مستقل، وكل ضابط يرأس طوفًا، تواجهه دائمًا اعتبارات استراتيجية، فنجاحه أو فشله حتى إذا كانت قوته ضئيلة، يتوقف على إلمامه بمبادئ الاستراتيجية». ويبين الجنرال السير أ. د. هملي في كتابه «تفسير العمليات الحربية» أن القائد الذي لا يستطيع أن يرى بعين بصيرته إلى ما وراء موقفه المحلي ليس أهلًا لأن يتولى قيادة قسم منفصل مهما كان صغيرًا.

وفضلًا عن ذلك يجب ألا يغيب عن البال أن معرفة فن الحرب معرفة سامية والدراية التامة بالواجب وواسع التجربة، قلّما تفشل في استجلاب الخضوع والاحترام، فالجنود تقاتل قتالًا ظاهر الثمرة متى شعروا بأن قائدهم «يدرك مهمته»؛ إذ بكل جيش تنتقد الجنود قادتهم، فالأعمال الباهرة التي قامت بها قوات جاكسون في وادي الشنندوه «Shanandoah» في حملة سنة ١٨٦٣ كادت تكون فوق طاقة البشر، على أن المهام التي كانت تظهر كأنها مستحيلة التنفيذ كانت تحت قيادة جاكسون تباشر وتنفذ، وقد قال الجنرال «ايويل» أحد قواد جاكسون أنه كان يرتجف كلما اقترب منه رسول من قبل ستونوول: «فكنت أتوقع منه دائمًا أن يأمرني باقتحام القطب الشمالي!! على أنه لو أمر بذلك لقمنا بتنفيذه!».

ضرورة الدراسة:

لم يزعم كاتب من الكتاب به مسكة من العقل أن الدراسة وحدها تكفي لتكوين ضابط ذي كفاءة؛ لأنه من المُسَلَّم به لدى الجميع أن التعليم النظري مهما كان مقداره لا يمكن أن تحصل به المعرفة المكتسبة من الاجتماع بالجنود مباشرة ومرافقتها بالذات وهي بالميدان، لا.. ولا يدعي أحد أن الدراسة تجعل الغبي ذكيًّا، أو أنها تهب صدق العزيمة وسرعة البت لإنسان يتصف بالجبن والتردد بطبيعته، وجاء من كتاب «علم الحرب»:

«ولكن من يتصف بالسرعة والحزم، والإقدام وسرعة العمل بحكم طبيعته، يكون أكثر قابلية للبت والعمل على الوجه الصحيح بنسبة دراسته للفن الذي تطلب منه ممارسته».

فكلمة "نظريات" في تطبيقها على مهنة الجندية هي كلمة بغيضة الوقع لدى بعضهم بدرجة متناهية، على أنها ليست بغيضة إلا عند الذين لا يستمعون النصيحة أو يتعظون بالعبرة بما مارسه نابليون، وولنجتون، وفوش، وكثيرون من أشهر قادة التاريخ.

وجاء في كتاب «علم الحرب»: «إن الرجل الذي يتشبع تمامًا بروح حروب نابليون يكاد لا يغفل في كل الظروف والأحوال أن يجعل مواصلات عدوه أول غرض له.

وإذا كانت طرائق ولنجتون التكتيكية قد أصبحت طبيعة ثانية عنده، يكون من المستغرب حقًّا أن يستدرج للقيام بهجوم جبهي (أمامي) محض، ويتقيد القتال سواء الذي تشتبك فيه قوة كبيرة أو قوة صغيرة بمبادئ تكتيكية واحدة، وأن الذي يوجد قائدًا قديرًا للبلاتون أو للفيلق إنما هو إدراك المبادئ إدراكًا تامًّا مقرونًا بالشجاعة ورباطة الجأش».

الاستراتيجية والتكتيك

تعريف:

كثيرًا ما عالج الكُتّاب غير العسكريين الاستراتيجية والتكتيك كما لو كانا فرعين من مهنة الجندية يستقل أحدهما عن الآخر، غير أنه في الحقيقة بينما يصح تعريف كل منهما منفصلًا، فإنه يُرى عمليًّا أنه لا يمكن مراعاة أحدهما دون الاقتران بالآخر. فمسرح العمليات مملكة الاستراتيجية، أما دائرة التكتيك فهي ميدان المعركة، ولكن عند الوصول إلى ميدان المعركة يصبح الأمر الذي تفوق أهميته كل أهمية أخرى في مسرح العمليات هو أنه لا توجد غاية تكتيكية تستحق السعي وراءها أفضل من توجيه الضربة بكل القوة الموجودة إلى قوة ميدان المعركة الخاصة بالعدو، فيشاهد من ذلك أنه هو الغاية التي ترمي إليها كل الاشتراكات الاستراتيجية.

وقد قال السير هملي «Gen Sir B. B. Hamely»:

«يتحتم على الاستراتيجية أن تسعى دائمًا أبدًا وراء الفوز التكتيكي، ويتحتم على التكتيك أن لا يغفل الموقف الاستراتيجي، وأن يرمي دائمًا إلى خلق فرص استراتيجية جديدة، فالتكتيك من غير الاستراتيجية يشبه رجلا من غير رجلين، والاستراتيجية من غير تكتيك تشبه رجلا من غير ذراعين».

وقال المارشال فوش:

«إن كل ما تتوخاه الحروب الحديثة من الوجهة العقلية هو البحث عن جيوش العدو والتعرف عليها – أي مركز قوة الخصم – للتغلب عليها وإبادتها، ثم اتخاذ الاتجاه والتكتيكات التي تؤدي إلى ذلك من أسرع وآمن طريق مع مراعاة هذه الغاية فقط، فلا تستطيع استراتيجية بعد الآن أن تتحكم فيما يكون من شأنه أن يرمي إلى ضمان النتائج التكتيكية، وهو النصر بالقتال».

فما يحرز من الانتصارات المحلية في «ميدان المعركة» كثيرًا ما يكون له من التأثير ما يشعر به في كل أنحاء مسرح العمليات، فإن زحف اللورد روبرتس « Lord

Roberts» على «بريتوريا» قد خفف الضغط على كمبرلي Kimberly غربًا، وعن وليد يسمث Ladysmith شرقًا، وهذان المركزان يبعد أحدهما عن الآخر بما ينوف على ٣٠٠ ميل، ومعركة «السوم الأولى» (أول يوليو سنة ١٩١٦) لم تخفف الضغط عن فردون Verdun فقط، بل إنها أوقفت قوات عظيمة من العدو في أماكنها، لولا ذلك لاستخدمت ضد الحلفاء في الشرق، والهجوم الفجائي الذي قام به الجنرال بنج Byngs في كمبراي Gambrai (٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٧) أعقبه هجوم مضاد قام به الألمان بعزيمة صادقة في ٣٠ نوفمبر ظهر منه أنه أضاع النتائج التي اكتسبت من ٢٠ نوفمبر إلى ٢٥ منه، وجاء في رسائل سيرد . هايج:

«ولكن توجد أدلة على أن الفرق الألمانية التي كان في النية إرسالها إلى الميدان الإيطالي قد تحولت إلى جبهة كمبراي Cambrai . وإنه لمن المحتمل أن يكون التمادي في حشد قوات ألمانية فوق ما حشد منها ضد إيطاليا قد أرجئ لمدة أسبوعين على الأقل، وذلك في أكثر الأوقات حرجًا بينما كان الحلفاء يصمدون لأول مرة على خط نهر البياف» .

وقد يجازف أحيانًا بهزيمة تكتيكية لخدمة غاية استراتيجية، ففي يوليو سنة ١٨٦٤ كان الجنرال هنتر Hunter يعمل بجيش من جيوش الشمال في وادي الشنندوه Shanandoa، ونظرًا لقلة المؤن لديه اضطر إلى التقهقر، فبهذا العمل كشف العاصمة القومية، وأرسل الجنرال أيرلي Early من قبل القائد العام لجيوش الجنوب للاستيلاء على واشنطون، فبادر الجنرال جرانت باتخاذ تدابير عاجلة لحماية العاصمة وأرسل جنودًا لذلك، ثم إن الجنرال تعضيدًا لهذه الغاية واجه فيلق أيرلي على نهر المنوكاس Monocacy على مسئوليته الخاصة في ٨ يوليو سنة ١٨٦٤، وقابل العدو ولكنه انهزم، غير أنه أخّر فيلق أيرلي Early إلى أن وصلت الجنود التي أرسلها جرانت Grant واتخذت مواقعها.

وجاء في مذكرات جرانت: «لو أن أيرلي Early جاء مبكرًا ولو بيوم واحد لكان من المحتمل أن يدخل العاصمة قبل وصول المدد الذي أرسلته، فالجنرال[1] ولس Wallace قد أتى في هذه الحادثة بهزيمة الجنود التي كانت تحت قيادته بفائدة لصالح قضيتنا، أعظم مما يتاح في أغلب الحالات لقائد قوة تتساوى مع قوته عددًا،

(١) مؤلف كتاب (بن هور).

أن يأتي به بواسطة النصر».

فالنجاح التكتيكي قد لا يكون عديم الفائدة فقط، بل لا يكون ملائمًا في غير أوانه إن لم يتسق مع الخطط التي رسمتها القيادة العليا.

ففي صباح يوم ١٨ يونيه سنة ١٨١٥ كان المارشال جروشي Grouchy يتعقب البروسيين الذين هزمهم نابليون في «ليني» في السادس عشر من الشهر، ومع أنه شدد عليه بأن «يسير متابعًا لصوت المدافع» (في ووترلو) فإنه استمر مندفعًا إلى جهة الشرق حيث وجد الفيلق البروسي الذي يرأسه تيلمان Thielman المؤلف من ١٦٠٠٠ جندي في معبر نهر الوايل في وافر، فابتدأت معركة وافر في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ١٨ يونيه، وانتهت في الساعة الحادية عشرة صباحًا من اليوم التالي بانتصار جروشي Grouchy، على أن انتصاره كان عقيمًا؛ لأن ما أحرزه تكتيكيًا جاء عديم الفائدة للقيادة العليا وعرّض قوته لخطر جسيم.

وبينما هو جالس يكتب رسالة للإمبراطور مفعمة بالافتخار والمباهاة أتته الأخبار بأن نابليون قد أصبح طريدًا، وأن الجيش الإمبراطوري قد لحقت به الهزيمة وتشتت شمله، فمناورات جروشي بما كانت عليه من الضعف والخطأ قد مكنت بلوخر Blucher من الاتصال بولنجتون Wellington ولشد ما كان فزع الإمبراطور عندما رأى أن البروسيين هم القادمون من الشرق على صوت المدافع حتى صاح قائلًا: «إنهم البروسيون».

«Gest le Prussiens qui Viennent!»

القوة المعنوية:

لقد شوهد أن الاستراتيجية يصح تعريفها بأنها فن حشد الجنود بالقوة المطلوبة في الوقت المطلوب وفي المحل المطلوب بقصد قهر جيوش العدو الرئيسية والتغلب عليها، بينما فن التكتيك يصح تعريفه بأنه فن ترتيب أوضاع الجنود المحشودة بالكيفية المارّ بيانها وإدارتها بقصد هزيمة العدو عند لقائه، ولو أنه يصح اعتبار الاستراتيجية فن استحضار العدو إلى المعركة، وأن التكتيك هو فن هزيمته بالقتال، إلا أن هناك اعتبارات كثيرة يتأثر بها القائد في الميدان فيمتثل إليها، فتخرج بهما عن هذين التعريفين.

ففن الحرب لا يتبدى باستكشاف استراتيجي من الجو أو من فوق ظهور الخيل

للتأكد عما إذا كان العدو يحشد جنوده، والتعرف على أماكنها ومقادير قواتها إذا كان يجري حشدها، نعم إن المعلومات المتحصلة بهذه الكيفية قد تؤدي إلى معرفة قوة العدو المادية، إلا أن في الحروب (كما قال نابليون) تكون نسبة القوة الأدبية إلى القوة المادية كنسبة ثلاثة إلى واحد، وجاء بعده بما ينوف على مائة سنة مَن أفصح عن هذا الرأي، أن قال لمارشال فوش:

«إذا أردت أن تفهم الحرب عليك بالبحث فيما وراء أدواتها وموادها، وعليك أن تدرس في كتب التاريخ الجيوش التي حلّلت تحليلًا نزيهًا، والجنود في الحركة وفي القتال، وتدرس ما يحتاجون إليه ومقدار شعورهم وإخلاصهم، وكل ما يتصفون به من المؤهلات، فذلك هو روح الموضوع، وهذا هو القول الفصل في دراسة فن الحرب دراسة معقولة».

وفي أثناء البحث في موضوع القوة الأدبية يجب ألا يغيب عن البال أن القوى الأدبية التي يتصف بها القوات المتحاربون الذين يقودون الأمم أو الجيوش لها من الأهمية، على أقل تقدير، ما لا يقل عن أهمية الأمم نفسها أو الجيوش، فإن الحرب عبارة عن نضال بين درجات الذكاء البشري أكثر منها نضالًا بين كتل الجنود، وقد جاء في كتاب (علم الحرب):

«لقد وجدت المعارك التي تخوض غمارها الجنود، ولكن لم توجد قط حملة حربية أدارها الجنود»، وقال نابليون: «ليست (اللجيونات) - أي الفرق الرومانية - هي التي فتحت بلاد الغول Gaul، بل إن الذي فتحها هو «سيزار»، وليس الجيش الفرنساوي هو الذي وصل إلى نهري الوايزر Weser والـ"آن" Inn، ولكن الذي وصل إليها هو تورين Turenne. وبناء على ذلك يتحتم على القائد أن يحسب حساب أخلاق خصمه، ومتانته الأدبية، ومقدرته، والوسائل الموجودة لديه، ويجب عليه أن ينفذ بعقله إلى مجلس خصمه الاستشاري، وبعد أن يضع نفسه في مركزه (خصمه) يصوّر لنفسه الكيفية التي يتبعها رجل هذه أخلاقه وهذه مقدرته فيما يقوم به من الأعمال في الظروف الراهنة.

ولقد أورد التاريخ كثيرًا من أمثلة النشاط العقلي الذي هو من هذا القبيل (١). فإن نابليون تنبأ بالحملة العنيفة التي حملها الجناح الأيسر الروسي على ميمنته

(١) ومثال ذلك في القصص العسكري انظر في الدرجة الثانية من قصة (المنحنى الأخضر).

في معركة أوسترلتز Australitz في ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥؛ لأنه كان يعرف مزاج القيصر إسكندر، ففي أوسترلتز التي هي أفخر معارك نابليون كان معه عدد ٧٠.٠٠٠ جندي قابل بها ٨٠.٠٠٠ من النمساويين والروس اصطفوا فوق مرتفعات برازن Pratzen. فكانت خطته اجتذاب ثقل الهجوم الروسي إلى ميمنته – التي كانت موزعة بكيفية تستدرج إليها القيصر لما كان يتصف به من العناد وثقته بنفسه لكي «يعطي نابليون درسًا في القيادة»، ثم بعد ذلك يهجم بقوة متفوقة على المرتفعات التي كانت تحتوي على قرية وتل هما مفتاح الموقع، وفي آخر الأمر يقذف باحتياطيه العام في هجمة مضادة فاصلة على الروسيين، بعد أن يتورطوا في المعركة مع جناحه الأيمن، ولما أظهر صوت البنادق ودوي المدافع أن ميمنته اشتبكت في القتال، دفع كلًا من مورات Murat وبرنادوت Bernadotte وصولت Sault إلى منتصف قلب الحلفاء، ولما استولى صولت على القرية والتل وأخذت فلول قلب العدو المنهزمة تنحدر وراء بعضها البعض على الجانب الآخر من تل براتزن إلى سفحه، دار قلب الفرنسيين دورة إلى اليمين وألقى بنفسه على جناح الروسيين ومؤخرتهم، بينما كانوا لا يزالون مشتبكين في هجمتهم الأصلية اشتباكًا شديدًا، وقد صادفت هذه العمليات نجاحًا تامًا، وخسرت جيوش العدو ما يزيد على ٤٠.٠٠٠.

وقد انتصر ولنجتون على صولت في ساورورن Saurorn في جبال البيرنيس Pyrenees في ٢٨ يوليه سنة ١٨١٣ باستغلال حادث صغير، وذلك أنه تقدم فوق جواده ليرى توزيع القوات الفرنسية وأوضاعها، فلما أخذت جنوده تهتف له على طول الخط التفت إلى حاشيته وقال: «إن صولت قائد شديد الحرص، فهو سيؤخر هجومه حتى يستدل على معنى هذا الهتاف، وذلك سيوفر وقتًا تصل فيه الفرقة السادسة وسأغلبه». ثم جاءت الحادثة طبق ما تنبأ به تمامًا، ثم إن كلًا من الجنرالين ر. ا. لي R.A.Lee ، و ت.ج جاكسون Jackson كثيرًا ما استغلا مزاج الرئيس لنكولن Lincoln العصبي وحرصه على سلامة واشنطن (العاصمة)، واستدرجاه إلى سحب الجنود التي كانت زاحفة على رتشموند Ricmond (عاصمة الجنوب) بأن هددًا بعبور نهر البوتوماك Potomac.

القوة الأدبية القومية:

وينبغي أيضًا مراعاة الحالة الأدبية للأمة وللجنود، قال المارشال فوش Foch: «النظرية العامية القائلة، إن الجيش لكي يفوز بالنصر لا بد له من التفوق على

عدوه في البنادق والمدافع، وأن تكون له قواعد أحسن من قواعد الخصم، ومواقع روعيت في انتخابها الحكمة أكثر مما لدى العدو، هي نظرية خاطئة من أساسها؛ لأنها لا تحسب حساب أهم وجه في المسألة وهو القسم الذي يبث فيها الروح ويعطيها الحياة – أي الإنسان – وما يتصف به من القوة الأدبية، والذكاء، والصفات الجسمانية».

النظام (الضبط والربط) وخفة الحركة:

النظام والبسالة، وما تتصف به الجنود من جلد، وكذلك القضية التي يناضلون عنها، كل هذه لها من الأهمية ما يتساوى، على أقل تقدير، مع أهمية التسليح والكثرة العددية، وقد جاء في كتاب علم الحرب ما يأتي:

«يندر أن تكون العناية الإلهية في صف الأورط الكبيرة إذا كان هناك نقص في نظامها وفي قيادتها.. والجنود الذين لا يستطيعون المشي لا يعتمد عليهم كجنود مساعدة»، وقال الجنرال السير أ.ب. هيملي Hamly:

«الجيش الذي لا يقوى على السير الطويل يكاد يكون من المؤكد أن يتفوق على خصمه في المناورات، والجنرال الذي يؤسس استراتيجيته على حساب الزمن ثم يختل هذا الحساب بسبب خور قوة جنوده على السير يعرض نفسه لخطر جسيم وهو حلول كارثة به، فمن الضروري والحالة هذه، دراسة مسألة المشي لا من قبل الجنرالات وأركان الحرب فقط، بل يجب أن يدرسها أيضًا ضباط الوحدات وأفراد الجند، وهؤلاء الضباط والأفراد هم الذين يقع عليهم عبء المشاق وبذل الجهود، وأفضل طريقة لضمان مثابرتهم على الجلَد وهم مسرورون فرحون، هي تعليمهم النتائج الكبرى التي يحصل عليها الجيش الذي يستطيع التحرك أسرع من خصمه وإلى مدى أبعد منه، والأخطار التي تحيق بالجيش الذي يسمح لنفسه أن يسبقه عدوه.. فإن الذي مكّن فردريك الأكبر Frederick G. من التحرك مثل نمر يدور حول ثور إنما هي سرعة الحركة لا غير، حتى يضع جيشه بالتعامد على جناح العدو، أما نظام جنوده فكان يمكنه من تطبيق مبدأ الاشتراك (التعاون)»، وقال الجنرال تيلر R. Taylor من جيش ولايات الجنوب الأمريكية:

«ليس هناك شيء يستعاض به عن النظام حين فَقْده، كما أن اليقظة المستديمة التي هي من ضرورات الحرب حتى ولو كان الخطر بعيدًا، لا تتأتى إلا بوجود

النظام الذي يجعل أداء الواجب المستمر عادة».

ففي معركة هيسنجر Hastings (١٤ أكتوبر سنة ١٠٦٦) كان انعدام النظام مع مخالفة الأوامر سببًا في تغيير طالع الأمة الإنجليزية، وأدى إلى حصول الفتح النورمالي، فإن هارولد Harold ملك الإنجليز كان قد هزم قوات هارولد هادرياد H. Hadraade ملك النرويج على جسر استامفورد Stamford بيور كشير Yorkshire (٢٥ سبتمبر سنة ١٠٦٦)، وبعد ذلك بأربعة أيام، نزل الدوق وليام Duke William النورماندي إلى البر في خليج بفنسي Pevncey Bay ومعه ٦٠.٠٠٠ فرسانًا ومشاة، وعندها أسرع هارولد إلى الجنوب ليقابله بجنود أنهكها القتال والسير، وبعد أن أقامت القوة الإنجليزية بلندن London ستة أيام تجمع المدد خندقت في تل ساوتلاش Soutlache وبقيت تنتظر الهجوم، أما النورمانيون فإنهم لم يتمكنوا من اختراق الموانع المصنوعة من الأشجار الملقاة على الأرض، ولكنهم فازوا بالنصر الذي غيّر كل تاريخ الجنس الإنجليزي بخدعة حربية هي التقهقر المصطنع، وعندها اندفعت الجنود المساعدة الغير النظامية التي كانت مع هارولد، مخالفين مخالفة تامة، للأوامر (التي أطاعها الجنود (النظامية) الموجودة في القلب) وخرجوا أفواجًا من الموانع متعقبين النورمانيين المولين الأدبار، والذين ارتدوا فجأة كارين عليهم، واخترقوا الخطوط الإنجليزية، مختلطين بهؤلاء الجنود المساعدة في فرارهم، فلو أن هؤلاء الجنود «الغير النظاميين» أظهروا من روح النظام ما أظهره النظاميون لما كان هناك فتح نورماني.

وقد أبدى الجنرال ت. ج. جاكسون ملاحظة بخصوص السير، جوابًا على التلميح إلى ما قام به من السير الشاق فقال: «إن فقد جندي واحد في المشي لهو أفضل من فقد خمسة في القتال»، وباتباعه هذا المبدأ كان يفاجئ عدوه دائمًا، وأشهر مفاجآته هي مفاجأة ملروي Milroy في ماك دول Mc Dewel، ومفاجأة بانكس Banks وفريمونت Fremont في الوادي، ومفاجأة ميمنة ماكليلان McClellan في جنزمل Gains Mill، ومفاجأة بوب Pop في معركة ماناساس Manassas الثانية، وآخر مفاجآته وأعظمها هي مفاجأته هوكر Hooker في تشانسلرزفيل Ghancellorsville.

الزمن:

كثيرًا ما يكون الزمن عاملا رئيسيًّا في الحروب، وتفوّق الجنود في خفة الحركة يكسب قائدهم ميزة استراتيجية كبرى، والجنود الاحتياطية ضئيلة القيمة، إن لم تستطع التجمع في النقطة المعينة وفي الوقت المحدد، ولذا فإن البواخر والسكك الحديدية والطيارات ووسائل النقل الميكانيكية تقوم بدور هام في الحروب، وكثيرًا ما تكون خفة حركات المشاة هي العامل الحاسم في المعركة، ولقد اكتسبت حملات حربية كان الفضل في كسبها يرجع إلى أرجل الجنود بقدر ما كان يرجع إلى أسلحتهم.

الحالة الجوية:

حالة الجو عامل هام في الحروب، وقد زاد تأثيره في الأيام الحديثة، فإن الغيوم والضباب تعيق إجراء الاستكشاف بالطيارات، وعدم وضوح المرئيات يتدخل في أعمال المدفعية، ثم إن ثقل حركة المرور الحديثة تتلف الطرق، وفي الساحات التي تنطلق عليها القنابل تصبح الحفر التي تحدثها مما يستحيل السير فوقه على أثر هطول الأمطار بضعة أيام، وذلك مما يجعل مسألة استيراد المؤن والمهمات والذخائر من المسائل الخطيرة.

فمثل هذه الحالات تضاعف مسائل الهجوم؛ لأن الأراضي التي يجري القتال فوقها تشتمل بصفة رئيسية على خنادق سريعة حفرت على عجل، وهذه تنقلب إلى مجاري تسيل فيها الأوحال، فتساعد الدفاع إذ تؤخر التعقب، في حين أن الأرض الواقعة وراء القوة المدافعة تكون أقل عرضة لأن تشققها نيران القنابل.

فإن رداءة الجو في سبتمبر سنة ١٩١٦ سببت تأخيرًا في زحف الحلفاء على سيلي – سيلزيل Sailly - Saillesel ولو – ترنسلوي Le Transloy اضطر معه إلى ترك الخطة في اللحظة التي كان فيها يلوح أن ما سبقها من النجاح قد جعلها (الخطة) في متناول القواد، ثم لما تقدم الفصل واستمرت حالة الجو رديئة، اضطر الحلفاء إلى إنقاص خططهم، وقد أتت جملة ما أحرز من النصر قبل ذلك بشيء من الأدلة على ما كان في الإمكان إحرازه لو أن الحالة الجوية مكّنت من تنفيذ الخطط طبقًا للتصميم الأصلي.

الصحة:

قال المارشال هايج Haig:

«إن الحالة الصحية والقوة المعنوية السائدتين بين جنود قوتين متضادتين، قد يترتب عليها، إما كسب الحرب وإما خسارتها، أما القوة المعنوية فإنها تتوقف بمقدار عظيم على تغذية الجنود ورفاهيتهم، فسوء تغذية الجنود يؤدي دائمًا إلى انحطاط قوتهم الأدبية، والجيش الذي تفتك به الأمراض تزول صفة القوة المحاربة منه، ثم إن تغذية القوات المحاربة وصحتها، يتوقفان على الخدمات التي تجري في المؤخرة، وقياسًا على ذلك يصح القول بأن النصر أو الهزيمة يتوقف كل منهما على الخدمات الخلفية».

الطبيعة البشرية:

تتأثر الطبيعة البشرية بكل من النظام، والخوف، والجوع، والثقة بالقادة أو عدم الثقة بهم، وبعدة مؤثرات أخرى متنوعة، ثم إن الطبيعة البشرية لها من الأهمية ما يفوق على أهمية التسليح والكثرة العددية، قال الجنرال السير . أ ب . هملي Hamely:

«لم يقم جيش ما بأعمال مجيدة وكانت تنقصه صفات الشجاعة والجَلَد الذي لا يتزعزع»، فجَلَد الأمة الذي لا يتزعزع وجَلَد قادتها هو أيضًا عامل له أهمية عظمى، والوقت الذي ينقضي في التأهب والاستعداد للمعركة، أو في القيام بمناورة بقصد التوصل إلى «الوضع الملائم» قلّ أن يضيع سدى، ولكن فيه مجازفة بأن تصبح القوة التنفيذية ضعيفة فتخضع لتذمر الرأي العام.

فأمام عبقرية هانيبال Hannibal الاستراتيجية التكتيكية، كان كونتوش فابيوس ماكسموس Quintus Fabuis Maxmus يتوسل إلى الزمن ليكون في عونه وليهيئ له الفرص لإنزال ضرباته، وقد أصبحت «التكتيكات الفابية» مضرب الأمثال، وأكسبته في ذلك الوقت لقب «المؤخر» ازدراء به، وهو الذي لقبه به إينوس Ennius في شعر فكاهي أحيى به ذكراه إلى الأبد، وقد أدى صخب الرأي العام إلى اقتسام السلطة مع فارو Varro، كما أدى إلى كارثة كانه Gannae (سنة ٢١٦ ق.م).

ولقد استدعى الجنرال ج.ب. ماكليلان C.B. McClellan من قيادة جيش نهر

البوتوماك Potomac لأنه أخفق في تحويل معركة أنتيتام Antietam (١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٢) التي لم ينتصر فيها أحد الفريقين، إلى نصر، وتسلم الجيش الجنرال بيرنسايد Burnside الذي انهزم في فردريكسبرج Fredericksburg (١٣ ديسمبر سنة ١٨٦٢) بخسائر فادحة في عدد القتلى، وقال في ذلك الكولونيل ج.ف.ر. هندرسن G.F.r. Henderson : «على أن الأمة الأمريكية استجمعت جرأتها في الحال، واقتبست الإلهام من عزيمة أبراهام لنكولن Abraham Lincoln وإخلاصه، وعادت الولايات المتحدة إلى النضال عن مهمتها التي كان يلوح أن لا أمل لها بالنجاح فيها».

وكان ما يمتاز به ماكليلان هو التنظيم، ومع أنه أبطأ في بادئ الأمر في الميدان إلا أنه جمع قوة مقاتلة فخمة، ودرّبها وأراد أن «يتحسس بها طريقه إلى النصر». فانهزم هزيمة بمعناها في جينزمل Gainses Mill (٢٧ يونيه سنة ١٨٦٢) كانت الفصل الأول من رواية معركة «السبعة أيام حول رتشموند»، وأخذ يتقهقر يوما بعد يوم مجتازًا مستنقعات وغابات وهو يقاتل جنود لي Lee المنتصرة، ولكن دون أن تحل به أية كارثة أخرى، فإن جيش البوتوماك بقي مثابرًا على النضال بدرجة لا بأس بها في ظروف من أكثر الظروف شؤمًا وتثبيطًا للهمم، حتى وصل إلى موقع تل ملفرن Malvern المنيع، وهنا انقلب ماكليلان على أعدائه وواجههم، ثم صد الهجمات المتفرقة التي قام بها جيش فرجينيا الشمالية، وأوقع به مذبحة جسيمة، وكان قد سحب جيشه بأكمله دون أن يمسه سوء، ثم إنه غيّر قاعدة أعماله واتخذ قاعدة جديدة دون أن تعلم بذلك هيئة أركان الحرب العامة لجيش الجنوب، فانتقل من نهر اليورك York إلى نهر الجيمس James. وكان ذلك دليلًا على مقدرته الاستراتيجية، كما كانت أوضاعه أي توزيعات جنوده في تل ملفرن (أول يوليه سنة ١٨٦٢) دليلا على مقدرته التكتيكية، هذا وقد كانت كل أعماله تنفذ بالرغم من دسائس رجال السياسة ومعارضة السلطة التنفيذية، وفي مواجهة العبقرية العسكرية التي كان يتصف بها كل من الجنرالين "و.ا. لي Lee" و "ت. ج. جاكسون Jackson". وفي أنتيتام Antietam أرغم جيش الجنوب على الدخول في المعركة، ومع أن هذه المعركة لم تكن فاصلة تكتيكيًا، إلا أنها كانت سببًا في انسحاب جيش «لي» إلى داخل ولاية فرجينيا Virginia.

أما خلفاء ماكليلان فكانوا أقل منه مقدرة، حتى إن جيش البوتوماك ذاك الجيش الفخم، كثيرًا ما حلّت به الكوارث إلى الحين الذي صار فيه أساسًا متينًا لقوات الجنرال ميد Meede التي أنزلت بالجنرال "لي" في أول هزيمة صادفها، والتي كانت سببًا في نجاة الاتحاد في معركة جيتزبورج Gettysburg (١ – ٣ يوليو سنة ١٨٦٣). وفي نهاية الأمر لما صارت تحت إمرة الجنرال جرانت Grant سحقت ولايات الجنوب في معركة أبوماتوكس Appomattox وقضت عليها القضاء الأخير بالاشتراك مع جيوش الغرب.

أما الجنرال ج. هـ. توماس G.H.Thomas قائد جيش نهر الكمبرلند من جيوش الولايات المتحدة فإنه امتنع عن الاشتباك مع جيوش الجنوب في معركة في ناشفيل Nashville، إلى أن أعد الفرسان واتخذ كل التدابير الأخرى اللازمة للتعقب، وكان الثبات على المبدأ هو الصفة البارزة في طباع توماس العسكرية، فكان لا يقاتل إلا بعد أن يستعد، وقد ألّحت عليه السلطات المدنية طالبة منه أن يزحف، وقد بلغ التوتر أشده حتى أن جرانت Grant أرسل الجنرال ج.ا. لوجان J.A. Logan في نهاية الأمر ليحل محل توماس.

ولكن قبل أن يصل لوجان كان توماس قد ربح معركة ناشفيل (١٥ – ١٦ ديسمبر سنة ١٨٦٤) وهي أشد معركة ساحقة في الحرب.

وقد نزل الجنرال اللورد روبرتس Lord Roberts إلى البر في مدينة الرأس Cape Town في العاشر من شهر يناير سنة ١٩٠٠، وكانت الأماني القومية آخذة في التدهور إلى درجة فروغ الصبر حينما زحفت فرسان فرنش French والفرقتان السادسة والتاسعة المشاة، وكانت حركاتها كلها معًا، وكانت نتيجة هذا الزحف فك الحصار عن المدن المحصورة الواقعة بعيدًا عن ميدان القتال، ثم تسليم قوة كرونجي Cronje بالميدان في بارديبرج Paardeberg (٢٧ فبراير سنة ١٩٠٠) وهو يوم التذكار السنوي لمعركة ماجوبا Majuba.

روح فرنسا:

في كل ما يُعمل من الحساب الذي يُتخذ أساسًا لإعلان الحرب، تراعى القوة المعنوية للأمم المعادية فعلًا، والأمم التي يحتمل عداؤها، ومن الصعب أن يتصور الإنسان أن هيئة أركان الحرب في الجيش الألماني والنمساوي أهملت النظر في أمر

القوة المعنوية التي تتصف بها الأمم التي كان في النية تجريد جيوشها عليها في شهر يوليه سنة ١٩١٤ ووضعها موضع الفحص والتمحيص. أما روح فرنسا فلم يظهر عليها ما يستدل منه على أنها قد انحطت. بل إن إخمادها لا بد أن يكون بزحف سريع من خلال أراضي بلاد محايدة يؤدي إلى سقوطها سقوطًا مصحوبًا بالدهشة. كما وقع في سنة ١٨٧٠ قبل أن تتم التعبئة الروسية. ثم يسمع مرة أخرى صياح الجنود المخلوعة قلوبهم Nous sommes Trahis: «لقد خُدِعْنَا». إلا أن عزيمة القائد المقرونة بالسكينة هو وجنرالاته في أيام أغسطس سنة ١٩١٤. تلك الأيام السوداء. حالت دون هذا السقوط. ثم إن الدفاع عن فردون Verdun من فبراير إلى أغسطس سنة ١٩١٦. وهتاف الجنود حينما استرجعوا «شيمان دي دام» Chemin des Dames فيما بين أبريل ويوليه سنة ١٩١٧. حل محل تسليم «سيدان» Sedan ومتسى Metz وصياح «لقد خُدِعْنَا» من وقائع سنة ١٨٧٠.

بريطانيا العظمى:

لم يكن متوقعًا أن تشترك بريطانيا في النضال اشتراكًا فعليًا. وإذا اشتركت فإن شئون أيرلنده. وحركة مطالبة النساء بحق الانتخاب. والانحطاط العام الذي سرى في الأمة. كل هذه الأشياء تحول دون السير في الحرب بعزيمة صادقة. وكل ما كان يستطاع إرساله إلى أوروبا هو قوة صغيرة. وهذه القوة يتبعها «السقوط المصحوب بالدهشة». ويصبح من المتعذر إيجاد مدد لها. أما مدى هذا الخطأ الحسابي فيظهر في خطاب المستر لويد جورج Lloyd George الذي ألقاه في مجلس النواب في الثالث من يوليه سنة ١٩١٩ حيث قال رئيس الوزارة البريطانية: «إن الإمبراطورية البريطانية قد جندت ٧.٧٠٠.٠٠ تحت السلاح. وأعدت من المال ٩.٥٠٠.٠٠٠.٠٠٠ ليرة إنجليزية بين ضرائب وقروض. وتكبدت من الخسائر ما ينوف على ٣.٠٠٠.٠٠٠ من الرجال في البر والبحر. وقد تبين أيضًا أن الجيوش البريطانية في السنتين الأخيرتين من سنين الحرب قد تحملت أشد صدمات القتال في الجبهة الغربية في فرنسا. وفي نفس الوقت قد قضت على القوات المسلحة للإمبراطورية التركية في الشرق». فقد جازف العدو بإرغام بريطانيا على الاشتراك في الحرب وكان ذلك أعظم خطأ استراتيجي وقع فيه.

أمريكا:

في السنة الثالثة من سنين الحرب كانت أمريكا قد استجلبت تدريجيًا إلى ساحة النضال، إذ قد أدى خطأ آخر في الحساب إلى أن أصبحت الأمة الحرة المتحدة البالغ عددها مائة مليون من النفوس مناضلة لحكومات وسط أوروبا المستبدة.

اللورد روبرتس:

لقد كانت رءوس أخرى غير الرءوس الألمانية تفكر في أمر احتمال نشوب نضال مسلح في أوروبا، وبقي اللورد روبرتس منذ كثير من السنين ينصح باتباع نظام الخدمة العسكرية العامة في المملكة المتحدة، بصفته نظامًا مفيدًا في حد ذاته، ومحتمًا بسبب ما كانت تبديه هيئة أركان الحرب في الجيش الألماني من النوايا التي لا خفاء فيها، وكانت عبارة تحذيرية هي «أن ألمانيا تضرب عندما تدق ساعة ألمانيا»، ومع أن الأمة على ما يظهر كانت لا تصغى إلى هذا التحذير، إلا أنه لم يكن عديم الأثر في تعليم الجيش النظامي وتدريبه.

الكولونيل هندرسن:

وقد فكر الكتاب العسكريون في المملكة المتحدة أيضًا في أمر احتمال نشوب الحرب مع قوات ألمانيا المسلحة، وقد فحصوا قوة الأمة المعنوية في كل ما كتبوه، ثم ذهب الكولونيل هندرسن في كتابه «علم الحرب» إلى حد أن رأى بعين بصيرته أن نضالًا سوف ينشب لا تشترك فيه جنود بريطانيا وممتلكاتها وراء البحار فقط، بل ستشترك فيه أيضًا جنود الولايات المتحدة، وقد جاءت حوادث الحرب مؤيدة تمام التأييد لتقديره للقوة المعنوية لهذه السلالة على جانبي المحيط الأطلنطي، وفي كل من نصفي الكرة الأرضية، فقد وجد الكولونيل هندرسن في هذا الجنس شيئًا أكثر من الصلابة في صفاته المعنوية؛ إذ إنه زاد على ذلك قوله: «إن المقدرة التكتيكية حق موروث لسلالتنا» .. ففي نضال وقع في أوسع نطاق (يعني الحرب الأهلية الأمريكية) كانت تكتيكات الجنود الأمريكية في فاتحة عهدها أرقى من تكتيكات البروسيين في سنة ١٨٦٦، أما الاستراتيجية التي كانت تديرها الحكومة المدنية في كلا الفريقين، لا الرؤساء العسكريون، فقد ارتكبت فيها أخطاء جسيمة، وأما في ميدان المعركة، فإن الغرائز الجنسية قد برهنت على صفاتها، هذا وأن المناورات التكتيكية حتى مناورات سنة ١٨٧٠ التي هي أكبر من تلك لم تكن أرق من مناورات

الحملات الحربية الأمريكية، ولكن في سنة ١٨٧٨ كان الجنرال سكوبيليف Skobeleff وهو أول الجنرالات الأوروبيين الذين أدركوا المسائل التعرضية تمام الإدراك، يحفظ الحرب الأمريكية «عن ظهر قلب» . فهو في هجماته الموفقة على الطوابي التركية كان يسلك الخطة التي سلكها جنرالات الأمريكان في كلا الجانبين، في محاولاته الاستيلاء على تلك المواقع، فكان يتبع القولات الهاجمة بجنود جديدة دون أن ينتظر القول الأول حتى يرتد»، وبعد انتهاء الحرب الأهلية سئل ذات مرة الجنرال فورست Forrest؛ وهو من قادة الفرسان في جيش ولايات الجنوب، عما يعتبر في نظره السبب في نجاحه في هذه المعارك العديدة التي اشترك فيها، فكان جوابه: «لأني كنت أول من يصل ومعي أعظم عدد من الجنود»، وهو بهذا القول قد دل على مفتاح فن الحرب في صيغ مختزلة.

وقال المارشال فوش Foch: «في ناشود Nachod كانت الكثرة العددية في جانب القائد النمساوي، ومع ذلك فقد أنزل إلى ساحة القتال جزءًا من قواته لا غير فغلبته الكثرة العددية».

أما فيما يختص بقوة هذا الجنس (يعني الأنجلوسكسوني) المعنوية فقد قال الكولونيل هندرسن بلهجة التأكيد ما يأتي: «في التسعة الأشهر الأخيرة من الحرب الأهلية الأمريكية حدث مرة بعد مرة أن أحد الفريقين المتحاربين كان لا بد له من الهزيمة، وذلك بحكم جميع السوابق، ولكنه كان يأبى أن يرضخ للهزيمة مطلقًا، بدليل ما تكبده من الخسائر، والفضل فيه يرجع بدرجة غير قليلة إلى ما ورثه جنود كلا الطرفين من الصفات المتصف بها ذلك العنصر الذي أمد دوق ولنجتون Wellington بمشاقه، فكانت ميزات كلا فريقي الشمال والجنوب أنهم لا يعرفون الغلب مطلقًا».

الجيش الحقير الصغير:

إنه بدلًا عن الانحطاط العام الذي طرأ على سلالة البريطانيين، ذلك الانحطاط الذي كانت هيئة أركان الحرب الألمانية تعتمد عليه على ما يظهر، قد أبدى جيش فرنش French ذلك «الجيش الحقير الصغير» صفته التي امتاز بها وهي الجَلَد، أثناء رجعته من منز Mons في أغسطس سنة ١٩١٤، وفي معركة إيبر الأولى Ypres I (٢٠ أكتوبر سنة ١٩١٤)، وفي معركة إيبر الثانية Ypres II (٢٢ أبريل سنة ١٩١٥)، وقد

قال المارشال فرنش عن «جيشه الحقير الصغير» في كتابه المسمى «سنة ١٩١٤» ما يأتي: «حقيقة إن الجيش البريطاني قد تكبد خسائر فادحة، وجاهد جهاد الأبطال في وصوله إلى موقعه الحالي، وهو على هذه الصورة من الاستعداد للقتال؛ لأن قوته المعنوية قد قاومت كل ما حل به، وعلى ظني أن الألمان ربما كانوا محقين في شكهم في قوتنا التعرضية، على أن الشيء الذي غاب عنهم هي الأمة التي نشأنا فيها».

الجيوش الحديثة:

إن الجيوش الحديثة التي تكوّنت من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩١٨ وجهزت ودربت من أثناء الحرب، وكانت تمثل الإمبراطورية تحت السلاح، قد أبدت نفس الصفة التي ورثتها، ونفت إلى الأبد تهمة الانحطاط التي كانت وجهت إلى الجنس البريطاني، ولقد جاء (في رسالة السير د. هايج Haig بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة١٩١٦) ما يأتي:

«إن ما قامت به هذه الجنود من الأعمال في مثل هذه الظروف، أمام جيش وأمة كان كل همها منذ كثير من السنين إنما هو الاستعداد والتأهب للحرب، لمن الأعمال التي لا يُرى لها مثيل في سجلات تاريخنا القومي... فلقد ساهم في المعارك جنود من كل جزء من أجزاء الجزائر البريطانية، ومن كل مملكة من الممتلكات، ومن كل ناحية من أنحاء الإمبراطورية، سواء كانت نظامية أو غير نظامية، أو من جنود الجيوش الحديثة... ففي البيان الطويل المنقوش على أعلام آلاياتنا، الحاوي لأسماء المعارك التي انتصروا فيها، لا يوجد محك لصفتي الجَلَد وصدق العزيمة المتصفة بهما مشاتنا، أرقى وأسمى من هذه المعارك، فقد برهنت هذه الجنود على أنها جديرة بأسمى تقاليد سلالتنا، وبما حوته من الفخر المدون في سجلات الحروب الماضية» .

وجاء في (رسالة السير د. هايج المؤرخة في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٧) ما يأتي:

«لقد أثبتت جيوشنا الحديثة المدربة على عجل مرة أخرى، مقدرتها على مقابلة أحسن جنود العدو والتغلب عليها، حتى في الظروف التي كانت في صالح دفاعه لدرجة تتطلب منتهى الجَلَد، والعزيمة، والبطولة».

وجاء في نفس هذه الرسالة ما يأتي:

«إن مما لا يعد غضًّا من أعمال البسالة التي وقعت على الجبهات الأخرى، القول بأن الجيوش العظمى التي تحمل اليوم على عواتقها عبء إمبراطوريتنا»، قد برهنت بنضالها العنيف للاستيلاء على خط التلال الممتد من ويتشايت Wytschaete إلى

باسشنديل Passchendaele، على أنها جديرة بالانتساب للآليات التي خلّدت اسم إيبر Ypres بين أسمى المعارك البريطانية فخرًا، في شهري أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩١٤.

وجاء في رسالة السير د. هايج المؤرخة في ٢٠ يوليه سنة ١٩١٨، ما يأتي:

«لقد أحرز جندي المشاة البريطاني في كل وقت وآن شهرة بأنه يقاتل على أحسن وجه في المعارك ذات المواقف الحرجة، وفي تاريخ بلادنا ما يثبت المرة بعد الأخرى أنه فاز بالنصر على عدوٍّ يفوقه عددًا، بعناده واستماتته ليس إلا، ولما نزعت به الحوادث والظروف التي ليس له سيطرة عليها إلى انتهاج خطة الدفاع مرة أخرى، وهي حالة لا تستديم، برهن على أنه منصف بكل الأوصاف التقليدية التي يتصف بها جنسه».

وفي رسالته المؤرخة في ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٨ قال:

«لقد كان سلوك الجنود البريطانية من كل الأسلحة التي اشتركت في القتال سلوكًا فخمًا طول الفترة الطويلة التي قضتها في قتال مستديم، وهي تقاتل عدوًّا يفوقها عددًا بكثير، وليس أفصح في الدلالة على ما أحرزته من قول الجنرال الفرنسي مايستر Maistre التي كانت تحت إمرته، فقد قال عن هؤلاء الجنود: لقد مكنتنا من إقامة سد حاجز كانت تتكسر عليه أمواج العدو»، وبعد قتال أربع سنين، وفي ختام حملة دفاعية من أصعب ما يكون، استطالت بمساعي العدو من ٢١ مارس إلى يوليو سنة ١٩١٨ تحوّلت الجيوش الحديثة من خطة الدفاع إلى خطة الهجوم، فأحرزت النصر أينما حلّت، واشتبكت في تسع معارك نشبت بينها وبين العدو أخذت منه فيها ١٧٥.٠٠٠ أسير، و٢٦٠٠ مدفع. وقال المارشال فوش Foch:

«يكفي لتقدير حماس هذه الجنود وجَلَدها أثناء هذه المرحلة الأخيرة، أن نذكر تواريخ الحوادث الرئيسية وبيان أهميتها»:

«معركة أميان Amiens (٨ – ١٣ أغسطس) وفيها أخذ الجيش الرابع ٢٢.٠٠٠ أسير، وأكثر من ٤٠٠ مدفع».

«معركة بابوم Bapaume (٢١ أغسطس – ١ سبتمبر) أخذ الجيش الثالث والجناح الأيسر من الجيش الرابع ٣٤.٠٠٠ أسير و٢٧٠ مدفعًا».

«معركة نهر الاسكارب Scarpe (٢٦ أغسطس – ٣ سبتمبر) أخذ الجيش الأول

١٦.٠٠٠ أسير و٢٠٠ مدفع».

«معركة هيرنكوروأبيهاي Haerincourt-Epehy (١٢ – ١٨ سبتمبر) أخذ الجيشان الرابع والثالث ١٢.٠٠٠ أسير و٢٠٠ مدفع».

«معركة كمبراي وخط هندنبورج Camdrai Hindenburg - Line (٢٧ سبتمبر – ٥ أكتوبر) انتهت الجيوش الرابع والثالث والأول بكسر خط هندنبورج وأخذ ٣٥.٠٠٠ أسير و٣٨٠ مدفعًا».

«معركة فلاندرز Flanders (٢٨ سبتمبر – ١٤ أكتوبر) أخذ الجيش الثاني ٥.٠٠٠ أسير و١٠٠ مدفع».

«معركة لوكاتو Le Cateau (٦ – ١٢ أكتوبر) أخذت الجيوش الرابع والثالث والأول ١٢.٠٠٠ أسير و٢٥٠ مدفعًا».

«معركة نهر السل Seille (١٧ – ٢٥ أكتوبر) أخذ الجيشان الرابع والثالث ٢٠.٠٠٠ أسير و٤٧٥ مدفعًا».

«معركة نهر السامبر Sambre (١ – ١١ نوفمبر) أخذت الجيوش الرابع والثالث والأول ١٩.٠٠٠ أسير و٤٥٠ مدفعًا».

تغيير الطرائق:

يظهر والحالة هذه أن المبادئ التي يقوم عليها فن الحرب مؤسسة على عوامل ثابتة مستديمة، على أن طرائق تطبيقها تقبل التغيير؛ لأن هذه المبادئ تخضع في تطبيقها لتأثير الاختراعات وظهورها المتتابع، فالبارود محا القوس والنشاب، واختفى معه الفارس المدرع، ثم إن السونكي مثبتة في البندقية، حلت محل السن المدبب الذي كان ينتهي به الرمح، وزاد مرمى البندقية المتشخنة على مرمى البندقية الملساء الجوف، ثم إن حشو البنادق من الخلف وإضافة الخزنة إليها زاد في معدل سرعة النيران تدريجيًا، كما أن البارود الذي لا دخان له جعل خط النار يكاد لا يُرى، وانبساط منحنى خط مرور رصاص الأسلحة الصغيرة زاد المنطقة الخطرة أثناء التقدم، ثم ازدياد قوة مدفع الميدان (١) وخفة حركته ودقة رميه جعلت بعض

(١) كان الاسم الاصطلاحي «مدفع الميدان» مقتصرًا على المدفع عيار ١٨ رطلًا، إلى أن وقعت حرب البوير فاستعملت المدافع الثقيلة بصفتها مدفعية متنقلة، وفي الحرب العظمى جاءت وسائل

التشكيلات لا تنفع في الهجوم لفوات أوانها، ثم إن التقدم العام في معدل نيران البنادق، والمدافع الرشاشة، والمدفعية، وفي دقة رميها، جعل الهجوم على موقع قوى التنظيم أمرًا غير ممكن، إلا إذا كانت المفاجأة في الزمن وفي المكان الذي توجه إليه الهجمة لها من الأثر ما يبطل المزايا المتوفرة في الدفاع، أو حينما يوجد حاجز من القنابل والرصاص متفوق على نيران العدو، يستر الزحف ويخمد مقاومته.

ثم إن ظهور قوة ثالثة بإضافة القوة الجوية إلى القوتين البرية والبحرية قد زاد الاستطلاع (١) سهولة، وأضاف صعوبة أخرى إلى صعوبة إخفاء التحركات أثناء ساعات النهار، فهذه العوامل وما شابهها قد أوجبت تغييرًا في وجهة بعض الاعتبارات، أظهرها التوسع في استخدام متاريس الميدان، ثم تطورت الطرائق التكتيكية لتقابل ضرورة الحالة، أو أنها تعدلت لتلائم المطالب الحديثة (٢)، وليس هناك من المخترعات ما يمكن به نقل عبء القتال عن عاتق جندي المشاة.

قال السيدر د. هايج في رسائله: «رغمًا عن كل ما طرأ من التطور المهول على المخترعات الميكانيكية في كل طور من أطوار الحرب، فإن المكانة التي كان جندي المشاة يشغلها دائمًا بصفته المادة الرئيسية والأساس للجيش، ما زالت وطيدة في يومنا هذا كما كانت في أية فترة من فترات التاريخ، فجندي المشاة ما زال السلسلة الفقرية للدفاع، وما زال بمثابة سن الرمح في الهجوم. ولم تَسْمُ سمعة الجندي البريطاني من المشاة في أي وقت من الأوقات على ما هي عليه اليوم، ولا أعماله أجدر بالشهرة... ومهما بلغ تأثير المخترعات الميكانيكية من الجسامة فما هي بمستطيعة في حد ذاتها أن تكون هي الباتة في نتيجة الحملة الحربية، فإن الدور الذي تلعبه إنما هو مساعدة جندي المشاة ... وليس في استطاعتها أن تحل محله، فالنصر الحاسم لا يكسبه إلا بندقية هذا الجندي وسونكيته».

النقل الميكانيكية بمدافع من أكبر العيارات إلى ميدان المعركة. أما مدافع الميدان السريعة الطلق فأول من استعملها هم الأحباش إزاء الإيطاليين في معركة عدوة Adowa (٢٩ فبراير سنة ١٨٩٦).

(١) أول من استخدم مناطيد الاستكشاف هو جيش البوتوماك مع معركة فردريكسبرج (١٢ ديسمبر سنة ١٨٦٢). أما الطيارة فإنها استخدمت لأول مرة في الحروب في سنة ١٩١١ أثناء الحرب الإيطالية – التركية في حملة طرابلس بشمال أفريقية.

(٢) أول ظهور للمركبات الثقيلة المدرعة المعروفة باسم «الدبابة» Tanks كان في أثناء معركة نهر السوم الأولى somme I في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٦.

كتب التعليم الرسمية:

تتغير طرائق التكتيك من وقت لآخر في نشرات دورية تصدرها هيئة أركان الحرب العامة لتدخل فيما بعد في صلب الكتب الرسمية، وهذه الكتب الرسمية («تعليم البيادة» و «التمرين على الحروب») هي الأساس الذي يجب أن تقوم عليه دراسة تكتيكات المشاة، وقد ترك الكولونيل ج.ف.ر. هندرسن رأيه في هذه الكتب لمن يأتي بعده في هذه الكلمات:

«القسم الوارد في كتبنا الرسمية الذي يشير إلى المشاة في الهجوم والدفاع هو مجرد روح التكتيك، وليس فيه جملة واحدة إلا ولها أهمية من الدرجة الأولى، ولا يمكن الإخلال بمبدأ واحد من المبادئ الواردة فيه من غير عقاب، وليس فيه من التعليمات ما لا ينبغي ممارسته مرة بعد أخرى». وبعد أربع سنين انقضت في الحروب كانت في أثنائها المبادئ المنصوص عنها في الكتب الرسمية موضع أدق درجات الاختبار والتمحيص (أي تطبيقها عمليًا في الحرب) أمكن هيئة أركان الحرب العامة بالجيش أن تصدر كشفًا حاويًا لمطبوعاتها الحديثة بالتنبيه الآتي:

«يجب أن لا يغيب عن البال أن المبادئ المدونة في قانون تمرين الحروب، وفي قانون تعليم البيادة، ما زالت هي الأساس لكل معرفة صحيحة».

وفي ختام الحملة الحربية النهائية التي كللت بالنصر أكد المارشال هايج صدق هذا الزعم بقوله:

«كلما طال أمد الحرب كلما ازددنا تأكدًا من أن تنظيمنا وتعليمنا الأصليين مؤسسان على مبادئ صحيحة، وأن الخطر الذي ينتج عن تغييرهما بدرجة تتجاوز الحد في كثرتها لكي نعالج طورًا وقتيًّا، لهو أعظم من المجازفة بتعديلهما بدرجة تتجاوز الحد في قلتها... فإن التجارب التي اكتسبت من هذه الحرب وحدها، دون دراسة الدروس المكتسبة من الحملات الأخرى وممارستها، ما كانت تكفي لمقابلة التكتيكات الكثيرة التغير التي امتاز بها القتال، ولقد كنا في حاجة أيضًا إلى الأسس الصحيحة التي تقوم عليها المعرفة العسكرية التي كانت تمدنا بها كتب التعليم ومدارس أركان الحرب عندنا».

المعركة

«المعركة التي تحسن إدارتها هي من الوجهة النظرية عبارة عن هجوم حاسم موفق التنفيذ»

«المارشال فوش»

وقال أيضًا:

«إن فن الحرب لكي يصل إلى غايته التي يرمي إليها (وهي إملاء الإرادة على الخصم) لا يعرف إلا وسيلة واحدة، هي إتلاف قوات الخصم المنظمة، ومن ثم نصل إلى المعركة التي هي الجدال الوحيد في الحرب، والغاية الحقيقية الوحيدة التي يصح توجيه العمليات الاستراتيجية إليها، ومن هنا نبدأ بتقرير الحقيقة الواقعية وهي أنه لإدراك الغاية التي ترمي إليها الحرب، لا يمكن أن تكون بمعركة دفاعية محضة؛ لأن المعركة الدفاعية نتائجها كلها سلبية، فهي قد تعيق العدو في زحفه، وقد تحول بينه وبين إدراك غرضه المباشر، ولكنها لا تؤدي مطلقًا إلى هلاكه، ولذا فهي لا تقوى على إحراز النصر المطلوب، وبناء على ذلك فكل معركة دفاعية لا بد وأن تنتهي بعمل تعرضي وإلا فلا نتيجة لها».

الخصائص المميزة للمعركة:

لا تتشابه معركتان تمامًا، ولكن هناك خصائص مميزة تشترك فيها كل معركة:

فأولا – تكاد تكون النتيجة دائمًا غير مؤكدة؛ لأن هناك من الحوادث التي تعجز الفطنة البشرية عن ملاقاتها، بسبب ما قد يطرأ فيفسد أحكم الخطط، ولذا فأحسن الفرص تبقى في جانب القائد الذي تتوافر لديه الوسائل الكافية لإحراز غرضه، والذي يضع خططه بمنتهى الفطنة ثم ينفذها بمنتهى المقدرة، فإن الفوز الحاسم كان يعقب التصميم الذي يضعه كبار القادة لإشراك الأسلحة المختلفة مع بعضها البعض، وعلى مدى الوقت يأتي النصر فيؤدي واجب الاحترام لمعرفة المبادئ التي ينطوي عليها فن الحرب.

ثانيًا – إن العامل البشري يلعب دوره في المعركة دائمًا. فالجنود الناقصة النظام عرضة لأن يتمالكها الرعب إذا ما حلت بها كارثة فجائية. بل إن أحسن الجنود قد تتزعزع إذا توصل العدو إلى جناحها.

ثالثًا – إنه إذا دفعت قوة جديدة صغير نسبيًّا إلى حومة القتال، لم تكن قد اشتركت فيه، وكان دفعها في اللحظة الملائمة، إزاء عدو يفوقها عددًا، ويكون قد أنهكه القتال، فقد تحرز نجاحًا فوق ما يتناسب مع عددها. ولهذا السبب فإن القائد الحريص يجتهد في إبقاء جزء من جنوده الاحتياطية تحت اليد ليدفع بها إلى معمعان القتال بعد أن يكون خصمه قد بذل كل قوته الاحتياطية.

فالتفوق على العدو في نقطة الهجوم هو مجمل فن الحرب بعبارة موجزة. ولهذا السبب يجب أن يقع الهجوم الموجه إلى نقط من موقع تكون منفصلة عن بعضها البعض في آن واحد لنأتي بالثمرة المطلوبة. وبخلاف ذلك فإن العدو الذي لم يغلب تكون لديه جنود احتياطية متنقلة يقوي بها النقط المهددة. ولذا ينبغي أن تكون الهجمات في الوقت الذي يضطر العدو لأن يستخدم احتياطيه جزءًا جزءًا، أو أن يعجز عن الوصول إلى النقطة المهددة بصفة رئيسية.

فقد كان موقع ماكليلان McClellan بجيش البوتوماك Potomac فوق تل «ملفرن» (أول يونيه سنة ١٨٦٢) من أخطر المواقع التي تهاجم من الجبهة، ولكن الالتفاف حول ميمنته كان أمرًا ممكنًا، وكان التل حاكمًا على الأراضي الواقعة جهة الشمال، وعلى الطريق الذي كان يسلكه "لي Lee" بجيش فرجينيا الشمالية أثناء اقترابه، وكانت على قمته مدافع عديدة من المدافع الثقيلة التي لا قبل لمدفعية "لي Lee" بها، وكان من نية " لي Lee" أن يفتتح الهجوم بفرقة يمدها لواءان على ميمنة الموقع، وبعد أن يدور القتال بين هذه القوة وجيش البوتوماك ينقضّ على الوسط أي القلب هاجمًا بالسونكي، وفي الساعة الخامسة مساءً سُمع هتاف بالقرب من ميمنة الموقع. فظن الجنرال د.هـ.هل D.H.Hill خطأ أن هذا الهتاف هو الإشارة المتفق عليها، ودفع الهجوم على الوسط، فاقتحم خط الدفاع الأول واستولى عليه، إلا أن جيش الشمال لم يكن إذ ذاك قد اشتبك مع أجزاء الخط الأخرى، فأتت الإمدادات بسرعة وصدت الهجوم بخسائر فادحة، وبعد أن أخفق هذا الهجوم وصلت فرقة مجرودر Magruder إلى موقعها. ووقع الهجوم على الجناح الأيمن فانتهى بمثل ما انتهى به سابقه، فكلا الهجمتين نفذت ببسالة فائقة، ولكن

الضربات المجزأة التي من هذا القبيل ينقصها العنصر الأول للنجاح، وبعد ذلك لم تعاكس حركات ماكليلان مرة أخرى.

أدوار المعركة:

لكل معركة ثلاثة أدوار رئيسية؛ فالاستعلام يجب أن يحصل بالمراقبة والقتال، ثم يصير الانتفاع بالمعلومات المتحصلة بهذه الكيفية لإنزال الضربة أو الضربات حيث تكون أكثر تأثيرًا، ثم إن النجاح الذي يحصل بالقتال يجب التوسع فيه إلى أن يباد العدو ويفنى.

الاستعلام والابتكار:

يحتاج الحال إلى عمل كثير في الجو وفي البر قبل أن تتواجد الجيوش المتقاتلة أمام بعضها البعض وجهًا لوجه، فيجتهد كل من سلاحي الطيران والفرسان المستقلة (أي الجنود الراكبة الموجودة في المقدمة والدبابات السريعة التي تؤخذ من الفرق لهذا الغرض) للتأكد مما إذا كان العدو يجمع جنوده ويحشدها في مكان واحد، وإذا كان الأمر كذلك ففي أي مكان يحشدها وما هو مقدار القوة المتجمعة، ومن المعلومات المتحصلة بهذه الكيفية تتمكن هيئة أركان الحرب العامة من أن تقدر تقديرًا فرضيًا نوايا العدو ومقاصده، ومقدار ما أدركه العدو من نواياها ومقاصدها، وبعد اللقاء بالعدو، وتكون هذه المعلومات تحت تصرف قائد الجنود، ولكنّها بوجه عام تتطلب التوسع والزيادة بواسطة القتال، كما أن قائد كل من الفريقين المتحاربين يسعى لن تكون قوة الابتكار في جانبه، أي قوة المبادرة، ليكون متبوعًا لا تابعًا في أعماله، فيملى إرادته على خصمه؛ لأن القائد الذي يفقد قوة الابتكار يضطر لأن يمتثل لخطط وحركات عدوه ويتبعها بدلًا عن الإتيان بخطط وحركات أكثر ملاءمة لأغراضه ووضعها موضع التنفيذ، فيتحايل كل منهما على أن تكون له حرية المناورة والاحتفاظ بها بنفس الطريقة التي كان يجتهد بها القائد البحري في عهد السفن الشراعية لأن يكون فوق الريح بالنسبة لخصمه أي في اتجاه الريح في كل مصادمة.

وقوة الابتكار التي تكتسب باستراتيجية أحد القائدين تنتزع منه أحيانًا بتكتيكات خصمه، ولدينا المثال على ذلك في معركة سلامانكا Salamanca (٢٢ يوليو سنة ١٨١٢) فإن ولنجتون Wellington الذي كان قائد قادة القوات الإنجليزية

البرتغالية قرر أن ينسحب وراء نهر الطورمس Tormes إلى حصن كويداد – رودريجو Giudad – Rodrigo . وأرسل قافلة النقل إلى ذلك المركز. على أن القائد الفرنسي مارمون Marmont أراد أن يعترض خط رجعة ولنجتون. فحرك قسمًا من قوته إلى مرتفعات ميراندا Miranda، وبذلك هدد ميمنة ولنجتون ومؤخرته. ولكنه ترك فتحة تبلغ ميلين بين قوته المنفصلة وجيشه الرئيسي، فراقب ولنجتون الأوضاع الجديدة التي اتخذها جيش مارمون بمنظاره المعظم، ثم صاح قائلًا: «إن في هذا الكفاية»، ورجع عن فكرة الانسحاب الذي كان مارمون قد اضطره إليها بمناوراته السابقة. ثم إنه قذف بقسم من قوته على تلك القوة المنفصلة (فانهزمت قبل أن يتمكن مارمون من نجدتها) وفي نفس الوقت سد الطريق أمام الجيش الرئيسي فحال دون تقدمه، واضطر لأن يترك الميدان، وقد قال ولنجتون عن ذلك فيما بعد:

«ولم أر مطلقا جيشًا تلقى مثل هذه الضربات». ولولا أن الجنرال الإسباني حليف ولنجتون خالف التعليمات الصريحة وتخلى عن حصن ألبا دو طورمس Alba de Tormes الذي كان حاكمًا على المخاضات التي اجتازها الفرنسيون في رجعتهم «لما نجا ثلث جيش مارمون» كما قال نابير.

وكما حصل في سلامانكا أن المناورات التي كانت اكتسبت باستراتيجية مارمون انتزعتها منه تكتيكات ولنجتون . فقد حصل كذلك في الدور الأخير من معركة المارن الأولى Marne I (سبتمبر سنة ١٩١٤)، واسترجعت القوة الإنشائية بمهارة تكتيكية. ولقد كانت سرعة العمل هي الكفاية العظمى التي امتاز بها الألمان، بينما كانت كفاية الروس موردًا للجنود لا ينضب. وكان الألمان يتمادون في أعمالهم إلى آخر حد لكي يحصلوا على حسم سريع. فمن الطرق التي اختاروها لجيوشهم في غزو فرنسا طريقان يخترقان لوكمسبرج Luxemburg والبلجيك Belgium المحايدتين، وطريق واحد من خلال فرنسا نفسها. ثم إن زحفهم انتهى بالفشل في أول الأمر تقريبًا، في النقطة الوحيدة التي كان يحق لهم فيها إدارة الزحف من وجهه الحق. فإن الجيوش الألمانية عجزت عن اختراق الجهة الفرنسية في فتحة شارم Charmes بجبال الفوزج Vosges، وكانت هزيمتهم في معركة باكارات Baccarat (٢٥ أغسطس سنة ١٩١٤) مؤدية إلى الهزيمة الحاسمة التي نزلت بهم في معركة المارن الأولى. وعند ذلك ارجئوا مؤقتًا كل أمل بالحصول على حسم سريع في حرب المناورات. ورجعوا إلى خطوطهم التي كانت هيئت للدفاع على نهر الأين aisne.

واعتمدوا على نظمهم الدفاعية المؤلفة من الخنادق المهيأة بطرق نظامية والمشيدة طبقًا للقواعد الأصولية، وعلى القنابل اليدوية، وهاونات الخنادق وغيرها من أسلحة القتال عن كثب، ليكون لهم التفوق في حملة حربية من نوع حرب الحصار بالخنادق طويلة الأمد دامت إلى أن سقطت روسيا سنة ١٩١٧، وقد أطلق سقوطها ما ينوف على ١.٥٠٠.٠٠٠ جندي استخدموا في حركة تعرضية واسعة النطاق بالدرجة المطلوبة في سنة ١٩١٨.

ففي معركة المارن الأولى Marne I كانت الجيوش الألمانية الخمس التي كانت تتابع الميسرة والقلب الفرنساويين – البريطانيين، ممتدة من أميان Amiens إلى فردون Verdun. ولكن في يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩١٤ كان الجيش الأول الألماني (قيادة الجنرال فون كلوك Von Kluck) بسبب اندفاعه في السير قد أصبح في وضع جعله منفصلًا عن بقية القوات الألمانية، فتواجدت بينهما فتحة متسعة، وكان قد تجمع جيش فرنسي جديد في الشمال الغربي من باريس جُمع من حامية المدينة ومن الحدود الجنوبية الشرقية ونقل على عجل بمركبات النقل الميكانيكية بهمة وذكاء محافظ باريس العسكري (الجنرال غاليني Gallieni) واندفع إلى الأمام، فلما أراد الجنرال فوق كلوك أن يتفادى هذا التهديد الموجه وكان إذ ذاك واحد منها (وهو الذي كان يقوده ولي العهد) مشتبكًا في معركة غير موفقة، اتخذ فون كلوك مسلكًا في غاية الخطر، وجازف بسير جانبي أمام جبهة الجناح الأيسر الفرنسي البريطاني، فلما علم الجنرال جوفر Joffre بأخبار هذه المناورة من سلاح الطيران بباريس ولاحت أمامه فرصة اكتساب القوة الإنشائية (الابتكار) أمر بالزحف للهجوم في ٦ سبتمبر، ثم كانت معركة المارن الأولى التي نتجت عن ذلك الأمر، فغيّرت شكل القتال على الجبهة الغربية، فكانت الضربة الفاصلة استراتيجية أكثر منها تكتيكية، ونفذت في ميدان بلغت مساحته ٦٠٠٠ ميل مربع، واشترك فيها وفي كل هذه المساحة من أولها إلى آخرها ستة جيوش كبرى بلغ مجموع جنودها ٧٠٠.٠٠٠، يقابلها عدد مثلها من الجيوش لا تقل قوتها عن تلك على أقل تقدير، فهجوم مضاد في مثل هذا النطاق لم يسبق حصوله في أي حملة حربية، وبذلك أعيق تقدم الجيوش الألمانية إعاقة دائمة، وهو التقدم الذي كان لا يكاد يعوقه عائق قبل ذلك، بينما اضطرت هيئة أركان الحرب الألمانية لأن تتخلى قطعيًّا عن غايتها الاستراتيجية التي ترمي إلى القضاء على الجيوش الفرنسية – البريطانية الموجودة بالميدان قضاء عاجلًا.

تطور المعركة:

«جاء في كتاب علم الحرب وصف لجو المعركة» كما يأتي:

«متى يواجه جيش جيشًا آخر، يتفوق أحدهما بعدده عن الآخر، فيواجه قائد القوة الصغرى مسألتان:

١- إذا كان الجيش الأكبر لم يتجمع بعد، أو إذا كان متفرقًا بكيفية لا تستطيع معها أقسامه المختلفة من معاونة بعضها البعض على الفور، ففي الإمكان هزيمته قسمًا قسمًا، وذلك بسرعة الحركة، وبالسير المفاجئ، وبالتكتم، وبالهجمات الكاذبة التي تذهل الخصم في تجمعه، وكذا بالعمل على خطوط غير منتظرة.

٢- إذا كان الجيش الأقوى قد سبق له التجمع فقد يستدرج قائده بأية وسيلة إلى تفريق قوته، وبذا يصير ضعيفًا في كل مكان، ثم تهدد نقط تهديدًا يشف عن المهارة، يضطره إلى إرسال نقط منفصلة تدافع عن تلك النقط، ثم بإخفاء الأوضاع أي التوزيعات وباستدراجه إلى أراضٍ لا يستطيع فيها أن يستخدم إلا جزءًا من قوته المتفوقة».

وجاء أيضًا في كتاب «علم الحرب» ما يأتي:

«إن قوة إنزال الضربة «كصاعقة من السماء» لها أعظم قيمة في الحروب، ولقد كانت المفاجأة أساس كل الاشتراكات الاستراتيجية العظمى، بوجه التقريب، في الأيام السالفة كما ستكون أيضًا في الأيام المقبلة، وإن أول وآخر ما يفكر فيه القائد العظيم هو أن يتفوق على عدوه حيلة ودهاء، وأن ينزل ضربته حيث لا تكون منتظرة، فعلى بال من جنود الاتحاد الشمالي طرأت في صباح يوم تشانسلرزفيل (٢ – ٣ مايو سنة ١٨٦٣) فكرة أن "لي Lee" وأمامه ٩٠.٠٠٠ جندي من جنود الشمال يرسل ستونوول جاكسون بأكثر من نصف قوته البالغ عددها ٤٣.٠٠٠ لهجمة على خصمه من الخلف».

ولقد كانت المفاجأة أهم أسباب النجاح في معركة كمبراي الأولى (٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٧) حينما دفع الجنرال السير جوليا بنج Julian Byng بالجيش الثالث في وقت الفجر على الموقع الدفاعي المنظم تنظيمًا راقيًا المسمى «خط هندنبرج»، وقد كانت عراقيل الأسلاك الموضوعة أمام هذا الموقع عميقة بدرجة استثنائية، ولم يجر تدميرها بواسطة المدافع، وكان الألمان يستريحون وراءها في طمأنينة ظاهرة، ثم إن

المعلومات التي أمكنهم الحصول عليها بواسطة استطلاعات الإغارة لم تؤيدها نيران المدفعية العنيفة المتمادية التي كانت تعتبر في ذلك الوقت كمقدمة لا بد منها للهجوم بقوة عظمى، وكانت تتقدم الهجوم أورط من الدبابات تعاونها المشاة عن كثب، وتأتي بعدها الفرسان للإحاطة بالفارين وإيقاع الخلل في نظام الإمدادات، وكانت المدفعية قد تعززت قبل ذلك وتقوت فوجّهت نحو خطوط الإمداد والاحتياط لتحول دون تجمع الألمان للقيام بهجوم مضاد، ولتشتت تشكيلاتهم وتفرقها، وقد قام سلاح الطيران بالاستطلاع أثناء المعركة من ارتفاع قليل وضايق المدافعين بنيرانه، ونفذ التقدم في أقوى قسم من نظام العدو الدفاعي أي متاريسه، على جبهة اتساعها عشرون ميلا بعمق خمسة أميال، وأخذ ما ينوف على ١١.٠٠٠ أسير و ١٥٠ مدفعًا، وغنم مقدارًا عظيمًا من المهمات والأدوات، ومع أن الحوادث التي وقعت فيما بعد قد أبطلت ما كان للفوز الافتتاحي من الأثر، فإن زحف يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٧ سيبقى مثلًا خالدًا لما للمفاجأة من القيمة في الحروب.

وقال المارشال فوش:

«المفاجأة تلقي الرعب في القلوب، حتى ولو كان العدو أقوى بكثير، وهي تتأتى بظهور سلاح جديد في الحرب، أو بظهور قوة فجأة أمام العدو تكون أكبر من قوته، أو بحشد قوات من نقطة يكون العدو فيها على غير استعداد لاتقاء الضربة حال نزولها، على أنه مهما اختلفت طرائقها فإن غايتها هي دائمًا إحداث تأثير أدبي واحد على العدو – هو الرعب – بأن تدخل في روعة الشعور بالعجز بمجرد ظهور وسيلة أمامه على عجل لم تكن منتظرة وفيها من القوة ما لا جدال فيه، فيداخله الاعتقاد بأن النصر ليس في إمكانه، ولا حاجة بهذه الضربة الرهيبة الواقعة بشدة لم تكن منتظرة، لأن تكون موجهة إلى جيش العدو بأجمعه، فإن الجيش كائن حي منظم يتألف من أعضاء، يؤدي فقدان أي عضو منها إلى الموت»، وفي الاستطاعة إيجاد المباغتة في كل فترة من فترات المعركة بوجه التقريب، وفي كل طور من أطوار القتال بإطلاق نيران مؤثرة من المدافع الرشاشة على حين غفلة وعلى غير انتظار، أو نوع آخر من النيران.

وجاء في كتاب «تعليم البيادة سنة ١٩٢١» ما يأتي:

«النيران المؤثرة الفجائية لها تأثير خاص على العدو تخور معه قوته المعنوية،

وبناء على ذلك فكثيرًا ما يكون من المفيد السعي للحصول على التأثير المفاجئ الذي من هذا النوع بإرجاء النيران مؤقتًا».

الضربة الفاصلة:

من العادة أن يأخذ القتال الافتتاحي وتطوره شكل حركة التقاء وتجمع في مكان واحد. تقوم بها قوات منفصلة عن بعضها البعض، يحدد ميعادها بحيث تنزل ضرباتها بجبهة الخصم وجناحه في آن واحد، بقصد تهديد خط مواصلاته؛ لأن خط التموين حيوي لوجود الجيش، كما أن القلب حيوي لوجود الإنسان، وقد قال الجنرال السير أ.ب.هاملي Hamley:

«لا يوجد موقف شقاء يستجلب الرأفة أكثر من موقف قائد مكّن العدو من قطع مواصلاته؛ لأنه يرى أَجَل نفاد موارده يقترب ولا يجد وسيلة لتجديدها».

والضربة الفاصلة يقوم بها الاحتياطي العام، الذي يتجمع سرًّا ثم يُدفع به بمنتهى ما يمكن من التكتم، فقائد القوة بأجمعها يوزع جنوده بكيفية يبقى بها معه ما يقرب من نصف القوة الموجودة لتكون تحت يده على ذمة هذه الضربة الحاسمة، فينزلها بقسم من جبهة العدو في حالة ما إذا كانت جنوده قد نفذت فيها بالقدر الكافي، وإلا فينزلها بجناح من أجنحته، والنقطة التي يقع الاختيار عليها تصبح إذ ذاك هي النقطة الحيوية، والفوز فيها يعتبر فوزًا في كل النقط، وبمجرد ما ينهزم العدو يتحتم تعقبه بلا رحمة ولا شفقة، فلا تتاح له فرصة يستعيد فيها نظامه وقوته المعنوية.

ففي سنة ٣٣١ ق.م أي منذ نحو ٢٣٠٠ سنة نشبت معركة في عربيلا Arbela ببلاد العراق التي كانت المسرح الشرقي لعمليات الحرب العظمى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨، جديرة بالدراسة لبيان أبدية المبادئ الرئيسية التي يقوم عليها فن الحرب.

ذلك أن الإسكندر الأكبر غزا بلاد داريوس Darius (داره) ملك الميديين والفرس، وكانت غايته الاستراتيجية هزيمة جيوش خصمه الرئيسية في معركة فاصلة، وكان يتقدم المقدونيين حرس أمامي من الفرسان، وعلم الإسكندر من المعلومات التي وافته بها مقدمة الحرس الأمامي بقوة الجنود الفارسية وبمواقعهم، ولما قام باكتشاف الأرض اكتشافًا دقيقًا بصحبة قادة فيالقه تمكن من مبادرة خصمه

بحركة وضع خطتها، وزحف في صفين من صفوف القتال بكيفية تستطيع بها جنده في أية لحظة أن تتخذ شكلًا منظمًا، متلاصقين ببعضهم البعض، يحيط به إطار من الحراب كان سدًّا منيعًا إزاء الفرسان، ثم إنه وجد علاجًا للعيوب التي كانت بالأرض التي لم يوجد بها ما يحمي أجنحته، وبعد أن زحف بهذين الصفين شكّل جنوده على شكل الفرق الإغريقية (فالانكس) Phalanx أي شكل يشبه رأس السهم، ثم إنه دفع هذا السهم في كتلة جنود العدو لكي يفصل أحد جناحيه عن الآخر، وعلى الرغم من وجود جنود احتياطية محلية في أنحاء الميدان فإن عمق الهجمة الرئيسية وثقلها نفذا من جنود العدو، فأسر من بقي على قيد الحياة أو تشتت، وكان النصر تامًّا.

العوامل التي تتأثر بها المعارك

بمجرد اندفاع الجنود إلى المعركة فإن نجاحهم أو فشلهم يتوقفان على ما يكون للقائد من النفوذ، وعلى تضامن القادة المرءوسين وتعاونهم، ثم على القوة المعنوية التي تتصف بها الجنود المشتبكة في القتال ودرجة تعليمهم.

نفوذ القائد:

يظهر أثره أولًا في الأوامر التي يصدرها للعمليات، وبعد ذلك يظهر في الطريقة التي يستخدم بها القوات التي يبقيها تحت يده على ذمة الضربة الفاصلة، أما سيطرة القائد شخصيًّا على الجنود التي اشتبكت في القتال فهي ليست مستحيلة فقط، بل وغير ضرورية؛ لأن مثل هذه السيطرة والقيادة هما من واجبات مرءوسيه الذين يجب أن يكونوا على تمام الإلمام بنواياه، وممن يوثق بهم في تنفيذها، ثم إن هناك واجبات أخرى أكثر أهمية من تلك التي يتحتم على القائد أن يضطلع بها، ومن الجوهري أن لا يدع الحوادث المحلية تحول التفاته عن غرضه الرئيسي؛ لأن الحوادث المحلية من شئون المرءوسين، وقد جاء في كتاب «علم الحرب» ما يأتي:

«الطريقة القويمة للقيادة تقوم على ثلاثة أمور، وهي:

١- لا تمكن السيطرة على جيش وتكون هذه السيطرة مثمرة بأوامر تصدر له مباشرة من مركز الرئاسة.

٢- إن الشخص الموجود في مكان العمل أحسن حَكَم لتقدير الموقف.

٣- إن التعاون المقرون بالذكاء له قيمة تفوق الطاعة الآلية بكثير».

فالحملة الحربية تئول إلى نضال بين درجات الذكاء البشري، وكل قائد يبذل جهده لأن يهزم خصمه في معركة، ويكون سلاحه الرئيسي هو احتياطيه العام، فإذا استطاع أن يستنفذ قوة خصمه الاحتياطية مع احتفاظه هو بقوته دون أن يمسها شيء، كان في استطاعته أن يسير إلى النصر في الوقت الذي يختاره، وطريقة سعيه لاستنفاد جنود العدو الاحتياطية هي أن يجعله يأتي بها إلى منطقة القتال متفرقة

قسمًا قسمًا، وذلك لجهله بالنقطة التي ستنزل بها الضربة الحاسمة.

ففي حملة الميدان الغربي في سنة ١٩١٨ تمكن الحلفاء من الاحتفاظ بجنودهم الاحتياطية في كل مدة الهجمات التي وقعت من يوم ٢١ مارس إلى يوم ١٥ يوليو، ثم لما تحولوا من خطة الدفاع إلى خطة الهجوم أخذوا يمدون في اتساع جبهتهم من يوم إلى يوم، حاسبين حسابهم بالدقة أن هذا الامتداد التدريجي من شأنه أن يضلل العدو عن المكان الذي ستنزل به الضربة الرئيسية، فيجعله يدفع احتياطيه جزءًا جزءًا.

قال المارشال فوش:

«يجب على القادة الأصاغر (المرءوسين) أن يستثمروا خطة القيادة العليا بكل ما لديهم من الوسائل، ولذلك يتحتم عليهم قبل كل شيء أن يفهموا الفكرة، ثم يستخدموا وسائلهم على أحسن وجه يلائم الظروف – تلك الظروف التي لهم وحدهم الرأي فيها... فإن القائد العام ليس في إمكانه أن يحل محل مرءوسيه – ولا يستطيع أن يبُتّ في الأمور نيابة عنهم؛ لأنه لكي يفكر على وجه الصواب ويبت في الرأي الصحيح، لا بد له أن يرى من خلال عيونهم، وأن ينظر إلى الأشياء من المكان الذي هم فيه فعلًا، أي يكون في كل مكان في لحظة واحدة».

وليذكر طلبة التاريخ الحربي أن القائد العام البروسي ورئيس أركان حربه أثناء حملة سنة ١٨٧٠ – ١٨٧١ التي كللت بالنجاح الباهر، لم يصلا إلى مسمع أصوات المدافع إلا بعد أن نشبت خمسة معارك حقيقية خاض غمارها قادتهم المرءوسون. فالقائد إذا كان بعيدًا عن عجاج المعركة وما بها من المؤثرات على الحواس يستطيع أن يحافظ على توازن عقله ويزن الأمور بميزانه، ويمكنه أن يبُتّ في أمر المكان والزمان اللذين يبذل فيهما مجهوده النهائي، أما أخبار المعركة فإنها تصله من مرءوسيه المباشرين، ومن البيانات التي ترد عن النجاح أو الفشل يتمكن أن يكوّن رأيًا عما في أوضاع جنوده من ضعف وقوة، وكذلك عن أوضاع خصمه، ثم يستخدم قسمًا من جنوده الاحتياطية – إذا كان لا بد من ذلك – أو يدخرها وهو واثق من نجاح العمليات إلى أن يحين الوقت لدفعها لكي تنزل الضربة الحاسمة.

الاستخبار:

لكي يبذل القائد ما له من نفوذ على أفضل وجه، فمن الواضح أن تصله كل

المعلومات الحيوية في مواعيدها بالدقة، وأن تبلغ أوامره دون أي إبطاء، ويتحتم على القادة الأصاغر أن يوافوا رؤساءهم وقادة الوحدات المجاورة لهم بأخبار سير المعركة دومًا بطريقة منتظمة، وبكل ما يطرأ عل الموقف من التغيرات الهامة، ويلحق لهذا الغرض بكل وحدة مشتركة في القتال وبمركز رئاستها سُعاة Runners ممن يعتمد عليهم في نقل الرسائل الشفوية أو الأوامر المكتوبة، أما الوحدات التي تكبر عن الأورط فتعتمد عادة على خدمة جنود الإشارة في مواصلاتها الداخلية، مع ضرورة وجود سعادة راجلين وراكبين لاستخدامهم كلما دعت الضرورة؛ لأن ذلك يكفل التعاون ويمكّن من تبادل المساعدة بين الوحدات، والمعلومات التي تصل يجب تبليغها لساعتها لكل من يهمهم أمرها، والأوامر الواردة من الرؤساء لا بد من تبليغها إلى كل قادة الوحدات المختصة من غير إبطاء.

التعاون:

«إيجاد التعاون حينما يحصل الاتصال بالعدو ليس من الأمور الهينة، ومع ذلك فهناك ثلاثة وسائل للتغلب على هذه الصعوبة وهي: مداومة حفظ الاتصال بين الوحدات، واستطلاع الأراضي التي ستجرى فوقها العمليات استطلاعًا تامًّا، ووضوح الأوامر مع مراعاة التبصر في إصدارها».

«كتاب علم الحرب»

فكل قائد يصدر أوامر للهجوم أو للدفاع، يجب عليه أن يجمع قادته المرءوسين وبقدر الإمكان يكون جمعهم على مرأى من الأراضي التي ستقوم جنودهم بالعمل فوقها، ثم يشرح لهم أوامره ويتأكد من أن كل قائد مرءوس أدرك نصيبه من العمل تمام الإدراك.

قال الجنرال السير ا.ب.هيملي:

«تعاون الجنود يتوقف على كفاءة السيطرة المتسلسلة التي توجِد الاتصال بين رأس القائد والجماعة التي يقودها قائد الصنف بالتسلسل من رتبة لأخرى، وعلى ذكاء القادة المرءوسين في إدراك خطط القائد وفي تطبيقها، وعلى النظام الذي يكفل إطاعة الإرادة المدبِّرة إطاعة تشف عن الذكاء، ثم على خفة الحركة التي تنفذ هذه الإرادة عمليًا بسرعة وتمكن من اقتناص الفرص السانحة، وكل تطور جديد يطرأ على وسائل نقل الأوامر والمعلومات بسرعة يمكّن من ازدياد نفوذ القائد ويجعل

التعاون الأكمل أمرًا ممكنًا وعلى ساحات أكثر اتساعًا».

ومن الواجب المداومة على الاستطلاع حتى حينما تكون الجنود مشتبكة في القتال فعلًا، وكل معلومات يحصل عليها يجب تبليغها في الحال؛ لأنه كثيرًا ما يحصل أن اللحظة الملائمة للهجوم الفاصل سواء كان أصليًّا أو مضادًّا لا تتأتى إلا بعد قتال شديد يدوم طويلا، وبناء على ذلك فإن من أهم الأمور اتخاذ التدابير المنظمة للحصول على الأخبار ومعرفة الصحيح فيها من الخطأ ثم تبليغها، كل ذلك مدة دوام المعركة، ويجب أن لا تقتصر مهمة الحصول على المعلومات على الجنود وسلاح الطيران المشتبكين فعلًا في المعركة، بل إن الإمداد والاحتياط يشتركان أيضًا في هذه المهمة، لأنهما كثيرًا ما يريان أشياء لا تراها جنود المقدمة، وفي مثل هذه الحالات أكثر ما في غيرها يجب أن يحصل تبليغ المعلومات فورًا.

فالقادة المشرفون على العمل في إمكانهم أن يتعاون كل منهم مع الآخر إذا راعوا الملاحظة والمراقبة المقرونين بالذكاء، وفي إمكانهم أن يتنبئوا بالمواقف حال تطورها فيقرروا في الحال التدابير اللازمة لمقابلتها، وفي أثناء كل معركة من المعارك الحديثة يبقى الاستكشاف العام جاريًا على قدم وساق بواسطة الكشافين الذين يراقبون من طياراتهم ومن مناطيد الاستكشاف، وذلك علاوة على الاستطلاع المحلي الذي تقوم به الأطواف والكشافة الآخرون، وهؤلاء من عادتهم أن يكتشفوا فتحات قد لا تظهر لغيرهم، وقد ينذرون قائدًا من القادة بوجود حركة موجهة إليه لولاهم لكان في الإمكان أن تتطور فتستحيل إلى مفاجأة مزعجة.

ولقد كان التعاون وتبادل المعونة بالغين أرقى درجات التطور بين قادة فيالق الحلفاء في معركة المارن الأولى (في شهري أغسطس وسبتمبر سنة ١٩١٤)، وقد اشترك في هذه الحملة من كلا الجانبين ما يقرب من ١.٥٠٠.٠٠٠ جندي، وكان قواد الفيالق خصوصًا «مانوري» Manoury قائد الجيش السادس الفرنسي «وساراي» Sarrail قائد الجيش الثالث، و«غاليني» حاكم باريس العسكري على اتصال مستديم بين كل واحد منهم والآخر، وكثيرًا ما عاون أحدهم الآخر بالنيران وبالحركات دون أن تطلب منه المساعدة.

وقد ظهر نوع مستحدث من التعاون في نطاق أصغر أثناء معركة السوم الأولى، وذلك أن هجومًا حصل على «جويديكور» Gueudecourt (في ٢٦ سبتمبر سنة

١٩١٦) قامت به الفرقة الحادية والعشرون واستولت على خندق من الخنادق الواقية كفاتحة لحركة أكبر. فسارت دبابة ووراءها قاذفو القنابل من المشاة على محاذاة دِرْوَة الخندق، وأخذت تطلق النيران من مدافعها الرشاشة على الخندق بينما انقضت طيارة عليه من الجو وهي تطلق النيران من مدافع لويس الموجودة بها. فما كان ممن بقوا على قيد الحياة في الخندق إلا أن سَلّموا أنفسهم. ثم جاء دور المشاة وجمع جنود الحامية المُسَلِّمة. وكان مجيئها تلبية لإشارات الطيارة.

تكتيكات النيران:

لقد سبق القول إن المعركة هي الجدال الوحيد في الحروب. وهي أيضًا الامتحان النهائي الذي يختبر به التعليم. وفي ميدان المعركة ليس في برنامج التعليم الذي يتلقاه الجنود ما هو أشد حين الاختبار من ضرب النار. فإن تكتيكات النيران في جيش من الجيوش، وإشراك النيران والحركة، واتجاه النيران والسيطرة عليها من القادة، ومراعاة جنود الصفوف لنظام النيران، كل هذه لها أثرها في الفوز أو الإخفاق في ميدان المعركة.

فالنيران يجب إدارتها من قبل قائد وحدة النيران، وتوجيهها إلى غرض يراعي في اختياره الذكاء ودقة التحديد. ويجب على من يلي قائد الوحدة في الأقدمية أن يسيطر عليها؛ إذ يتحتم عليه أن يكون قادرًا على تمييز الأغراض المعينة، وأن ينظم معدل سرعتها، وأن يكون على اتصال بالمورد الذي تأتي منه الذخيرة وملمًّا بحالته. أما نظام النيران فيجب المحافظة عليه بدرجة تتفق وتنفيذ الأوامر الشفوية والإشارات بغاية الدقة، وتطبيق ما اعتادته الجنود أثناء فصل التعليم في ميدان المعركة. أما الوقت الذي تفتح فيه النيران فكثيرًا ما يترك أمره لرأي قائد وحدة النيران، ولكن بصفة عامة ، يجب على القوة الهاجمة أن لا تفتح النيران إلا إذا استحال عليها موالاة الزحف بغيرها. وحتى في الدفاع حيث يحتمل أن يكون الوصول إلى الذخيرة الاحتياطية أسهل بكثير ما في حالة الهجوم، فإن ادخار النيران وإرجاءها إلى أن يصل العدو إلى المرامي القريبة يكون بوجه عام أكثر تأثيرًا من فتحها على المرامي البعيدة. أما النيران المؤثرة التي يطلقها المدافعون عن مسافات قريبة بعد أن يكونوا قبل إطلاقها في موقف سلبي لا يُبْدُون مقاومة. فقد ظهرت قيمتها في المعارك المرة بعد الأخرى من الوجهة التكتيكية.

ففي ١٣ سبتمبر سنة ١٧٥٩ لما كان الجنرال وولف Wolfe فوق «مرتفعات أبراهام» كان قد جمع جنوده وانتظر هجوم مونتكالم Montcalm ، ولم يأمر الجنود بفتح نيرانهم إلا بعد أن صار المهاجمون على مسافة أربعين خطوة، وبعد ثلاث دقائق هجم المدافعون بالسونكيات على العدو الذي تضعضع واكتسحوا الفرنسيين أمامهم.

وفي معركة تل بانكر Bunker (في ١٧ يونيو سنة ١٧٧٥) أوقع مستعمرو أمريكا بالقوة البريطانية الهاجمة من الخسائر ما بلغ ٤٦٪ من مجموعها، وذلك بأن ادخروا نيرانهم «إلى أن ظهرت علامات ألبسة الجنود وأزرارهم، وأمكن تمييزها بوضوح وجلاء».

وفي موقعة فردريكسبرج (١٣ ديسمبر سنة ١٨٦٢) هجم اللواء الأيرلندي من جيش البوتوماك التابع للولايات المتحدة بقيادة الجنرال ميغر Meagther على تل ماري Mary بقوة يبلغ عددها ١٢٠٠ جندي، فما كان من جنود الجنوب المدافعين إلا أن ادخروا نيرانهم حتى صار المهاجمون على مسافة ١٠٠ ياردة من موقعهم، ثم طردوهم بعد أن كبّدوهم خسائر بلغت ٩٣٧ من قوتهم الأصلية البالغة ١٢٠٠.

وفي أغسطس سنة ١٩١٤ احتفظ الجيش البريطاني النظامي أثناء التقهقر من منز Mons بنيرانه إلى أن وصل الألمان إلى النقطة التي هي أشد تأثيرًا من غيرها في مرمى البندقية، ثم ردوهم المرة بعد الأخرى حيث لم يبق منهم سوى القتلى والجرحى جروحًا مميتة.

وفي الحرب العظمى من أولها إلى آخرها برهن الجنود الذين تعلّموا تعليمًا تامًّا على النظام البريطاني لضرب النار، وكانوا يستعملون البندقية القصيرة ذات الخزنة من طراز لي انفيلد، على ما لهذا النظام وهذا السلاح من القيمة ما لا يدع مجالًا لجدل. وبمناسبة بيان الطرائق التي اتبعت في صد التعرض الألماني الكبير الذي وقع في ربيع سنة ١٩١٨، أصدرت هيئة أركان الحرب العامة منشورًا جاء فيه ما يأتي:

«لقد كانت النيران السريعة العامل الحاسم لهذه العمليات؛ فإن الجنود كانوا يثقون تمامًا ببنادقهم ويعرفون كيف يستعملونها كما يجب أن تستعمل».

أما التفوق في النيران فلا يمكن إحرازه إلا بتعاون المدفعية مع المشاة في كل مرحلة من مراحل المعركة، وما لم يتعاون المشاة فلا يحتمل أن تأتي المدفعية بتأثير

حاسم، أما المدافع الرشاشة ذات المرامي البعيدة، ففيها مساعدة ذات أهمية للمدفعية في ستر المشاة الهاجمين ومساعدتهم، والنيران الجانبية التي هي أشد النيران تأثيرًا فإن تسليطها الآن أسهل مما كان فيما مضى، وذلك بسبب زيادة مراميها المؤثرة ومعدل سرعة نيرانها.

وفي العادة يتعاون الإمداد والاحتياط المحلي مع الجنود الأمامية معاونة تأتي بأعظم تأثير، بتسليط النيران على أجنحة العدو التي توقف تقدم الحركة بنيران أمامية. ففي أثناء الهجوم المضاد لاسترجاع الجرف الواقع في زاوية إيبر Ypres الخارجية (٢ مارس سنة ١٩١٦) الذي قام به جنود الفرقتين الثالث والسابعة عشرة، توصلت الميمنة والقلب إلى غرضيهما، أما القسم المهاجم من اليسار فإنه أخفق في أول محاولة للوصول إلى الخنادق الألمانية، إلا أن الذين اخترقوا الخط الألماني من جنود الميمنة أدركوا الموقف وأتوا بمدفع من مدافع لويس وسلّطوه على الخط الذي كان العدو يقاوم منه فضربوا خنادقه ضربًا جانبيًّا تامًّا، وبذا مكّنوا بلوك الميسرة من الوصول إلى غرضه.

التحرك:

إن تأثير التحرك ملازم دائمًا لتأثير النيران، فإن الأول يمكّن من فتح النيران فضلًا عن كونه وسيلة للنجاة من تأثيرها وشدتها، ومن الممكن في أغلب الحالات تحريك وحدة واحدة فقط مستترة بنيران الوحدة الأخرى، وفي الإمكان استخدام التحرك للتخفيف عن وحدة من تأثير النيران المركزة عليها بتحريك وحدة أخرى على العدو. ثم إن تقدم الجنود تقدمًا مستمرًّا وسريعًا له تأثير مزدوج: الاقتراب من المرمى الذي يستطاع منه إحراز التفوق في قتال النيران من جهة، وتقليل خسائر القوة الزاحفة من جهة أخرى؛ لأن الجنود إذا بقيت ثابتة في أماكنها وهي مكشوفة لنيران شديدة على مرمى معلوم فمن الواضح أن تكون خسائرهم أكثر مما لو تقدموا، وتحل بهم هذه الخسائر دون أن يقتربوا من غرضهم، بينما كلما اقترب خط الهجوم من الغرض وازداد التقدم ثباتًا ضعفت ثقة العدو بمقدرته على إعاقة التقدم، وترتب على ذلك أن تكون الخسائر أقل. وليس هناك «طراز ثابت» موضوع فيما يختص بتحرك المشاة وتشكيلها وهي تحت النيران، إلا أن الكتب الرسمية قد نصت على بعض مبادئ قطعية معينة.

فإذا كانت السلامة هي أول ما يحتاج إليه كما في حالة (الحرس الأمامي وحرس الجنب والحرس الخلفي)، وجب أن يكون التحرك بوثبات من موقع تكتيكي إلى آخر تحت حماية نيران جنود الإمداد. أما إذا كان «الغرض» هو الاعتبار الأول فإن السلامة تكون أمرًا ثانويًّا بالنسبة لضرورة الوصول إلى الغرض، وأما التشكيلات الموصى بها في الكتب الرسمية للوقاية من نيران المدفعية أو نيران المشاة ذات المرامي البعيدة فهي قولات صغيرة قليلة كل منها ضيق المواجهة مثل البلاتونات بالأربعات أو الأصناف بالقطار، بحيث تكون مرتبة على جبهة غير منتظمة لتكون مرامي مدافع العدو إليها مختلفة بعضها عن بعض، وأما الجنود التي تأتي فجأة تحت مثل هذه النيران فإنها تتجنب الخسائر بكيفية أسهل من تلك بأن تتحرك إلى الأمام وإلى الخارج بتلك الكيفية، بدلًا من بقائها تحت ساتر يقام مؤقتًا في موقع يكون العدو عارفًا مرماه بالدقة.

وأما إزاء نيران المدافع الرشاشة أو نيران البنادق المؤثرة، فإن تشكيل رأس سهم مع تأخير الأجنحة جيدًا إلى الخلف، هو أفضل من الخط الفردي المنتشر بمسافة عدد من الخطوات بين الجندي والآخر؛ لأن الأول يكاد لا يكون أكثر عرضة للإصابات من الثاني كما أنه أسهل منه من حيث المراقبة.

أما في حالة التقهقر فإن الخسائر تكون بوجه عام أكثر مما في حالة التقدم أو في استمرار قتال النيران من موقع اكتسب إلى أن تأتي جنود الإمداد لتحول التفات العدو وتمكن من وثبة أخرى، والعدو يستطيع بوجه عام أن يوجه إلى الجنود المتقهقرة سيلًا من الرصاص جيد التوجيه، والسبب الرئيسي في ذلك أنه لا يلاقي مضايقة من المتقهقر مثل ما يلاقي من المتقدم، ولذا يجب أن يراعي مبدأ تبادل الوثبات في التقهقر بين الأقسام المشتركة التي يستر كل منها الآخر بنيرانه، ثم ينسحب بدوره تحت ستر نيران الجنود التي سبق له أن سترها بنيرانه، والتقهقر المتبادل على هذه الصورة هو روح تكتيكات الحرس الخلفي.

على أنه وإن كانت هناك أوجه معينة أخرى في المعركة تبرر انسحاب الجنود، فإنه يجب أن لا يغيب عن البال مطلقًا أن الموقع الذي يحتفظ به إزاء هجوم مضاد، أفضل من الموقع المكتسب بالاقتحام؛ لأن الأول لا يحتاج إلى اقتحام، وكثيرًا ما يكون من المستحيل التنبؤ بما للمقاومة في نقطة مخصوصة من القيمة، فقد يكون مصير أمة معلقًا على همة قائد بلاتون وثباته على المقاومة مهما كلفته، ففي حملة

سنة ١٨١٤ أرسل البرجادير جنرال مورو Moreau إلى قلعة سواسون Soissons بتعليمات لأن يحافظ على المدينة، وكانت قوته تتركب من ١٢٠٠ من كل الأسلحة معها ٢٠ مدفعًا، وفي منتصف الساعة الحادية عشر من صباح يوم ٢ مارس ضرب الروس تحت قيادة ونتسنجرود Winzingerode والبروسيون بقيادة بولوف Bulaw القلعة بالمدافع، وفي الساعة الثالثة بعد الظهر هجموا على القلعة، فصُدّ هجومهم بسهولة، وجاء هجوم مضاد أرجع الهاجمين إلى خطوطهم، ثم أعيد ضرب المدينة بالمدافع واستمر حتى الساعة العاشرة، فكانت كل خسارة الحامية ٢٣ قتيلا و١٢٣ جريحًا، وفي أثناء الليل أرسل المحاصرون راية الهدنة إلى مورو، وفي ٣ مارس سلم هذا الجنرال لأعدائه مع المحافظة على شرف الحرب (أي السماح له بالانسحاب بأسلحته)، وذلك «لكي يحفظ للإمبراطور ١٠٠٠ رجل من رجال الحرب»، وقد أدى عمله هذا إلى ضياع عرش نابليون، فلو أن مورو ثبت في مقاومته لسحق الإمبراطور ألد أعدائه وهو بلوخر Blucher (الذي أفلت من الشَّرَك الذي كان فيه بواسطة جسر سواسون)، ولكانت الحملة انتهت. ولو أن مورو استنفد كل وسائل الدفاع كما تقضي قوانين الحرب لكان من المؤكد أن يثبت ٤٨ ساعة أخرى، وبما أن صوت النيران الثقيلة كان مسموعًا بجواره، كان لا بد أن تنجلي له الحقيقة من أن النجدة كانت قريبة منه.

وفي معركة إيبر الأولى Ypres I (من ٢٠ أكتوبر إلى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٤) كان الجيش النظامي لبريطانيا يشغل في أوائل الأمر فتحة متسعة في خط الدفاع، لدرجة أن في كثير من أجزائه كانت توجد بندقية واحدة لمواجهة اتساعها ١٧ ياردة، ولم يكن هناك احتياط محلي ولا احتياط عام له، وكانت قوات الألمان الهاجمة تفوق المدافعين عددًا بمقدار عظيم، وأتت معها بمدافع رشاشة وبالمدفعية بقوة متفوقة، ولم تكن المدفعية البريطانية أقل وزنًا من المدفعية الألمانية فقط بل إنها كانت في عوز إلى الذخيرة لدرجة اضطرت الجنرال فرنش French لأن يحدد عدد الطلقات التي تطلق يوميًّا، على أن الخط ظل ثابتًا وقامت الجنود في ٣١ أكتوبر بهجمة مضادة تتقدمها الأورطة الإثنية من آلاي ورسترشير، فاستعملت السونكي وأعادت الخط في غيلوفلت Gheluvelt في أحرج لحظات المعركة، إلى ما كان عليه، فلم ينفذ الألمان من خط الدفاع أو يجتازوه، وهذه الموقعة المستبسلة قذفت الألمان إلى ما وراء خنادقهم، وأعاق ذلك «الجيش الصغير الحقير» بقيادة فرنش «الزحف إلى كاليه».

وفي معركة إيبر الثانية (٢٢ أبريل – ١٨ مايو سنة ١٩١٥) اكتسب الألمان ميزة أولية بالمفاجأة التي قاموا بها من حيث الزمن ونوع الهجوم، فإنهم حشدوا قواتهم سرًّا، فضلًا عن أنهم أوجدوا الغاز السام، وترتب على ذلك أن انكشفت ميسرة البريطانيين فقامت فرقة من جنود كندا بهجوم مضاد على الجناح الألماني، وما حل يوم ١٨ مايو حتى كان الحلفاء قد استردوا كثيرًا من النقط التي أخذت منهم.

وفي أثناء معركة السوم الأولى تمكنت جنود آلايي «الرويال وست،كنت» و«الكوين» Queen من الاستقرار في غابة ترون Throne (١٤ يوليه سنة ١٩١٦). وقد بقوا في مواقعهم طول الليل في الركن الشمالي من الغابة مع أن العدو كان يحيط بهم من كل جانب، ثم إنهم استعادوا الاستيلاء على الغابة نهائيًّا وتنظيفها من الأعداء في الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي.

وقد حصل ما يماثل ذلك في قرية بورلون Bourlon (٢٥ – ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٧) حينما ثبتت أقسام من آلاي «إيست سوري» الثالث عشر في الجانب الجنوبي الشرقي من القرية أثناء هجمة مضادة قام بها الألمان وحافظت على موقعها إلى أن أعيد الاتصال بها بعد ذلك بثمانية وأربعين ساعة.

وفي مجموعة من الحقول المحصنة جنوبي غابة بوليجون Polygon (٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٧) أثناء معركة إيبر الثالثة حينما ثبت بلوكان من آلاي «أرجيل» Argyll وسذرلند هايلندرز Southerland-Highlanders الليل بطوله مع أنهما قد انفصلا عن بقية الفرقتين ٣٣ و ٣٩، وبقيا ثابتين إلى أن تجدد الهجوم وظهرت الجبهة من جنود العدو.

وفي ٩ أبريل سنة ١٩١٨ حينما بذل الألمان جهود المستبسل لاختراق خطوط الحلفاء المحيطة بهم، كانت الفرقة ٥٥ وست لنكشير محتلة أطلال جيفتشي Givenchy. ثم ثبتت ثباتًا لم يتزعزع في الطرف الأيمن من المضيق الذي كان يأمل «فون آرنم» Von Arnim و«فون كواست» Von Quast أن يسلكاه بجنودهما لتنتشر منه وتوسع جبهتها إلى أن تصل إلى وادي الليز Lys، بينما قامت الفرقة التاسعة باسترجاع طرف المضيق الأيسر (تل مسين) Messines بهجمة مضادة. وكان الحرس أيضًا وغيره من الفرق يرابطون بثبات عظيم في منتصف الخط، وكان

الكثير من هذه الفرق قد تكبد خسائر جسيمة في الجيش الخامس أثناء الهجوم الألماني الذي وقع في الأسبوع الأخير من شهر مارس.

وبعد إحدى وعشرين يومًا انقضت في قتال في غاية الاستبسال (٢١ مارس – ١١ أبريل سنة ١٩١٨) يتضمن الهجوم على نهر الليز أصدر المارشال هايج Haig أمرًا خصوصيًّا أشار فيه بلهجة التوكيد إلى ما للثبات في كل موقع مهما كلف من القيمة فقال:

«يجب الثبات في كل موقع حتى آخر جندي، أما التقهقر فيجب تجنبه. فلا تقهقر ولا رجوع... فسلامة أوطاننا، وحرية الجنس البشري، يتوقفان بدرجة واحدة على سلوك كل فرد منا في هذه اللحظة العصيبة... وسيكون النصر في جانب الفريق الذي يكون أكثر جَلَدًا من الآخر».

وفي الأمر الختامي الذي أصدره السير د. هايج في ٢٣ أبريل سنة ١٩١٨ (عيد القديس جورج) اختص الجنود الموجودة تحت قيادته بجميل الثناء.

وقد بلغ عدد الفرق التي استخدمها الألمان من يوم ٢١ مارس إلى يوم ٢٣ أبريل سنة ١٩١٨ أمام البريطانيين لا غير ١٠٢ فرقة (أي نحو ١.٥٠٠.٠٠٠ جندي) كثير منها ألقى به في القتال مرتين أو ثلاث مرات.

وجاء في رسالة هايج ما يأتي:

«إن الجيش البريطاني من كل الرتب وكل الأسلحة والمصالح قد أظهر من البسالة والإقدام وصدق العزيمة ما يستحيل أن يصل مدحه والثناء عليه إلى حد المبالغة، وذلك لما أبداه في مقاومة الضربات العنيفة التي تمكن العدو من توجيهها إليه بفضل ما حشده من الجنود».

النيران الساترة:

إن الواجبات الرئيسية لوحدات مدافع الماكينة مدة سير المعركة من أولها إلى آخرها هي معاونة المشاة بنيرانها معاونة يبدو فيها النشاط والعزيمة. ففي الهجوم يتحتم على بلاتونات مدافع الماكينة أو أصناف حملة البنادق التي تخصص لإيجاد نيران ساترة، أن تعتني باختيار أهدافها التي تطلق النار عليها بحيث تكون هي نفس أقسام جنود العدو التي تكون نيرانها العائق الرئيسي للتقدم. فأحيانًا تنضم بلاتونات المدافع الماكينة وتعمل معًا، وأحيانًا تبقى منفصلة. وتعمل تحت قيادة قادة

الأورط. وبعد أن تنجح وقتيًّا في إيجاد النيران الساترة، يتوقف عملها على توزيعها التكتيكي في ذلك الحين، ثم إن بلاتونات المشاة المعينة لإيجاد نيران ساترة يتحتم عليها بمجرد أن يبطل تأثير نيرانها أن تنضم إلى الجنود الزاحفة لتعاون الجنود الأمامية، إلا إذا صدرت لها أوامر قطعية تخالف ذلك.

النيران والحركة:

قد رأينا مما مر بيانه أن النيران والحركة شيئان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، فاستخدامهما بالحكمة في اشتباكات الجنود يمكّن المشاة من إحراز غرضها في المعركة، ومن تسليط نيران متفوقة تجعل الزحف على العدو والاقتراب منه أمرًا ممكنًا، ويصبح العدو أمام أمرين، إما أن يُستدرج إلى التسليم، وإما أن يتم التغلب عليه باقتحامه بالسونكي، فيبدأ التمهيد لإعادة التقدم مرة أخرى، وهكذا، حتى يتم التضييق عليه تضييقًا لا منفذ فيه، أو أن ينهزم هزيمة تامة.

أنواع القتال في المعركة

يجب أن تكون المعركة عمليًّا، إما هجومية أو دفاعية. على أن الموقف الأول الذي يقفه أي الفريقين المتحاربين قد ينعكس أثناء القتال. فإن قيام جيش بهجوم مضاد شديد بعد أن يكون قد دخل المعركة وهو في وضع دفاعي قد يقذف بخصمه إلى موقع دفاعي، بينما أن المهاجم قد يقاتل ببطء في ناحية من أنحاء الميدان مع أن قتاله يكون هجوميًا في ناحية أخرى، وتوجد ثلاث طرائق للقتال في معركة، تمتاز كل منها عن الأخرى، وهي: (١) دفاعية و(٢) هجومية و(٣) دفاعية هجومية وبالعكس.

المعركة الدفاعية:

من النادر أن تأتي المعركة الدفاعية بنتائج إيجابية إذا استثنينا معركة جيتزبورج Gettysburg (١ – ٣ يوليه سنة ١٨٦٣)، ففي هذه المعركة سمح الجنرال ميد Meade (جيش الشمال) للجنرال "لي Lee" (جيش الجنوب) بأن يدع قواته تتكسر على موقع قوي، وتتلف نفسها بالاصطدام به، وانتهى الأمر بأن اضطر جيش فرجينيا الشمالية لأن ينسحب، وبذا انتهى غزو أراضي ولايات الشمال، ومع ذلك فلا يجب أن يغيب عن البال أن القائد المرءوس بالجنرال "لي Lee" لم يقم بواجبه تمامًا، وأن الفوز الذي أحرزه الجنرال ميد كان يرجع بمقدار كبير إلى ذلك السبب.

ففي اليوم الثاني من معركة جيتزبورج (٢ يوليه سنة ١٨٦٣) كانت الفرقة التي كان يقودها الجنرال ج. ب.هود Hood وهي الفرقة الأولى من الفيلق الأول والذي كان بقيادة الجنرال لونجستريت J. Longstreet. قد انفتحت حول ميسرة الجيش الشمالي جنوبي «راوند توبس» Round Tops، ورأى الجنرال «هود» الفرصة سانحة لإنزال الضربة، فطلب الإذن من لونجستريت، وكانت خطة «هود» هي الوحيدة التي يؤمل معها إحراز نصر حاسم بالجنود الموجودة، على أن لونجستريت رفض المصادقة على هذا الزحف، وذلك اتباعًا للأوامر الصادرة إليه مراعيًا في ذلك منطوقها الحرفي مخالفًا لروحها، فكان عجز لونجستريت عن انتهاز الفرصة السانحة بمثابة الحكم بالإعدام على قضية ولايات الجنوب، ثم إن هزيمة بيرنسايد Burnside في معركة

فردريكسبرج (١٠ – ١٦ ديسمبر سنة ١٨٦٢) كانت بتكتيكات دفاعية محضة؛ إذ إن «لي» كان ينوي أن يتبع انتصاره بضربة مضادة حاسمة أفلت منها بيرنسايد بسحب جيش البوتوماك قبل نزول الضربة.

فالفوز المحدود الذي أحرزه كل من «ميد» و«لي» يندر أن يأتي على إثر انتهاج تكتيكات دفاعية محضة.

قال المارشال فوش:

«الشيء الذي يقال عنه «موقعًا منيعًا» لا وجود له. وكل موقع يقتصر في الدفاع عنه على الطرق السلبية المحضة (دفاع فقط) لا بد من سقوطه في النهاية في يد العدو الذي يقوم بالمناورات (التحرك)».

المعركة الهجومية:

لقد استخدم طريقة الهجوم (التعرض) كثيرون من أكبر القادة منهم «مارلبورو» Marlborough في بلنهايم Blenheim (٢ أغسطس سنة ١٧٠٤) وفي راميللي Ramillies (٢٣ مايو سنة ١٧٠٦) وفي مالبلاكيت Malplaquet (١١ سبتمبر سنة ١٧٠٩)، و«فردريك الأكبر» خصوصًا في لويذن Leuthen (٥ ديسمبر سنة ١٧٥٧) ونابليون، وجرانت، كما استخدمها قادة البروسيين في كل قتالهم، بوجه التقريب، في حملتي سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٧٠ – ١٨٧١، وعيوب هذه الطريقة أن عدم النجاح فيها لا يؤدي إلى كارثة محلية فقط، بل يتعداها إلى انكسار الجيش وإبادته بأجمعه.

ففي معركة بلنهايم (٢ أغسطس سنة ١٧٠٤) كان «مارلبورو» وهو «أعظم قادة عصره» قد حشد قواته مع قوات البرنس أوجين Eugene أمير سافوي في اليوم السابق ليوم المعركة، وتولى قيادة جيش بلغ عدده ٥٦٠٠٠ جندي ومعه ٥٢ مدفعًا، وكان يقابله جيشا المارشال تالارد Tallard وأمير بافاريا مجتمعين معًا، وعددهما يبلغ ٦٠٠٠٠ جندي، ومعهم ٦١ مدفعًا، وكان من الضروري لمارلبورو أن يهاجم عدوه قبل أن ينضم إليه فيلليروي Villeroy أو أن ينسحب إلى أن تحين له فرصة أكثر ملاءمة، وكان الجناح الأيمن لعدوه مستقرًا على تلال عالية تحميها نقط منفصلة، وجناحه الأيسر مستقرًّا على نهر الدانوب، بينما كان يقابل القلب وادي نهر النيبل Nebel، وهو وادٍ كثير المستنقعات متشعب الفروع الجارية في أراضي مغمورة بالمياه،

فرأى مارلبورو وقرر أنه لا بد من معركة بحكم الضرورة الماسة، فهجم في اليوم التالي، وجعل اعتماده الرئيسي في إحراز فوز حاسم على فرسانه متمثلًا «بهانيبال» Hannibal، وكان قواد العدو يعرفون عنه ذلك الميل، فهاجم جناحي العدو الأيمن والأيسر، ولما اشتدت رحى القتال وصار سجالًا بين الفريقين دفع هجمته الفاصلة على قلب العدو، حيث كانت صعوبة الأراضي تجعل هذه الهجمة غير منتظرة، وقد خسر مارلبورو ٥٠٠٠ قتيل و٨٠٠٠ جريح، أما خسائر الجيش المغلوب فلم تكن أقل من ٤٠.٠٠٠، منها ١٢٠٠٠ قتيل و١٤٠٠٠ جريح و ١٤٠٠٠ بين أسير وغائب.

المعركة الهجومية الدفاعية:

تنطوي الطريقة الهجومية الدفاعية على اتخاذ موقع يتحتم على العدو أن يهاجمه، ثم القيام بهجمة مضادة حاسمة بعد أن يستنفد العدو قوته، وقد استخدمت هذه الطريقة في كل حملة حربية بوجه التقريب.

وبهذه الوسيلة أحرز نابليون فتوحاته التاريخية في مارنجو Marengo (١٤ يوليه سنة ١٨٠٠) وفي أوسترلتز Austerlitz (٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥) وفي درزدن Dresden (٢٧ أغسطس سنة ١٨١٣)، وبها أيضًا أحرز ولنجتون انتصاراته في شبه الجزيرة (إسبانيا والبرتغال) في فتوريا Vittoria (٢١ يونيه سنة ١٨١٣)، وفي أورتز Orthez (٢٧ فبراير سنة ١٨١٤)، وفي طولوز Toulouze (١٠ أبريل سنة ١٨١٤)، علاوة على نصره النهائي في ووترلو Waterloo (١٨ يونيو سنة ١٨١٥).

وقد كانت هذه هي نفس الطريقة التي اتبعها المارشال فوش في حملة سنة ١٩١٨ الفاصلة التي دامت من شهر مارس إلى أن عقدت الهدنة.

ففي معركة ووترلو (١٤ يونيو سنة ١٨١٥) وقعت الضربة المضادة الحاسمة بناء على خطة ولنجتون التي كان قد دبرها من قبل، فقامت بها قوة قادمة من مسافة بعيدة إلى ميدان القتال، وذلك أنه في صباح ١٧ يونيه حينما صمم ولنجتون على أن يصمد للعدو في ووترلو كان يعلم أن البروسيين الذين كان أغلبهم حديثي العهد بخدمة الجندية، قد غلبوا في ليني Ligny، وأن نابليون كان لديه قبل المعركة ما ينوف على ١٢٠.٠٠٠ جندي، وكان مع ولنجتون ما لا يزيد عن ٦٨٠٠٠ من كل الجنود منهم ٣١٠٠٠ بريطانيون بما فيهم فرقة الملك الألمانية، ومع ذلك فقد انسحب من كاتربرا Quatre Bras عاقدًا النية على الثبات في ووترلو ومقاتلة جيش نابليون إذا

جاء المارشال بلوخر Blucher لمساعدته بفيلق واحد.

فهجم نابليون في الساعة ١١ صباحًا من يوم ١٨ يونيه ومعه ٧٢٠٠٠ جندي و٢٤٦ مدفعًا على ولنجتون الذي كان معه ٦٨٠٠٠ جندي و١٥٦ مدفعًا، ولكنه لم يستطع أن يزحزح الخط أو أن ينفذ إلى المربعات، وفي منتصف الساعة الخامسة مساء كانت إحدى فرق بلوخر تهجم الهجمة المضادة المتفق عليها على خط مواصلات نابليون، وبعد الساعة التاسعة مساء بقليل التقى كل من ولنجتون وبلوخر في «لابل اليانس» La Belle alliance التي كانت مقر رئاسة نابليون قبل المعركة وأخذت المطاردة مجراها.

وكثيرًا ما تسنح الفرص أثناء القتال لاسترجاع طالع المعركة أو لقلب الهزيمة المتوقعة إلى نصر مبين.

ففي معركة انتينام أو شاربسبورج Sharpsrug (١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٢) كانت خطوط الجنرال «لي» الضعيفة تصل إليها الجنود ببطء بعد أن أعياها السير الشاق، واشتد عليها الضغط كثيرًا، ولكن طرأت على هجوم جنود المشال برهة من التوقف والسكون حينما أعيق تقدم الجنرال هوكر، فلو أن الجنرال ماكليلان في تلك اللحظة قذف «بآخر جندي وآخر جواد» في هجوم قوي لما انتهت معركة أنتيتام بغير نتيجة ولم يكسبها أحد الفريقين، ولما رجع "لي" إلى فرجينيا بكامل حريته دون أن يزعجه شيء.

ولقد كان الانتصار الباهر الذي أحرزه "لي" في معركة تشانسلرزفيل (٢-٣ مايو سنة ١٨٦٣) – ولو أنه كان مشوبًا بذلك الحادث الذي أفقده ستونوول جاكسون – مثالًا بارزًا على نجاح الطريقة الهجومية الدفاعية في يد قائد عظيم، فقد هزم ٩٣٠٠٠ جنود بأقل من نصفهم عددًا، وذلك بأن قام بدفاع جزئي، بأن شاغل العدو بمقاومته بـ ١٣٠٠٠ جندي وضربه ضربة مضادة حاسمة ببقية جنوده.

وإن كانت هذه الطريقة المشتركة معتبرة لدى أغلب الثقات أنها أفضل الطرائق، حينما تبرر الظروف استخدامها، فإنها أيضًا أعظم اختبار للقيادة من جهة انتهاز فرصة حلول اللحظة الملائمة للتحول من خطة الدفاع إلى خطة الهجوم.

وهذه المسألة عرضت للمارشال فوش قائد قادة جيوش الحلفاء أثناء قيام الألمان

بحركتهم التعرضية الكبرى على الجبهة الغربية في سنة ١٩١٨، فإن الدور الدفاعي استمر من ٢١ مارس إلى ١٧ يوليه سنة ١٩١٨ ومع أن الحلفاء قاموا بكثير من الهجمات المضادة المحلية على طول جبهة القتال بأجمعها، إلا أنهم لم يتحوّلوا من الدفاع إلى الهجوم إلا حينما ابتدأت الضربة المضادة الحاسمة في معركة المارن الثانية (١٨ يوليه سنة ١٩١٨) على جبهة اتساعها ٢٧ ميلًا من فونتينوي Fontenoy إلى بللو Belleau، التي طردت الألمان وأرجعتهم وراء نهر المارن في ٢٠ يوليو.

معركة المارن الثانية (١٨ يوليه سنة ١٩١٨):

إن التعرض العظيم الذي قام به الألمان من مارس إلى يونيه سنة ١٩١٨ قد جدد في ١٥ يوليه حينما ابتدأت تمهيدات المدفعية بعد نصف الليل بقليل، وتكاثر توارد الجنود عند نهر المارن في قوارب صغيرة وفوق الجسور العسكرية، وهذا الهجوم لم يكن غير منتظر؛ لأن الجنود الاحتياطية الكافية كانت على قدم الاستعداد في أماكنها، وقامت المدافع بضرب شديد مضاد مصوّب إلى جنود الألمان في مواقع تجمعهم التي كانت قريبة من خط خنادقهم الأمامية فأوقعت بهم خسائر فادحة.

وقد وفق الألمان إلى اختراق المواقع الفرنسية والأمريكية في بعض أجزاء الجبهة البالغ اتساعها ٥٠ ميلًا، وقد كان أكبر عمق نفذوا إليه ٤ أميال جنوبي – غربي ريمز Reims، أما في سهول شامبانيا Champagne فكان النفوذ قليلا، وانكسرت حدة الهجمة وزالت قوتها الدافعة، وفي أثناء هجوم ٢١ مارس سنة ١٩١٨ لم يقف التقدم إلا بعد أن صار على مسافة مرمى السلاح من غرضه النهائي، ثم إن التعرض الذي وقع على نهر الأين Aisne في مايو سنة ١٩١٨ بلغ فيه التقدم ١٢ ميلًا، وقد ظهر من الأوراق الرسمية التي ضبطت أن الهجوم الذي وقع في شهر يوليه شرقي ريمز كان يرمي إلى الوصول إلى نهر المارن في إيبريني Eporney، وشالون Chalons، أي تقدم ٢١ ميلًا.

وقد كان من معالم أوائل أيام المعركة أن وقع هجوم مضاد مقرون بالحماس بالقرب من فوسوي Fossoy (في نهاية ميسرة القوات الألمانية) قامت به فرقة من الجيش الأمريكي دفعت الألمان إلى ما وراء خطهم الأول، وأخذت منهم ما ينوف على ١٠٠٠ أسير، وهذه الفرقة الأمريكية وطّدت الأراضي التي استرجعتها من منعرج

النهر ثم رابطت فيها. وقد استمرت المعركة ثلاثة أيام قبل أن يوقف الهجوم الألماني، وفي منتصف الساعة الخامسة من صباح يوم ١٨ يوليو قامت القوات الفرنسية والأمريكية والإيطالية بهجوم مضاد غيّر وجه الحملة الحربية بأجمعها. وأدى إلى النصر النهائي الذي أحرزه الحلفاء، وسقوط دول الوسط.

الهجوم

«المفاجأة هي أقوى سلاح في الهجوم في جميع الأوقات»

(تعليمات خدمة الميدان جزء ثاني سنة ١٩٢٠)

إن الغرض الذي يرمي إليه قائد أي قوة له مقدرة التحرك هو البحث عن العدو وسحق جميع قواته المنظمة، والهجوم هو الغاية التي تنتهي عندها التحركات؛ ولإدراكها على القائد أن يرتب هجومًا فجائيًّا غير منتظر على أحد أجزاء موقع دفاع العدو، وإحراز هذا الغرض لا يتأتى إلا إذا جمع القائد قوة كافية لتنفيذ قصده، وحصل بالاستطلاع وبالقتال على معلومات تنبئه عن درجة قابلية العدو للضرر، وبعد ذلك يسعى القائد لأن يفكك تشكيل العدو على حين بغتة حتى يقلب خططه رأسًا على عقب، وأن يحتفظ بقوة متجمعة يوالي بها الضربة دون أن يعطي العدو فرصة يتنفس فيها، وأن يدفع بجنوده إلى قلب جموع العدو التي انحل نظامها فاصلًا أحد جناحيه عن الآخر، وأن يتعقب قوات العدو المشتتة ويطاردها فيبيدها.

«في الحملات الحربية الحديثة إذا لم يحصل حسم سريع في الأسابيع الأولى فإن الجيشين المتناضلين ينتهيان إلى فقدان الحركة، وخصوصًا بسبب ما تعطيه التسليحات الحديثة للدفاع عن القوة، وعند ذلك يتوزع الجيشان على عمق عظيم، ويضطر المهاجم إلى مواجهة الضرورة القاضية عليه لا بكسر موقع واحد والنفوذ منه فقط، بل باختراق سلسلة من المواقع يمتد عمقها عدة أميال إلى الوراء».

(تعليم البيادة سنة ١٩٢١)

فمن الواضح أن نية القيادة الألمانية العليا في معركة السوم الثانية التي ابتدأت في ٢١ مارس سنة ١٩١٨ كانت متجهة إلى اختراق الجيشين الفرنسي والبريطاني، ثم فصل أحدهما عن الآخر، فالجيوش الألمانية كانت قد تحصنت بالخنادق عقب معركة

المارن الأولى (سبتمبر سنة ١٩١٤)، ثم بقيت ٤٣ شهرًا مجابهة للأمم المتحالفة: بريطانيا، فرنسا، والبلجيك، وقد أمدتها في النهاية الجنود البرتغالية وجيش الولايات المتحدة القومي، أما داخل حدود الخطوط المحيطة بالجبهة الغربية فقد كانت الجيوش الألمانية محصورة، وكان الحاجز واصلًا من ساحل بلاد البلجيك إلى حدود سويسرا إلى بحر الأدرياتيك.

ثم كان تدهور روسيا وسقوطها في سنة ١٩١٧ فمكّن فون هندنبرج من اتباع خطة التعرض بما ينوف على ١.٥٠٠.٠٠٠ جندي أخليت من الجبهة الشرقية، وقد دفع قسم من هذه القوة الاحتياطية مع الجيوش النمساوية – المجرية في هجوم عنيف على الخطوط الإيطالية، واستمر نجاح هذه المناورة إلى أن أرسلت النجدات من الجزاء الأخرى من خطوط الحلفاء، وقام الجيش البريطاني الثالث تحت قيادة السير جوليان بنج بحركة تحويلية في جهة كمبراي Cambrai (٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٧) منعت إرسال جنود ألمانية احتياطية أخرى إلى الجبهة الإيطالية، وجعلت القيام بهجوم مضاد في فرنسا أمرًا ضروريًّا، وعادت إلى ميادين القتال بفرنسا أهميتها مرة أخرى بصفتها الحيوية في مسرح العمليات.

وفي ربيع سنة ١٩١٨ استغل لودندوروف Ludendorff تحسن مواقعه وآماله في الميدان الغربي، وحاول النفوذ من الخطوط المحيطة به واختراقها على جهة تبلغ ٥٠ ميلًا، فسبق الهجوم ضرب بالمدافع في منتهى الشدة، ولما وقع آل إلى هجمة مستبسلة على الجيوش البريطانية شمالي نهر السوم وجنوبيه، وكانت النقط المتجهة التي سعى إلى اختراقها هي ميمنة البريطانيين حيث كان الاتصال بالفرنسيين على نهر أواز Oise بجوار لافير La Fere، وخط المواصلات البريطانية بجوار أميان Amiens. فارتد كل الخط البريطاني أمام الهجمة إلى الوراء واستعادت الجيوش الألمانية الأراضي التي كانت استرجعت بتقدم الجيوش الفرنسية – البريطانية على نهر السوم في يوليه سنة ١٩١٦.

على أن هذه المعركة لم تكن من أجل الاستيلاء على مدن وأراضي، بل إن ضربات الألمان المتوالية كان الغرض منها النفوذ بين الجيش البريطاني والفرنسي، واكتساح الجناح البريطاني نحو الشمال حتى ساحل البحر، والجناح الفرنسي نحو الجنوب حتى باريس، ثم الاستيلاء على خط المواصلات الرئيسي الموجود بين هذين الجيشين؛

الشمالي والجنوبي، إلا أن المارشال هايج خيّب الغرض الأول الذي كان يرمى إليه الهجوم، بأن أبدى مهارة في تعزيز النقط التي كنت مهددة، وبمساعدة الجيوش الفرنسية تقهقر الخط بأجمعه وهو يناضل عن الأراضي بمنتهى العزيمة والثبات محافظًا على الاتصال بين الجنوب والشمال، فاندفع رأس السهم الألماني إلى داخل الخط، ولكن الحلفاء قد خيّبوا كل محاولة لاختراقه والنفوذ منه، وقد اختلط الجيش الفرنسي بالجيش البريطاني أثناء المعركة، فللمحافظة على وحدة السيطرة تعين الجنرال فوش قائدًا فوق القادة، وهو الذي كان يقود الجيش الفرنسي التاسع في معركة المارن الأولى في سبتمبر سنة ١٩١٤، وجيوش نهر السوم الفرنسية أثناء التقدم في يوليه سنة ١٩١٦، وقد أعطى الجنرال بيرشنج Pershing قائد جيش الولايات المتحدة لقائد القادة حرية التصرف في إدماج الجنود الأمريكية بالجنود الأخرى في المكان الذي تدعو الحاجة إليه بالميدان، وبقي كل من المارشال هايج والجنرال بتان Pétain في قيادة الجيش البريطاني والفرنسي.

طرائق الهجوم:

إن الغرض الذي يرمي إليه كل هجوم هو إخماد مقاومة العدو بثقل ضغط النيران وإدارتها، ثم إتمام التغلب عليه بالاقتحام وضربه ضربة فاصلة بأعظم قسم ممكن من القوة الهاجمة في نقطة مختارة من موقع العدو أو في قسم منه، والتعبير الاصطلاحي المسمى «الهجوم الفاصل» لا يعني أن أثر الهجمات الأخرى له يكون فاصلًا، بل معناه الغاية التي ينتهي إليها تدريجيًّا الضغط الذي يأخذ في التزايد على العدو بلا رحمة ولا شفقة بمجرد الاتصال به لأول مرة.

خطتا الهجوم:

للهجوم خطتان: الأولى – أن يعين في بادئ الأمر الاتجاه المطلوب توجيه الضربة الفاصلة إليه، فتعين قوة كافية وتدفع إلى الأمام لهذا الغرض، ثم تعين قوة أخرى في نفس الوقت لتهجم على قسم آخر من الموقع قصد استلفات نظر العدو إليها، وليبق جنوده في مواضعها وتمنعه من إرسال نجدات إلى القسم الموجه إليه التهديد بصفة رئيسية، وأخيرًا تسير في هجومها بمنتهى القحمة الموفقة التي يقوم بها الهجوم الرئيسي، أما بقية القوة فتكون قليلة وتبقى في الاحتياطي العام لمقابلة الطوارئ.

أما الخطة الثانية – فهي أن يقوم قسم من القوة الهاجمة بالاشتباك مع العدو في قتال عام تدريجيًّا، ويبقى القسم الآخر بصفة احتياطيًا عامًّا، يلقى به في المعركة عندما تحين الفرصة، أي في الوقت والمحل الملائمين، وفي هذه الحالة لا يقل القسم «الباقي» عن نصف القوة الموجودة.

والخطة الأولى يمكن اتباعها حينما تكون لدى قائد القوة الهاجمة معلومات أكيدة عن امتداد موقع العدو، أي حينما يكون علم بالمحلات التي تستند عليها أجنحته، وبمقدار قوته المصطفة أمامه، بوجه التقريب، ويجب أن يكون في الإمكان أيضًا تقسيم القوة الهاجمة إلى أقسام، دون أن يكون في ذلك مجازفة لا ضرورة لها يكون كل منها من القوة بحيث لا يستطيع العدو التغلب عليه على حدة، ولا يغيبن عن البال أنه في حالة ما إذا حصل توقف عام لا يوجد إلا احتياطي عام صغير لاسترجاع طالع المعركة، ثم إن في الإمكان اتخاذ الخطة الثانية حينما تكون المعلومات عن العدو ناقصة، ونظرًا لوجود قوة كبيرة لدى القائد في الاحتياطي العام، ففي الاستطاعة استغلال الموقف وتطوره بالقتال من غير مجازفة غير ضرورية.

قوة الهجوم:

يجب ألا يغيب عن البال أبدًا أن القائد لا يستطيع أن يكون أقوى مما يلزم عندما يهاجم خصمه؛ لأنه لا يستطيع مطلقًا أن يتأكد تمامًا من مقدار القوة التي قد يلتقي بها، ولا من اللحظة التي قد يقوم فيها الخصم بهجوم مضاد، والهجوم على خصم يفترض فيه وجود قوة متفوقة في المكان الذي يقع فيه الهجوم؛ لأن الحرب ليست إلا فن التفوق على العدو في القوة وفي المكان والوقت الصحيحين، ولكيما يكون الهجوم مقرونًا بالأمل بالنجاح بدرجة معقولة يجب أن يكون المهاجمون متفوقين في القوة على عدوهم في النقطة التي يحصل فيها اختراق موقعه.

توزيع الجنود (أوضاعها):

يتطلب كل طور من أطوار الهجوم عادة ثلاثة أقسام من الجنود كل منها منفصل عن الآخر لتنفيذ ذلك الطور: قسم أمامي ومهمته البحث عن العدو ومهاجمته – بعد العثور عليه – على طول جبهة القطاع المخصص له (أي لذلك القسم)، وإخماد مقاومته بالضغط عليه دون شفقة، حتى يكتشف الأجزاء

الضعيفة في دفاعه، وإمدادٌ مهمته اختراق الأجزاء الضعيفة في الدفاع والنفوذ منها، ثم المبادرة بمهاجمة أجنحة ومؤخرة أجزاء الدفاع التي تكون عائقة للهجوم، ولهذا الإمداد احتياطي محلي لمقاومة الهجمات المضادة المحلية، واحتياطي عام وبه يستثمر القائد النصر الذي يتم، أو يتلافى الفشل إذا وقع.

القسم الأمامي - الإمداد - الاحتياط المحلي:

إن أهم واجبات القادة الموجودين في خط النار هي التقدم بجنودهم إلى الأمام، وإذا كان كل قائد منهم متشبعًا بالعزيمة على الالتحام بالعدو فإنه يؤدي مساعدة لجاره أيضًا دون أن يشعر بها؛ لأن القاعدة هي أن أفضل طريقة لمعاونة الوحدة المجاورة هي التقدم إلى الأمام.

وكثيرًا ما يعاق الهجوم بنيران مدافع الماكينة الحسنة الإدارة، وبرماة البنادق ذوي العزيمة، الجيدي التدريب، الذين يوضعون في مواقع مختلفة أو هُيِّئَت جيدًا.

فالتكتيكات التي تتبع في هذه الحالات مبينة بالإيجاز في «قانون تعليم المشاة سنة ١٩٢١» فيما يأتي:

«عندما يعاق تقدم الجنود الأمامية بنيران العدو المنظمة التي تطلق من مرامي قريبة، يتحتم عليهم أن يبقوه في مكانه ويستجلبوا التفاته إليهم بإطلاق نيران شديدة دائمة، ثم يتحسسون طرق الاقتراب منه حينما تسنح الفرصة، أما وظيفة الإمداد فهي الالتفاف حول جناح جزء دفاع العدو الذي توجد به حامية تقاوم الجنود الأمامية، وضرب ذلك الجزء من الجنب، وللتوصل إلى ذلك قد يضطر الإمداد أن يتحول عن خط تقدمه المستقيم ويقتفي أثر وحدة مجاورة تكون قادرة على التقدم، ويجب ألا يغيب عن البال مطلقًا أن الضغط على العدو يجب أن يكون من قبل جنود الإمداد في الأماكن التي يكون فيها الهجوم مستمرًّا في سيره لا في الأماكن التي يعاق فيها، كما يجب ألا يحصل ذلك مطلقًا بتعزيز خط الجنود التي تكون قد عجزت عن التقدم أو تقويته بالإكثار من عدد الجنود فيه، وفي نفس الوقت يجب أن لا يخف ضغط الجنود الأمامية التي أعيقت مؤقتًا؛ لئلا يتوجه التفات المدافعين إلى الهجمات الجانبية الموجهة إليهم».

أما الاحتياطي المحلي فهو للهجمات المضادة المحلية إما بالنيران وإما بالحركة لمقابلة المجهودات المماثلة لها التي يقوم بها الاحتياطي المحلي للعدو، وفي الحملات

الحربية الحديثة يؤدي هذا العمل على وجه مثمر بنيران مدافع الماكينة التي تطلق من فوق الرءوس من مدافع موزعة بالعمق، ومن ثم فإن الاحتياطي المحلي المتنقل قد يتألف من وحدات أصغر تعين لهذا الغرض من الجنود الأمامية أو من الإمداد.

ففي أثناء التعرض الألماني العظيم في ربيع سنة ١٩١٨ كانت الهجمات الموجهة إلى نهر السوم والليس تصد دائمًا بنشاط الدفاع الفرنسي – البريطاني واستبساله، حتى أن هيئة أركان الحرب الألمانية العامة أصدرت التعليمات الآتية لمقابلة ضرورات هذه الحالة: «إذا أعيق تقدم الجنود الهاجمة بسبب نيران مدافع الماكينة، فعليهم أن ينطرحوا على الأرض ويداوموا على إطلاق نيران بنادقهم بثبات، بينما تحاول الإمدادات الخلفية والتي على الأجناب أن تدور حول أجناب أماكن مدافع الماكينة العائقة من الهجوم وتأتيها من الخلف، وفي نفس الوقت يجب على قائد الأورطة المكلفة بالهجوم أن يتخذ التدابير لإعداد مدد المدفعية والهاونات الخفيفة المستعملة في الخنادق، وعليه أن يقي أجنحته من نيران المدافع الماكينة بواسطة الدخان».

الاحتياطي العام:

في الحملات الحربية الحديثة إزاء جنود متمدينة، من النادر، وقد لا يحصل مطلقًا، أن تؤدي مجهودات الجنود الأمامية، والإمداد، والاحتياطي المحلي إلى إبادة العدو والحيلولة دون إعادة لم شمله واسترجاع قوة قتاله، فحتى إذا تيسر الاستيلاء على كل جزء من أجزاء الموقع المهاجم والمرابط فيه، فإن هذا وحده لا يقضي على العدو ويمحوه من الوجود كقوة مقاتلة، وإذا تمكن من الانسحاب بشيء يشبه النظام والقوة المعنوية فإن عمل القوة الهاجمة يكون قليل النفع؛ إذ إن الغرض النهائي الذي يرمي إليه القائد هو إبادة العدو لا مجرد الاستيلاء على الأراضي التي حصل عليها بالمصادمة، ولذلك فهو يتقبل أنسب الفرص السانحة لإتلاف العدو بالتغلب عليه في ناحية من أنحاء ميدان القتال أثناء العمليات المقرونة بالنجاح التي تقوم بها قوته الهاجمة، على أنه قد يحصل بالرغم من ذلك أن تكون مجهودات القوة الهاجمة غير مكللة بالنجاح بوجه عام، وأن يكون العدو على وشك الفوز بالظفر، فبواسطة الاحتياطي العام يستثمر القائد الفوز الذي تحرزه القوة الهاجمة، أو يتلافى الفشل الذي يصادفه، والقائد يكون قد اختار نقطة أو موقعًا في نظام العدو الدفاعي يستطيع أن يوجه إليها أو إليه هجمته الفاصلة،

وهذه النقطة لا يمكن تعيينها عادة إلا بعد أن يكشف عنها النجاح الذي تصادفه الجنود الأمامية والإمداد، وبعد انتخابها توجه إليها وعلى غير انتظار أعظم قوة يمكن الحصول عليها، وبينما يكون والحالة هذه عدد الجنود الأمامية، والإمداد والاحتياطي المحلي كافيًا للقيام بالمهمة المكلفين بها، فإن القائد يحتفظ بوجه عام بنحو نصف القوة الموجودة لنقوم بالهجمة الفاصلة، وبعد إنزال هذه الضربة الفاصلة يستمر الاحتياطي في تعقب العدو المغلوب حتى تحضر جنود أخرى من المشاة، أو الفرسان، أو الدبابات، وتلحقه ثم تتجاوزه.

فإذا أخفقت الجنود الهاجمة ولم تحرز غرضها فإن القائد تبقى لديه وتحت تصرفه الوسيلة التي بها يستبدل الجنود المتعبة بغيرها، ثم التي تلزم لمعالجة «الهجوم المضاد الحاسم» الذي يقوم به العدو.

خطط القائد:

بمجرد ما تتورط الجنود في عملية الاقتحام يصبح القائد عاجزًا عن تحويلها إلى عمل آخر، أما سيطرته فإنها تمارس عن طريق تفسير قواده المرءوسين لخطته الأصلية تفسيرًا صحيحًا أو تنسيقها تنسيقًا ملائمًا، فالقائد قبل أن يدفع جنوده للهجوم طبقًا للقرارات التي قر عليها الرأي بناء على المعلومات المتحصلة، عليه أن يجمع مرءوسيه وممثلي الأسلحة أو التشكيلات المشتركة في التعاون ليفصح لهم عن خططه، وهذا المؤتمر ينعقد في وقت يمكّن مرءوسيه من شرح الدور الذي سيؤدونه لمن يليهم من قادة الوحدات الثانوية، ويجب أن يسبق المؤتمر استطلاع شخصي كلما أمكن ذلك لاكتشاف الأراضي المطلوب إجراء الهجوم عليها، وإلا فلا بد من وجود خريطة للجهة المختصة لتقوم مقام الاستكشاف الشخصي.

والذي يراعيه القائد في وضع خططه هو حالة الحملة الحربية في الوقت الذي يتقرر فيه الهجوم، ففي المراحل الافتتاحية من الحملة في بلاد كثيرة السكان، وعلى العموم في مدة دوام الحملة في النواحي القليلة العمران فإن حرب المناورات تؤدي إلى «معركة تصادمية»، والغرض الذي يرمي إليه إذ ذاك لا يُحدِّده شيء سوى قوة الجَلَد الذي تتصف به جنوده الظافرة بما يلزمها من الذخيرة والطعام.

ففي مثل هذه الأحوال يكون الغرض مقيدًا بتحديدات أخرى، فالموقع الدفاعي يكون منظمًا بعمق كبير، ومع أن اختراقه اختراقًا مثمرًا يكون والحالة هذه أكثر صعوبة في إحرازه، فإنه يتحتم بحكم الضرورة أن يكون مصحوبًا بزيادة في اتساعه

تتناسب مع العمق حتى يستطاع الحصول على براح للمناورات وتسهيل للمواصلات، وهجوم المشاة يجري على نسق واحد في كلا شكلي المعركة، إلا أنه كلما عظم تنظيم الموقع الدفاعي كلما قلّ العمق الذي يمكن إيصال الهجوم إليه، وزادت صعوبات دفع الاحتياطي للمطاردة.

موقع التجمع:

يندر جدًّا على قول في تشكيل السير أن يتحرك إلى الموقع الذي يبدأ منه الهجوم أي «مكان الوثوب» من قول الطريق إلا حيثما توجد خطوط اقتراب مختفية توصل إلى تلك النقطة، وبناء على ذلك يخصص موقع للتجمع يراعي في اختياره وجود ساتر يستر الجنود، وتسهيلات لتوزيع الطعام والشراب الحار، والذخيرة عليهم، وملء زمازمهم، والقاعدة العامة هي أن يترك لقائد الأورطة أمر اختيار موقع تجمع لكل بلوك من بلوكاته، وحينما تجتمع أقسام كبيرة من الجنود بقصد الشروع في العمل على الفور يجب أن لا يبرح عن الذهن أن القوات الكبيرة لا يستطاع تحريكها على طريق واحد إذا أريد إدخال كل الأسلحة في القتال في اللحظة المطلوبة.

ففي أبريل سنة ١٨٦٤ تحرك الجنرال بانكس على رأس ٢٥.٠٠٠ جندي من جنود الولايات المتحدة من جراند ايكور Grand Ecore إلى بليزانت هل Pleasant Hill في وادي النهر الأحمر، فسار قوله على طريق رئيسي واحد لا غير مع وجود طرق جانبية، وانفصلت مقدمته عن مؤخرته بمسافة عشرين ميلا، ولما أقبل على القتال مع الجنرال فورست Forrest الذي هو من جيش الجنوب انهزمت مقدمته وارتدت عل أعقابها المرة بعد المرة، والتي هزمتها قوات أقل منها عددًا في المجموع، ولكنها أقوى في القتال، فلو أن الجنرال بانكس سلك طريقين متوازيين أو أكثر من الطرق الموجودة التي كان يمكنه استخدامها إذا شاء، لتغلب على جنود الجنوب التي كانت موجودة بتلك النقطة بسرعة.

القوة الهاجمة:

يتحتم على القائد أن يبُتّ في أمر الجزء أو الأجزاء من موقع العدو التي ينوي أن يجعلها نهاية التطور الذي يصل إليه هجومه بالنيران، أو خطوط التقدم التي ينوي أن يسلكها.

وبما أن القصد من هذه الحركة هو تثبيت العدو في مكانه، وإنهاك مقاومته

بوجه عام، وخصوصًا في النقطة التي سيقع فيها الهجوم الفاصل، ثم الاستقرار في الموقع. فمن الجلي أنه كلما كبر امتداد الغرض، أي اتساعه، كان أفضل، وأنه يجب تهديد جناح أو كلا الجناحين إذا كان في الإمكان ذلك، على أنه في كل مرة يتطور فيها هجوم النيران يجب أن تتوافر فيه القوة الكافية لاستلفات العدو تمامًا، ثم استمرار تنفيذه إلى النهاية بشدة بمجرد الشروع فيه. ويعتبر بوجه عام أن من بندقية إلا ثلاثة بنادق لكل ياردة من الغرض المراد مهاجمته هي القوة المطلوبة المؤلفة من الجنود الأمامية والإمداد، والاحتياط المحلي.

ففي معركة سانت بريفا St. Privat (١٨ أغسطس سنة ١٨٧٠) هجم صف أول وصف ثان هجومًا جبهيًّا وصارا تحت نيران البنادق الفرنسية، ولكن لم تستطع بنادقهما القصيرة المرمى أن تجيب عليها جوابًا مؤثرًا، فتمادى الخطان في الضغط، إلا أنهما أوقِفَا في النهاية لعدم وجود إمداد لهما، مع أنه كان في الإمكان إرساله (المدد) إلى جناح موقع النيران الذي كان يعوق الهجوم، تحت ستار نيران الجنود الموجودة في مواقعها، وكان بذلك يمكّن الجنود الأمامية من السير إلى الاقتحام.

وعلى هذا المثال كان إخفاق محاولة عثمان باشا في اختراق الخطوط التي جاطت ببلاونا Plevna والنفوذ منها (١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٧)، فإنه كسر خطوط الروس بـ ١٥.٠٠٠ جندي، وكان في إمكان مجهود آخر صادق العزيمة أن يتمم الخروج من خلال القوات المحيطة به، ولكن جنود الإمداد البالغ عددها ١٥.٠٠٠ لم يستطيعوا الخروج من المدينة بسبب أن عربات المهاجرين كانت قد سدت (الكباري) الجسور والأبواب.

الهجوم الفاصل:

يتحتم على القائد أيضًا أن يقرر نقطة الهجوم الفاصل، والاتجاه الذي يسير فيه، وهذا الهجوم يوجه إلى جزء من الجبهة أو إلى جناح، وفي الإمكان تعيين النقطة والاتجاه قبل الشروع في الهجوم بناء على المعلومات المستقاة، فيما يختص بتوزيعات العدو وأوضاعه، أو قد يدعو الحال إلى التأكد منهما بموالاة القتال.

أما مزايا «الهجوم الأمامي» فهي أنه إذا رافقه التوفيق انشطرت قوة العدو إلى شطرين، وفي الإمكان رد الجناحين المنفصلين إلى الوراء في اتجاهين مختلفين والتغلب على كل منهما على حدة، وبذا يتم النصر الحاسم.

أما عيوبه فهي أن القوة التي تقتحم جزءًا من جبهة العدو تستجلب على

نفسها نيرانًا مركزة صادرة من خط العدو بأجمعه، وإذا لم يتمكن هجوم النيران من التفوق على تلك النيران، فإن الضربة الفاصلة تعاق وتتوقف، بينما أن إخفاق الهجوم الأمامي يدعو العدو لأن يتقدم ثم يحيط بالقوة الهاجمة.

ومزايا «الهجوم الجانبي»: هي أنه يهدد خط تقهقر العدو، وأن الذي يستطيع تركيز نيرانه على المهاجِم هو الجناح المهدد لا غير، وأما عيوبه فهي أن الجنود التي تسعى للإحاطة (الالتفاف) بالعدو مضطرة لأن تواجه خطرًا مماثلًا لهذا الخطر على جناحهم الخارجي؛ لأن المُدَافِع يكاد يكون من المؤكد أن يوجه هجومه المضاد إلى تلك النقطة، ولهذا السبب فإن الضربة الحاسمة الموجهة إلى جناح العدو لا بد من إتباعها باحتياطي قوي، والجناح الذي ينتخب للهجوم يجب أن تتوفر فيه أفضل الفرص لتسليط نيران متجمعة من مدفعية الإمداد، وهي التي تمهد للمشاة أفضل خط للتقدم، والفوز في ذلك الجناح يؤدي إلى أحسن النتائج الحاسمة، وهذه النتائج تتوقف بصفة رئيسية على مدى الجزء المهدد من خط رجعة العدو، فإذا تضاربت المطالب يختار الجناح الذي تتوافر فيه أعظم المزايا لإيجاد نيران متجمعة من المدفعية، فلا شيء يبيد القوى المعنوية للجنود المشتبكة في القتال بأيسر وأكثر تأثيرًا من الهجوم الجانبي، وبخلاف هذه الطريقة يندر أن تغلب جنود المشاة الجيدة.

ولكي تفوز الهجمة الفاصلة فوزًا تامًّا لا بد من إتباعها بجنود جديدة قبل أن تُصَدّ أمواج صفوف الجنود الهاجمة.

فإن الجنرال "لي" عبر نهر البوتوماك وأراد «أن يهزم آخر جيش من جيوش ولايات الشمال موجود في الشرق ويطرد حكومة الشمال من واشنطن»، واستمرت معركة جيتزبورج ثلاثة أيام (١ – ٣ يوليه سنة ١٨٦٣)، ففي أول يوم بقي التوفيق موافقًا لجيش فرجينيا الشمالية، وفي اليوم الثاني بقي القتال سجالًا بين الفريقين، وفي اليوم الثالث صمم "لي" على أن يقوم بهجمة حاسمة على النمط النابليوني بنصف الجنود الموجودة لديه على منتصف – أي قلب – خط الجنرال ميد، ولكن الهجمة التي هجمها الخمسة عشر ألفًا الأولى بحماس وعزيمة أعيقت بعد أن اخترقوا الخط، والخمسة عشر ألفًا الأخرى لم تأتِ لنجدتهم فهبطت الهجمة واضمحلت، ثم صُدّت ورجعت الجنود بغير نظام.

وفي معركة تشاتانوجا Chattanooga (٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٣) صادفت الهجمة الفاصلة التي قام بها جرانت نجاحًا، مع أنها وجهت إلى قسم من الموقع كان يظهر

أنه منيع، وذلك بسبب قوة الهجوم بتوزيعه بعمق، فقد اندفع ٢٥.٠٠٠ جندي على الخنادق في ثلاثة صفوف، وكان من إمداد الصف الثالث أن حمل أمواج الهجوم إلى الأمام ونفذ بها من خطوط الدفاع.

تعيين الوحدات:

يعين القائد الوحدات اللازمة للقيام بهجوم النيران الذي يتطلب بوجه عام من بندقية إلى ثلاثة بنادق لكل ياردة من الغرض، وهذه القوة توضع تحت قيادة قائد خاص يقسمها إلى قسم «أمامي» مهمته التدرج بالهجوم والتوسع فيه في خط النار، ثم «الإمداد» ومهمته المحافظة على المزايا المكتسبة واسترجاعها، أما مهمته الرئيسية فهي صد الهجمات المضادة التي يقوم بها ما يماثله من جنود العدو، ثم المحافظة على روح الهجوم.

وعلى القائد أن يعين أيضًا الوحدات اللازمة للقيام بالهجوم الفاصل الذي يتطلب من ثلاثة إلى خمسة بنادق لكل ياردة من الجزء الذي توجه إليه من أجزاء الموقع، وهذه القوة تكون تحت إمرة قائد خاص، وتوزيع للهجوم بالعمق، حتى إن قوة الضربة وثقل وطأتها توصلها إلى غايتها بالرغم مما تصادفه من المقاومة، وهي تبقى تحت إمرة قائد الجنود المهاجمة بأجمعها، ليلقي بها إلى القتال في الوقت وفي المكان الملائمين، وتبقى أيضًا جاهزة لاسترجاع طالع المعركة إذا طرأ عليها توقف غير منتظر، أو لستر انسحاب بقية الجنود إذا أريد إنهاء القتال ووقفه.

المدفعية:

يتقرر موقع المدفعية بالتشاور مع قائدها، وهذا القرار يرتكز على الأغراض المطلوبة وهي مساعدة المشاة في تقدمها بإخماد نيران مدافع العدو وبنادقه، وبناء على ذلك فهي تحتاج إلى موقع حاكم في المراحل الابتدائية، أما في أثناء المرحلة الحاسمة فيطلب منها تركيز نيرانها على الغرض المقصود بالضربة الحاسمة، وبعد الهجوم الفاصل قد يطلب إرسال المدافع إلى الأمام على جناح السرعة لصد الهجمات المضادة، وإخماد المقاومة التي تبقى مستمرة، ثم إكمال هزيمة العدو بمطاردة الفارين، وعندما يوجه الهجوم إلى موقع قد علم أنه أتقن تنظيم دفاعاته يحتاج الأمر إلى الاتفاق أولًا على إيجاد نيران سائرة في شكل حاجز من نيران المدفعية (غلالة) يرتفع في المراحل التي يتلو بعضها بعضًا كلما تقدم الهجوم، وهذه تنظم

قبل الشروع في الهجوم، وقد تدعو الضرورة إلى تعيين حرس للمَدافع إلا إذا كان توزيع الجنود للهجوم روعي فيه أن يوجد هذه الوقاية.

ففي معركة فرنفيل Verneville (١٨ أغسطس سنة ١٨٧٠) كانت مدفعية الفيلق التاسع البروسي قد أرسلت للأمام لمقاتلة الفرنسيين أرماند فييه – فولي Armandvillers – Folie، فأوقعت بها نيران مشاة الفرنسيين من الخسائر ما مقداره ١٣ ضابطًا و١٨٧ جنديًا، ثم عطلت إحدى بطارياتها قبل أن تنسحب المدافع؛ لأنه لم يكن معها حرس من المشاة يكفل بقاء رماة البنادق الهاجمين بعيدًا عنها. وفي معركة كولنصو Colenso (١٥ ديسمبر سنة ١٨٩٩) تقدمت بطاريتان من بطاريات الميدان للقتال دون أن يكون معهما حرس، ثم إنهما فصلتا المدافع عن عرشانها قبل أن يسبق استطلاع، وكانت المدافع فوق هضبة بارزة في منحنى من نهر توجيلا Tugela؛ فجاءت نيران أمامية من خنادق كانت على الشاطئ الآخر، ونيران جانبية من جناح داخلي قتلت كل الخيول ومعظم الجنود، ومع ما بذله كل الجنود على اختلاف رتبهم من البسالة المتناهية سقطت عشرة من المدافع الاثني عشر في أيدي البوير Boers.

ويجب على ضباط المشاة وقادة الأورط أن يعرفوا مقدار الذخيرة الموجودة مع المدفعية حتى يتحاشوا ضياع الذخيرة سدى بطلبهم إطلاق النيران على الأغراض التي هي في درجة ثانوية من الأهمية، ويجب على الجنود الاحتياطية أن يبذلوا كل مجهود من تلقاء أنفسهم للمساعدة على جلب المدافع وذخيرتها إلى الأمام سواء كانوا معينين خصيصًا لذلك أو لم يكونوا.

ومن الدروس البارزة التي اكتسبت في حرب سنة ١٩١٤ – ١٩١٨ إمكان وضع المدفعية حتى أثقلها وراء خط قتال المشاة وقريبة منه، وذلك بسبب خفة الحركة والتنقل التي أوجدها استخدام الحملات الميكانيكية وضمان السلامة من الهجوم المضاد التي أوجدتها النيران القاتلة التي تطلقها البنادق ذات الخزنة ومدافع الماكينة الموجودة مع حرس المدفعية، ثم مدافع اللويس المخصصة للبطاريات بالذات.

الفرسان:

تتوقف الفرص التي يستخدم فيها الفرسان في الهجوم على نوع العمليات الدفاعية، فأمام موقع دفاعي منظم تنظيمًا راقيًا لا يوجد مجال للجنود الراكبة إلا أن يتسع الجزء المخترق ويوجد فضاء للتحركات، أما قبل الهجوم أثناء «المعركة التصادمية» فإن الفرسان يكونون قد خرجوا للاستطلاع أمام القوات الهاجمة، وأما في أثناء الهجوم فقد يستدعي الحال طلب مساعدتهم في قتال النيران وهم مترجلون، أو الضربات المضادة المحلية وهم راكبون (لمقابلة الفرسان أو المشاة الذين اختل نظامهم على أثر تدهور حركاتهم)، على أنه يجب أن لا يسمح لهم بإضعاف سرعتهم ولا إنقاص نشاطهم، وبعد الاقتحام المكلل بالنجاح فمهمتهم الخصوصية هي المطاردة، وهذه المطاردة ليس من الضروري أن تكون في اقتفاء أثر العدو مباشرة، بل تكون على خطوط موازية لخط رجعته، وبإعاقة حركاته، وبقطع الرجعة على المتخلفين من جنوده، وبتهديد مواصلاته، وعلى العموم فإن الموقع الذي يطلب أن يكون فيه الفرسان هو إما على جناح القوة الهاجمة وإما متقدمًا عن الجناح شيئًا يسيرًا.

قال الكولونيل هندرسن:

«إن سلاح الفرسان مما يمكّن القائد من اتخاذ المناورة التي تفوق كل المناورات من حيث المهارة، وهي مناورة الهجوم الذي يقع على أثر تجمع الجنود المختلفة والتقائها في نقطة واحدة وهي آتية من جهات مختلفة، وإذا أديرت على الوجه الصحيح كما حصل في أبوماتوكس Appomattox أو بارديبرج Paardeberg فإنها تؤدي إلى النصر الذي يكلل التكتيكات العظمى، وهو حصر قوة ومضايقتها حتى لا يبقى لها مفر من أحد أمرين: إما أن تهجم في ظروف حرجة، وإما أن تسلم نفسها».

وفي حملة العراق انتهى الهجوم المفاجئ الذي قامت به قوات الجنرال السير. س.مود Maude في ٢٧ – ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١٧ على القوات التركية التي كانت متجمعة بالقرب من رمادية Ramadie الواقعة على بعد ٦٥ ميلا في الشمال الشرقي من بغداد، بتسليم القائد التركي ومعه نحو ٤٠٠٠ جندي من كل الأسلحة بفضل تكتيكات الالتفاف التي قامت بها فرقة الفرسان الإنجليزية – الهندية.

وعلى هذا المثال كانت المناورة التي وقعت في ٢٦ مارس سنة ١٩١٨ وقامت بها فرسان قوة الميدان العراقية (التي كان يقودها وقتئذ الجنرال السير و.ر.مارشال الذي خلف الجنرال مود بعد وفاته بالكوليرا)، فإنها انتهت بتسليم ما ينوف على ٥.٠٠٠ من الأتراك فيهم قائد فرقة، وذلك على مسافة ٢٢ ميلًا شمال غربي الحت Hit. وهؤلاء الأسرى من نجوا بفرارهم من معركة البغدادية وكانت الفرسان قد اعترضت خط مواصلاتهم.

وجاء في رسائل السير د. هايج ما يأتي:

«في صباح يوم الهدنة (١١ نوفمبر سنة ١٩١٨) كانت فرقتان من الفرسان البريطانية تسيران شرقي نهر الشلت Scheldt، وقبل أن يصلهما الأمر بالوقوف كانتا قد وصلتا إلى خط أمام نقط مشاتنا الخارجية يبعد عنها بمسافة عشرة أميال، وليس هناك شك في أنه لو سمح للفرسان بمواصلة تقدمهم لانقلب تقهقر العدو الذي كان بغير انتظام إلى هزيمة»، وكثيرًا ما كان لغياب الفرسان في اللحظة الحرجة أثر فعال في نتيجة الحملة الحربية، فبعد القتال الذي وقع في جينز مل Gainess Mill (٢٧ يونيو سنة ١٨٦٢) بعث "لي" الجنرال ج.ا.ب ستيوارت Stuart ومعه فرسان جيش الجنوب إلى هوايت – هاوس White House جنوب نهر يورك York، بناء على إشاعة كاذبة بفكرة أن "ماكليلان" كان إذ ذاك يتقهقر إلى تلك القاعدة، على أن ماكليلان كان قد نقل قاعدته إلى هريسونز لاندنج Harrisons Landing على نهر الجيمس James، فلم تسترجع فرسان الجنوب الاتصال بجيش البوتوماك إلا في ٣ يوليه، أي بعد إخفاق هجوم "لي" على تل مالفرن بيومين، فلو أن ستيوارت كان موجودًا بفرسانه طول مدة الفترة الحرجة لوقعت قافلة النقل المهولة خاصة ماكليلان غنيمة باردة في أيدي خيالة الجنوب، ولكانت الطرق المارة بالغابات والمستنقعات الموصلة إلى تل مالفرن قد سُدّت.

ثم إن غياب الفرسان قبل أول يوم من معركة جيتزبورج Gettysburg (أول يوليو سنة ١٨٦٣) عاق قواد الجنوب، بأن كانت قلة ما لديهم من المعلومات سببًا في أنهم كانوا يعملون بحذر فوق ما يلزم، في حين أن الجرأة كانت تكتسح كل شيء أمامهم.

وفي مرة أخرى أرسل الجنرال ستيوارت في تجريدة للسطو والإغارة، وبعد هجوم فرقة الجنرال أيرلي الذي كلل بالنجاح، مكّنت حفنة من فرسان الجنرال بوفورد

التابعة للولايات المتحدة الفليق الأول من جيش ميد؛ وهو الفليق الذي Buford حاقت به الهزيمة، مكّنته من إنقاذ مدافعه ومن التقهقر دون أن يعاكسه معاكس، فلو وجد ألف سيف من فرسان الجنوب لكنست بوفورد على جنب، ولكان أول يوليه يومًا شؤمًا على القضية القومية.

ومما جاء في رسائل السير د. هايج أثناء التعرض الألماني الذي استمر من مارس إلى يوليه سنة ١٩١٨ ما يأتي:

«لو وجد ولو فرقتان أو ثلاثة فرق من الفرسان الجيدي التدريب لدى الألمان لكان في إمكانها أن تندفع بشكل يشبه رأس السهم بين الجيشين الفرنسي والبريطاني، فوجودهم كان لا بد له أن يزيد مهمتنا مشقة كبيرة فوق مشقتها».

وفي أثناء معركة كمبراي (٢٠ نوفمبر سنة ١٩١٧) عبرت أورطة من فرسان فورت جري هورس Fort Garry Horse قتال الشلت، وبعد أن غنمت بطارية ألمانية وشتتت قسمًا كبيرًا من المشاة استقرت في طريق منخفض وحافظت عليه بنيران بنادقها إلى أن دخل الليل فانسحبت إلى الخطوط البريطانية ومعها أسراها.

وفي أثناء معركة أميان (٨ – ١٣ أغسطس سنة ١٩١٨) احتشد الفرسان وراء جبهة الحرب بعد عدة مراحل من السير ليلًا، وفي اليوم الأول من المعركة تقدموا ١٣ ميلا من مكان تجمعهم، وبقوا مدة دوام المعركة يؤدون خدمات جليلة مقرونة بمنتهى البسالة.

وفي أثناء معركة لوكاتو الثانية Le Cateau (٦ – ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٨) كان للفرسان بعض الفضل في مضايقة العدو أثناء رجعته، وحالت بينه وبين إتمام تدمير السكة الحديدية، ولما أعاقت نيران المدافع الرشاشة الشديدة – المنطلقة من غابة كاتيني Cattigny ومن كلاري Clary – تقدم المشاة، «هجمت فرسان فورت جاري هورس هجمة في منتهى الشجاعة تمكّنت بها من الوصول إلى غابة كاتيني ثم ساعدت مشاتنا على موالاة ضغطها، وكان لفرسان دراجون الحرس وفرسان كندا فضل في الاستيلاء على هنيشي Hennechy، وروممون Reumont، وتروافيل Troisvilles، وهذه كلها إلى جهة الشرق» (من رسائل السير د . هايج).

وفي المراحل الأولى من حملة شمال الروسيا (أغسطس – سبتمبر سنة ١٩١٨) كان في إمكان حفنة من الفرسان على كلا شاطئي نهر الدوينا الشمالي North

Dwina أن تجعل قوات البلاشفة يواصلون فرارهم دائمًا، وتمنعهم من إعادة تنظيم قواتهم التي انحل نظامها، وذلك التنظيم الذي حصل على التوالي وعجز المشاة المطاردون عن الحيلولة دونه بسبب بطء حركتهم، فكان في إمكان بضع أورط من الفرسان أن تشتت كل قوة البلاشفة الموجودة في أرشانج Archangel.

ومن العادة استخدام الدبابات في المطاردة؛ لأن المدفعية التي هي عدو الدبابات الوحيد الذي له تأثير عليها لا يحتمل أن تبقى مع جنود المؤخرة في جيش اختل نظامه.

ولقد أضيف إرهاب جديد إلى المطاردة باختراع الطيارة التي تتحرك من تلقاء نفسها وهي حاملة رجالها المسلحة بالمدافع الرشاشة والقنابل الكروية، حتى وقد دخل في تسليحها المدافع الخفية السريعة الطلقات، وفي المراحل النهاية من تقدم الحلفاء المقرون بالنصر في نوفمبر سنة ١٩١٨ كانت الجيوش الألمانية المتقهقرة تلقى مضايقة من الجو على الدوام.

ولقد جاء في رسائل السير د. هايج ما يأتي:

«في ذلك اليوم (٥ نوفمبر سنة ١٩١٨) من أوله إلى آخره كانت الطرق مكتظة بجنود العدو ومعدات نقله، فكانت هدفًا صالحًا لطيارينا الذين انتفعوا انتفاعًا تامًّا بهذه الفرص بالرغم من رداءة الأحوال الجوية، ولقد غنمت أورطة من الفرقة الخامسة والعشرين ما ينوف على ٣٠ مدفعًا أرغمت العدو على تركها القنابل ونيران المدافع الرشاشة المطلوقة من الجو بالقرب من لابريسو Le presau».

المهندسون:

موقع المهندسين وكيفية استخدامهم يقررهما القائد الذي يصدر أوامر الهجوم، وبما أن مهمة هذا السلاح الرئيسية في الهجوم هي إزالة العراقيل أو تشييد معابر فوقها، ثم تقوية الموقع حين الاستيلاء عليه، فمن المحتمل أن يبقى المهندسون مع الجنود المعهود إليهم أمر الهجوم الفاصل.

التدابير الطبية:

مواقع المستشفيات ومحطات جمع الجرحى والمرضى تتعين أماكنها بالتشاور مع كبير الأطباء، أما نقط الإسعاف ومحطات التضميد الأمامية فإنها تؤسس في حدود تدابير الأورطة بالاتصال مع الضابط الطبي التابع للوحدة المختصة.

المؤن:

موقع قافلة أو قطار النقل ومعها الذخيرة والمئونة الاحتياطية للجنود وللحيوانات يتوقف على تسهيل التواصل مع القوة الهاجمة وعلى السلامة من نيران المدفعية أو من الهجوم الفجائي الآتي من الجو أو من البر. فمن المحتمل والحالة هذه أن يكون الموقع متأخرًا إلى الوراء بمسافة لا بأس بها. وفي مفترق الطرق الموصلة من جهة الأمام إلى الجنود الهاجمة. أما التعيينات فإنها تستجلب إلى الوحدات بموجب تدابير قائد الأورطة أو غيرها من الوحدات المختصة.

موقع القائد:

موقع القائد الذي يصدر أوامر الهجوم يجب تعيينه. ويجب أن يكون معلومًا للقادة المرءوسين؛ لأنه سيكون المحل الذي ترسل إليه التقارير.

ففي القوات الصغيرة يبقى القائد بوجه العموم مع الاحتياطي العام. فإذا كانت القوة على شيء من الكبر وتتألف من كل الأسلحة فمن المحتمل أن يبقى في الموقع الرئيسي للمدفعية. ولكن إذا كانت القوة كبيرة يجب عليه أن يكون بعيدًا عن جلبة الحوادث المحلية. وإذا انتقل قائد قوة كبيرة من موقعه المعلوم يتحتم عليه أن يترك ضابطًا كبيرًا من أركان حربه ليمثله في مكانه ويرسل إليه المخاطبات الهامة في مكانه الذي انتقل إليه. أما إذا كانت القوة صغيرة فيترك القائد. إذا غاب عن موقعه المعلوم أنه مقر رئاسته. رسولًا فيه حتى تصله الرسائل دون تأخير.

تقارير المعركة:

يتوقف كثيرًا استثمار الفوز استثمارًا ناجحًا. على صحة المعلومات التي يحصل عليها القائد من كل أنحاء ميدان المعركة. فتطلب التقارير من كل من توجد لديهم معلومات ليبلغوها. وهذه التقارير تكتب على رسائل يكون قد سبق إعدادها يبين فيها موقع الراسل بالدقة في الوقت الذي حصل فيه التبليغ. ثم التقدم الذي تم على يد الوحدة التي يرأسها الراسل أو الوحدة المجاورة له أو غيرها من الوحدات الأخرى التي شوهد عملها. ثم درجة المقاومة التي يبديها العدو. فحركات العدو. فالخطط التي يضعها الراسل. مع بيان الطريقة المطلوب اتباعها لتنفيذ تلك الخطط.

إعادة التنظيم والمطاردة:

بمجرد ما يتم الاقتحام على العدو بنجاح يتحتم على القادة المرءوسين أن يستعيدوا السيطرة على جنودهم في الحال ثم يدبروا أمر مطاردة العدو الفارّ بالنيران، بينما يتقدم الاحتياطي المحلي ويوطد الموقع استعدادًا لملاقاة الهجوم المضاد. أما كبار القادة فيتحتم عليهم أن يتخذوا التدابير اللازمة لتنظيم المطاردة، وقطع خط رجعة العدو، ثم إكمال التغلب عليه؛ لأن النصر لا يتم مطلقًا إذا سمح للعدو بأن يتقهقر من ميدان القتال دون أن يمس بسوء وبتوافر لديه الوقت لإعادة نظامه واسترجاع قوته المعنوية. فمن المأثور عن ستونوول جاكسون قوله:

«لا تكف مطلقًا عن المطاردة ما دامت عند جنودك القدرة عليها».

والمطاردة من واجبات المشاة حتى تتولاها عنهم الطيارات، والفرسان، والدبابات. أما المدى الذي تستمر المشاة إليه في التعقب، فالقائد هو الذي يحدده وليتذكر المبدأ القائل:

«يجب مواصلة الفوز حتى تفنى قوة العدو».

(قوانين خدمة الميدان جزء ثاني سنة ١٩٢٠)

فإذا أريد اجتناء ثمرات النصر يجب أن يباشر العمل بينما يكون العدو لا يزال رازحًا تحت صدمة الهزيمة؛ لأن تأخير بضع ساعات ينيل العدو فرصة يسترجع فيها توازنه فينظم حرسًا خلفيًّا، ويكسب عدة أميال في مسيره أثناء الرجوع.

وفي الحروب الحديثة قد تمكن معدات النقل الميكانيكية المشاة البطيئي الحركة من إحراز سرعة الفرسان إذا اتخذت التدابير من قبل لإركابهم، وفي بضع ساعات قد تنقل المشاة بهذه الوسيلة إلى بُعد لا يصل إليه التعقب، أي أنها تصبح بعيدة عن متناوله.

تشكيلات المشاة للهجوم

«لا يتم النصر النهائي في القتال إلا بواسطة سونكي وبندقية عسكري المشاة فقط»

«المارشال هايج»

يجب أن تكون التشكيلات التي تتحرك بها المشاة للهجوم من النوع الذي يمكّنهم من إحراز غرضهم بإشراك النيران مع الحركة، ولهذا الغرض يجب أن يكون للجنود الأمامية إمداد من نفس الوحدة التابعين لها حتى يتيسر بارتباط القيادة إيجاد عمل مشترك بين الجميع.

البلاتون:

إن أصغر وحدة يستطاع تقسيمها إلى أقسام يستقل بعضها عن البعض، بحيث يكون كل منها قادرًا على إطلاق النار مع الحركة هي البلاتون، وهو الذي تستطيع أصنافه الأربعة تثبيت العدو في مكانه بالنيران، ثم القيام بمناورة حول جناحيه.

ثم إن توزيع البلاتون المتبع عادة في الهجوم هو إما بتشكيل المربع وإما بتشكيل المعين، ففي تشكيل المربع يجعل صنفان أمامان يستران الجبهة المخصصة للبلاتون، والصنفان الباقيان بصفة إمداد ويتشكلان بالتشكيل الذي يجعلهما على استعداد للقيام بالمناورة على الفور، مع مراعاة اجتناب الخسائر التي لا موجب لها.

أما في تشكيل المعين فيجعل صنف واحد قائدًا مهمته الاستطلاع وتثبيت العدو في مكانه، بينما تبقى الثلاثة الأصناف الأخرى على استعداد للقيام بالمناورة التي يقصد بها الهجوم الفاصل على النقطة التي يرى أنها أكثر نقط دفاع العدو ملاءمة للهجوم، وأن أمل النجاح فيها أكثر مما في غيرها.

ثم إن تشكيل المعين هو أفضل تشكيل يناسب الهجوم الذي يقع في المعركة التصادمية حينما تكون أوضاع العدو وتوزيعاته غير معلومة بالدقة؛ لأن فيه تلك

الميزة العظيمة – ميزة الاحتفاظ بقوة المناورة – متوفرة في ثلاثة أرباع البلاتون حتى يتطور الموقف بفعل الصنف القائد. وفي كلتا الحالتين (إلا إذا كان الهجوم موجهًا إلى موقع الدفاع راقي التنظيم) تسبق الأصناف الأمامية كشافة الأراضي التي مهمتها إيجاد خط الزحف الذي يكون أكثر سترًا من غيره، وأفضل المواقع لإطلاق النار، ثم الاحتياط من وجود كمين منصوب، وهؤلاء الكشافة يزحفون إلى أن يعاق تقدمهم، وعندها يبقون في أماكنهم للترصد إلى أن تنضم إليهم الأصناف الأمامية، وفي أثناء المراحل الأولى من الهجوم في معركة الاصطدام قد يحتاج الحال إلى كشافة الأجناب، إلى أن يحل الوقت الذي ينفتح فيه البلاتون فيجعل وجودهم غير ضروري.

أما إزاء نظام دفاعي عالي التنظيم فإن البلاتونات قد يتعذر عليها التقدم للهجوم دون وجود غلالة من النيران، ومن الجوهري إذ ذاك أن تكون كل الحركات متفقة على مواعيد إطلاق حاجز النيران، وأن تبقى الجنود تحت الحافة الخلفية من ستار الشرانبل وليتسنى لها تنفيذ الاقتحام قبل أن يتمكن العدو من استخدام بنادقه ومدافعه الرشاشة، وفي مثل هذه الحالة قد يستغنى عن كشافة الأراضي، ومثل هذا الموقع لا يهاجم دون أن يسبق الهجوم استطلاع دقيق ،واختيار خطوط للزحف.

أما تشكيل المربع فهو التشكيل الذي يتبع عادة في الهجمات الموجهة إلى مواقع دفاعية منظمة تنظيمًا راقيًا بأن يكون في صنفي البنادق الأماميين وصنفي مدفع اللويس إمدادًا لهما، وبذلك يكون صنفا مدفع اللويس قادرين على حماية أجنحة صنفي البنادق ومعالجة مدافع العدو الرشاشة التي تكون منفصلة كل فرد منها على حدة، أو جماعات رماة البنادق من العدو التي تكون مختفية والتي قد تشتبك في القتال بإطلاق نيران عكسية أو نيران جانبية بعد أن يتجاوز صنفا الأمام الأرض المحتلة.

قائد البلاتون:

يجب على قائد البلاتون أن يشرح الموقف لمرءوسيه ويبين لهم خط التقدم، وهو يتحرك عادة مع صنفي الأمام أثناء المرحلة التمهيدية للهجوم، وعندما يتورط الصنفان الأماميان في الهجوم يجب عليه أن يتولى السيطرة على صنفي الإمداد

ويتحرك معهما، فإذا كان بلاتونه إمداديًّا فإنه بناء على ذلك يكون مع الصنفين الأماميين قبل أن يتورط البلاتون في القتال.

أما نجاح المشاة في الهجوم فإنه لا يتوقف على الإقدام والسيطرة والقيادة فقط، بل يتوقف أيضًا على تعاون قادة الإمداد تعاونًا رائده الذكاء؛ إذ يجب عليهم أن يبقوا دائمًا على علم بسير المعركة، وذلك بترصدهم رصدًا مقرونًا بالفطنة، وبذا تتوافر لديهم عادة «تقدير الموقف» قبل أن يورطوا رجالهم في القتال، ويبقى في استطاعتهم توجيه إمدادهم إلى النقطة المطلوبة في الوقت المضبوط، فيؤثرون على المعركة بالنيران وبالحركة دون أي تردد أو تأخير.

البلوك:

التوزيع المعتاد للبلوك حينما يعمل مع بلوكات أخرى من الأورطة هو أن يكون بلاتونان منه أماميين وبلاتونات إمدادًا لهما، وإذا كانت المقاومة المتوقعة مقاومة عنيفة أو إذا أريد ستر جبهة يزيد اتساعها عن الحد المعتاد قد يكون عدد البلاتونات الأمامية ثلاثة، وبلاتون واحد من الإمداد، وحينما تكون أوضاع العدو مجهولة لدينا وليس من المحتمل أن تلاقي مقاومة قوية قد يكو بلاتون واحد أماميًّا والثلاثة إمدادًا، وبذا يتمكن قائد البلوك من استخدام أي البلوتونات أو كلها بصفة إمداد فيؤثر على الهجوم عندما يحصل على معلومات عن النقطة – التي في موقع العدو – التي يتوافر فيها أكبر أمل بالنجاح، وحينما تكون الجبهة المخصصة للبلوك أكثر اتساعًا من المعتاد فإن البلاتونات الأمامية لا تحاول ستر كل الجبهة، بل تترك فتحات بين الواحد والأخر، وإلا فالجنود تبقى منتشرة انتشارًا متسعًا بدرجة تحرم القواد من قوة السيطرة، أما إذا كان البلوك يعمل مستقلًّا بمفرده فإن تشكيله المعتاد وهو بلاتونان أماميان، وواحد إمداد، وواحد احتياط.

قائد البلوك:

على قائد البلوك أن يخصص لبلاتوناته أنصبتها من العمل، ومواجهاتها، ويصدر الأوامر بتوزيعها، ويجب عليه أن يبين المكان الذي سيكون فيه أثناء المعركة، أما موقعه فإن الذي يحدده هما ضرورة بقائه على علم بالموقف في كل مدة الهجوم، ثم التقدم الذي تحرزه بلاتوناته، وهو مسئول عن إبلاغ كل المعلومات الجوهرية الخاصة بهاتين النقطتين إلى قائد الأورطة الموجودة في المؤخرة، وينبغي له

أيضًا أن يبقى على اتصال بالبلوكات التي على أجنحته بأن يرسل أطوفًا (نقط مواصلة) لهذه الغاية إذا دعت الضرورة. ومن واجباته انتهاز كل فرصة تسنح تُوجِدُها النيران أو الدخان الذي تحدثها الوحدات أو الأسلحة الأخرى. فيتقدم إلى الأمام أو يدور حول أجنحة العدو. ويستخدم بلاتونات المدد للاندفاع والنفوذ من الأماكن التي تكون المقاومة فيها ضعيفة لكي يلتف حول أجنحة أقسام العدو التي تعيق التقدم. وبمجرد ما يتم هذا الطور الوقتي مكللًا بالنجاح يجب على قائد البلوك أن يستعيد تنظيم بلاتوناته ثم يتولى تقدمها على الغرض. وعندما يتم إحراز الغرض يجب توطيد الموقع وإخراج أطواف للحيلولة دون المفاجأة.

الأورطة:

يتوقف توزيع الأورطة توقفًا كليّا على طبيعة المهمة المخصصة لها. أي نصيبها من العمل. فعندما تكون أوضاع العدو معلومة وكان المتوقع حصول مقاومة ذات أهمية في أوائل مراحل الهجوم فمن العادة أن توزع الأورطة على بلوكين أماميين. وبلوك للإمداد. وآخر للاحتياط. وبناء على ذلك فلا بد أن تتوفر في الجنود الأمامية القوة الكافية لتطور الهجوم إلى درجة يستطاع معها إنزال الضربة الفاصلة من الإمداد على المقاومة الرئيسية.

ويبقى البلوك الاحتياطي في يد القائد على ذمة المراحل الختامية للقتال أو لتثبيت المعركة المحلية. أما حينما تكون أوضاع العدو ودرجة مقاومته لا تزال موضع الحدس والتخمين. فيكون بلوك واحد فقط أماميّا. وبلوكان مددًا له. حتى لا تتورط القوة الرئيسية للأورطة في القيام بأي دور قطعي قبل الحاجة إليه وقبل أن يكتشف موقف العدو.

قائد الأورطة:

«القوى المتوفرة في سيطرة قائد الأورطة الشخصية في ميدان القتال محدودة. وتتوقف أكبر نتيجة للنجاح على وضوح الأوامر القاضية بدخول بلوكاته الأمامية في الهجوم».

(تعليم المشاة سنة ١٩٢١)

قائد الأورطة يجب أن يتزود بكل التفاصيل الخاصة بالعدو وبالجنود المتعاونة معه (قائد الأورطة). فيتحتم عليه أن يعرف الغرض الذي يرمي إليه. وحدود جبهته

المخصصة له، ومدى المساعدة التي سينالها من الأسلحة الأخرى، وفضلًا عن مثل تلك المعلومات التي يزود بها فيما يختص بقوة العدو وأوضاعه، وخصوصًا ما يختص بالأسلاك (أو غيرها من العراقيل) والمدافع الرشاشة، يجب عليه أن يتحقق من أفضل المواقع لتجمع بلوكاته، ومن أفضل خطوط الاقتراب إلى الغرض، ومن أكثر خطوط التقدم سترًا لإمداده وجنوده الاحتياطية، ثم أفضل موقع لمقر رئاسته أثناء كل مرحلة من مراحل الهجوم، ففي الأوامر التي يصدرها بالهجوم يوضح كل المعلومات الخاصة بحركات العدو وأوضاعه، وأوضاع وحركات الجنود والأسلحة المتعاونة معه، ثم يخصص أنصبة العمل للبلوكات ولبلاتون مدافع الماكينة (إن لم يكن متجمعًا) ثم يحدد جبهة البلوكات الأمامية.

وعليه أيضًا أن يعين مواقع التجمع، وأن يحدد زاوية البوصلة اللازمة للتقدم، وأن يصف الأعمال التي تقوم بها الأسلحة الأخرى المعاونة، وأن يتخذ التدابير اللازمة لتوحيد الزمن في ساعات الجيب (ساعة الصفر)، وأن يعلن عن موقفه هو أثناء الهجوم وبعده، وأن يعين النقطة التي ترسل إليها التقارير والأخبار، وأن يعلن عن التدابير الصحية، وأن يصدر التعليمات الخاصة بجمع المتخلفين، وبحرس الأسرى والجهة التي يُرْسَلُون إليها، وباستيراد الذخيرة والأدوات (المهمات) التي تلبسها الجنود، ثم إن الكوارتر ماستر يتلقى الأوامر الخاصة باستجلاب الجرايات (التعيينات) أثناء المعركة، وقبل البروز للهجوم تتعين نسبة مئوية من الضباط وجنود الصف للبقاء متخلفين عن الجنود ليحلوا محل الخسائر بعد انتهاء المعركة.

أما موقع قائد الأورطة فيراعي من انتخابه بقاؤه متصلًا بسير الهجوم في كل مراحله، وتأثيره على القتال بواسطة الجنود الاحتياطية، وأما السيطرة الشخصية فمن الصعب ممارستها ما دامت الجنود قد تورطت في القتال، على أن الفرص كثيرًا ما سنحت لقادة الأورط في الحرب العظمى للبت في الأمور على وجه السرعة فانتهزوها ورافقهم النجاح بدرجة قلبت التوقف نصرًا.

ففي سنة ١٩١٦ لاحظ قائد أورطة الكولدستريم أن جنوده قد اختل نظامها من جراء النيران والمقاومة، فجعل نفسه قدوة لجنوده ولمّ شتاتها، ثم أعاد تنظيم الهجوم وبث فيه القوة المعنوية الدافعة اللازمة للاقتحام، ووصل حينذاك إلى الغرض، وفي ١٤ أبريل سنة ١٩١٧ شاهد قائد أورطة من ألاي الرويال نيوفوندلند اندفاع الألمان في هجوم مضاد محلي على قرية مونشي – لو – برو -Monchy-Le

Preux فما كان منه إلا أن تقدم مسرعًا بالقسم المقاتل من مركز رئاسته فصد الهجوم إلى أن وصله المدد من اللواء ٨٨ وتمكن به من طرد المهاجمين فاقدين نظامهم.

وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٩١٧ أثناء قيام الألمان بهجوم مضاد من فونتين نوتردام Fontaine Notre Dame إلى تادبول كوبس Tadpole Copse في القطاع الشمالي من منطقة كمبراي غصب الألمان طريقهم إلى داخل مواقعنا الكائنة في أقصى المقدمة، وأوجدوا فتحة بين الأورطة الأولى من الألاي السادس والأورطة الأولى من الألاي الخامس عشر من جنود لندن، فسار كل من قائد هاتين الأورطتين على رأس هجمة مضادة قام بها كل الجنود التي كانت موجودة لديهما، ومنها الأشخاص التابعين لمركزي الرئاستين واسترجعوا الموقف مرة ثانية، وفي مارس سنة ١٩١٨ في أحرج أوقات الهجوم الألماني على أميان استرجع الموقف قائد أورطة من ألاي البوردو Border Reg. بشخصه مرة بعد أخرى، تارة فوق جواده وطورًا على قدميه.

الدفاع

«روح الدفاع هو الهجوم المضاد»

(المارشال فوش)

العمل الدفاعي قد يفتتحه القائد في الميدان، أو يرغمه عليه العدو، وقد يعتمد القائد على الاستحكام ليعاونه على هزيمة العدو، أو يستخدم المناورات ليصل بها إما إلى الفصل في نية وإما إلى إرجائها.

وقد يرغب القائد أن يجذب العدو ويوقفه في هجوم على موقع مستحكم يرابط فيه جزء من قوته فقط، بينما يبعث بجزء آخر (من المحتمل أن يكون أكبر منه) ليهاجم العدو من ناحية غير متوقعة، وقد وقع مثال بارز لهذا الأسلوب في معركة تشانسلرزفيل (٢ – ٣ مايو سنة ١٨٦٣). حيث أوقف "لي" جيش هوكر البالغ عدده ٩٠٫٠٠٠ بثلث قوته الموجودة معه، وأرسل استونوول جاكسون ومعه ٣٠٫٠٠٠ لمهاجمة جيش الشمال من الخلف، فالعمل على هذا المثال له تأثير خاص، ولكنه يتطلب تكتمًا يكاد يكون من المؤكد أن تفشيه الطيارات الحديثة، وإذا عجزت المناورة عن الاختفاء من مراقبة العدو لها، وعُلمت له، فمن المحتمل أنها تنتهي بكارثة تحل بكل من القوة المدافعة المُوقِفة للعدو وبالجنود المرسلة لمهاجمته.

وهناك صورة أخرى لإشراك الدفاع بالمناورة، وهي المعركة الهجومية الدفاعية، ولها أمثلة كثيرة في تاريخ الحرب – منها مارنجو Marengo، واسترلتز Austerlitz ووترلو Waterloo، فهي كلها معارك من هذا الطراز.

ففي هذا الشكل من القتال الدفاعي يدعو القائد العدو لأن يهاجم موقعًا أحسن اختياره، وبعد إنهاك قوة العدو وتوقيف اقتحامه، يتحول القائد من الدفاع إلى الهجوم ويتغلب على خصمه المنهوك القوى بهجمة مضادة قوية ومستديمة، بكل ما لديه من الوسائل.

وقد تدعو الضرورة أحيانًا لاحتلال موقع ما، وأحيانًا يحتل الموقع لمجرد حكمة

تكتيكية.

ففي معركة ناشود Nachod (٢٧ يونيه سنة ١٨٦٦) أسرع الحرس الأمامي البروسي واتخذ موقعًا دفاعيًّا وأوقف أمامه كل الجيش النمساوي، بينما برز الجيش البروسي من مضيق وهو في مأمن من العدو وقام بمناورة اصطف بها للقتال.

وفي سنة ٤٨٠ ق.م احتل مضيق ترموبيلي Thermopylae ١٤٠٠ من الإغريق تحت قيادة ليونيداس Leonidas ملك إسبارطة لمقاومة قوات إكزرسيس Xerxes الفارسية. ومع أن القوة الإغريقية أُبيدت بهجمة جاءتها من الخلف (بسبب أن أحد الخوارج الفارين إلى جيش الفرس أطلعهم على ممر سري)، فإن المقاومة التي أبداها الإغريق أمام الفرس «الذين لا يُغلبون» قد جرّأت الإغريق في مصادماتهم التالية وأدت في آخر الأمر إلى هزيمة الغزاة. وقد جاء في أساطير روما أن هوراتيوس كوكاز Horatius Cocles ورفيقين له دافعوا عن الجسر السبليكي Sublician Bridge المقام فوق نهر التيبر Tiber وقاوموا الأرس بورسينا Lars Porsena وكل الجيش الإتروسكاني Etruscans. فهذه البطولة الوارد ذكرها في الأساطير قد حدث ما يماثلها أو يفوق عليها أثناء معركة السوم الثانية (٢١ مارس سنة ١٩١٨). وقد جاء في رسائل السير د. هايج ما يأتي:

«لقد صار تدمير الكباري التي على قناتي كروزات Crozat والسوم – وإن كان بعض هذا التدمير لم يتم– من النجاح التام؛ إذ كان من المحتمل أن بعضها كان لا يزال صالحًا لمرور المشاة. ولقد حدث في هذا التدمير ما يعد من الأمثلة البارزة على الشجاعة المتناهية. ففي واحد منها لما أخفق الاتصال الكهربائي في إطلاق عبوة التدمير، ما كان من الضابط المكلف بتدمير الكوبري إلا أن أشعل بنفسه الكبسولة ونسف الكوبري نسفًا، وقد رافق هذا الضابط حسن الحظ بدرجة فوق المعتاد فنجا بنفسه ولم يُقتل».

وفي روركس ورفت Rorkés Drift (٢٢ يناير سنة ١٨٧٩) حدث أن قوة مؤلفة من ٨٠ من جنود الصفوف من الألاي الرابع والعشرين تحت قيادة الملازمين تشارد Chard وبرومهد Bromhead، ومعهم نحو ٤٠ من المرضى، صدوا الهجمات المتكررة التي قام بها نحو ٤٠٠٠ رجل من الزولو Zulus، هم جزء من جيش سيتيوايو Getowayos. فاجئوا حامية إيساندلوانا Isandhlwana وأبادوها قبل ذلك في نفس

اليوم.

ولقد أبدى قسم صغير من الجنود ضربًا من ضروب البسالة المدهشة أثناء انسحاب الجيش البريطاني أمام الهجوم الألماني المتفوق في معركة السوم الثانية، وذلك أن قسمًا مؤلفًا من ١٠٠ من الضباط والجنود من اللواء الحادي والستين، من الفرقة العشرين، تعيّن لستر انسحاب تلك الفرقة من لوكويزنوي Le Quesnoy (٢٧ مارس سنة ١٩١٨) تحت قيادة أركان حرب اللواء (الكابتن أ.ب.كوب E.P.Combe) فتمكن من توقيف العدو أمامه من الصباح المبكر حتى الساعة السادسة مساءً، حتى صدر الأمر لمن بقي منه على قيد الحياة بالانسحاب بعد أن أتموا مهمتهم وكان عددهم أحد عشر.

وهناك كثير من الأمثلة على احتلال مساحة ما لغرض تكتيكي واقعي أو متوقع. فقبل معركة سلامانكا (٢٢ يوليه سنة ١٨١٢) كانت قوة أسبانية قد انفصلت بأمر ولنجتون لتستر مخاضة في نهر التورمس باحتلالها حصن البادوتورمس Alba de Tormes، إلا أن هذه القوة قد انسحبت دون أن يعلم ولنجتون بانسحابها، فرجع جيش مارمون عن طريق هذه المخاضة إلى قلعة فالادوليد Valladolid وهو مهزوم دون أن يعترضه معترض.

وفي حملة سنة ١٨١٤ وضع نابليون حامية مؤلفة من ١٢٠٠ جندي في قلعة سواسون، إلا أن هذه الحامية سلّمت في ٣ مارس سنة ١٨١٤ من غير أن تستنفد كل وسائل الدفاع كما تقضي به قوانين الحرب، ومكّن الجسر الموجود بسواسون كلًا من بلوخر وبولو Bulow أن يضما قواتهما ويوحداها عبر نهر الاين Aisne.

وفي حملة ووترلو وضع ولنجتون ١٧٠٠٠ جندي في هال Hal وتوبيز Tubeiz على بعد ثمانية أميال من ميمنته في ميدان معركة ووترلو لصد حركة التفاف قد يقوم بها العدو، وليوجد نقطة للتجمع في حالة ما إذا كسر منتصف خطه أي قلبه، ثم اتخذ موقعًا بقوة عددها ٦٧٠٠٠ معترضًا طريقي نيفيل – بروكسل Nivelle-Brussels وشارلروا – بروكسل Charleroi-Brussels اللذين يلتقيان في مونت سان جان Mont st. Jean، وهو بذلك قد حرم من خدمات هذا القسم المنفصل، وقد انتقد نُقّادو العصر الحديث توزيع قواته ووضعها بهذا الوضع، ومع ذلك فمن الجائز القول بأن سلامة جناحه الأيمن وامتلاكه نقطة للتجمع قد ألهماه الثقة التي قاوم

بها هجمات نابليون المتواصلة إلى أن وصل فيلق بلوخر فأتاح له التغلب على خصمه.

ومن أشكال العمل الدفاعي أيضًا احتلال سلسلة من المواقع الوقتية ثم الانسحاب منها بانتظام إلى سلسلة أخرى قبل أن يقوم العدو بالاقتحام فعلًا، وذلك بأن تشترك المقاومة مع المناورة بقصد تأخير زحف العدو أو توقيف تعقبه، والعمل المؤخر الذي من هذا القبيل يستخدم عادة في قتال الحرس الخلفي، وذلك حينما يكون المطلوب هو كسب الوقت لا كسب الموقع، وهنا يقتصر العمل التعرضي الذي يقوم به المدافع على هجمات مضادة محلية في اللحظة الملائمة أو في لحظة اليأس والحرج.

على أن المبدأ الواجب الاتباع في كل العمليات الدفاعية، ومنها قتال التأخير ينبغي أن يكون:

«حينما يكون العدو مالكًا لحرية المناورات قلّما يوجد مبرر لاحتلال موقع احتلالًا سلبيّا (أي قاصرًا على الدفاع) مهما بلغ ذلك الموقع من القوة، بل إن هذا الاحتلال ينطوي دائمًا على المجازفة بالهزيمة الساحقة».

(قوانين خدمة الميدان جزء ثاني سنة ١٩٢٠)

الروح التعرضية:

ولو أن العمل الدفاعي له صور كثيرة، إلا أن روح الدفاع في كل حالة من الحالات هي روح تعرضية شديدة، أما في الدفاع العملي (الإيجابي) فإن الهجمة المضادة الفاصلة التي تنتهي بالتغلب على العدو هي المناورة التي يتجه إليها النظر في بادئ الأمر حينما تنتهج خطة الدفاع، وأما في الدفاع السلبي ضد قوات متفوقة عددًا، فإن الهجمات المضادة المحلية تنتهي إما باسترجاع نقطة تكتيكية، وإما بصد اقتحام صادق العزيمة، وهي في قتال التأخير تتغلب بالنيران الفجائية أو بالاقتحام على قوة تكون قد انفصلت عن العدو وأسرعت في تقدمها بدرجة تتيح للمدافعين – دون أية مجازفة لا ضرورة لها – قطعها عن بقية القوة الأصلية والحيلولة بينهما، أو إبادة القوة المنفصلة، ومهما كان الموقف التكتيكي، لا يتيسر إحراز الفوز أمام عدو ثابت العزيمة إلا بشدة الروح التعرضية لا غير.

الحرب الحديثة:

في الحروب الحديثة يلعب المرقع الدفاعي دورًا تزداد أهميته بالنسبة للقوة العظيمة التي أودعتها التسليحات الحديثة في الدفاع.

قال المارشال فوش: «المدافع الرشاشة والأسلاك الشائكة تتيح تنظيم نقط دفاعية، على وجه السرعة، لا يختلف اثنان فيما لها من القيمة، وخصوصًا فإنها قد أعطت الخندق أو المانع الطبيعي متانة تمكن من مد الجبهة بكيفية لم تكن منتظرة قبل هذه الحرب (العظمى)، وهي تتيح توطيد مجموعة عظيمة من المواقع أو الخطوط الدفاعية دون ضياع الوقت وتجعل الاحتفاظ بها أمرًا سهلًا».

وقال المارشال فرنش: «إن البندقية الحديثة ومدفع الماكينة زادا قوة الدفاع النسبية أضعافًا مضاعفة عما للهجوم، وبذا أصبح وضع المدفعية التي من أثقل العيارات في موقع وراء خط قتال المشاة وقريبًا منه من العمليات الممكنة التنفيذ، وليس ذلك بسبب خفة الحركة التي أوجدتها المركبات الميكانيكية فحسب، بل إن الخوف الذي كان متسلطًا فيما مضى من فقدان المدافع قبل نقلها وسحبها قد أصبح لا محل له».

وعلى ذلك فمن المحافظة على المواقع الأمامية لمجموعة دفاعية راقية التنظيم بأقل ما في درجات التعرض من الخسائر، إذ إن قوة الموقع الإضافية (الذاتية) تعوض عن نقص عدد الجنود، على أن استصواب العمل الدفاعي الذي من هذا القبيل قد يعتبر بوجه العموم اعترافًا بأن الخروج من الحملة بالنصر أمر ليس متوقعًا في الوقت الذي انتهج فيه وفي المسرح الذي اختير له.

«من الأهمية بمكان عظيم، أن في أجزاء مسرح العمليات التي يرمي فيها القائد إلى إحراز غرض جاسم، يجب أن لا يسمح لحرب المناورات أي الحركة أن تئول إلى حرب المواقع ما دام في الإمكان التقدم، فإن حرب المواقع لا يستطيع إحراز النصر بنفسه قط».

(قوانين خدمة الميدان جزء ثاني سنة ١٩٢٠)

فمهما بلغت المتاريس من القوة فإنها لا تهزم جيوش الخصم الرئيسية، ولا تستطيع الثبات إلى أجل غير مسمى أمام هجمات عدو صادق العزيمة جيد التسليح، بل وليس من المحتمل أن جيشًا موجودًا وراء متاريسه يستطيع بهذه

الوسيلة وحدها أن يوقع بعدوه الهاجم عليه من الخسائر ما يمكّنه (المدافع) من استرجاع القوة الإنشائية أو حرية المناورات ثم هزيمة جيوش العدو الهاجم الرئيسية، إذ تصير العمليات لدى كلا الفريقين إذ ذاك من نوع الحصار، ومهما طال أمد الحصار فإن الميزة فيه لا تكتسب سواء طال الزمن أو قصر إلا بالتفوق في الأعمال التعرضية في الجو وفوق الأرض وتحتها، وعلاوة على انعدام الفرصة في جرب المواقع (الحرب الموضعية) للقيام بالحركات التعرضية العظمى فإن هناك نقطتي خلاف بين العمل الدفاعي في حرب المواقع، والعمل الدفاعي في حرب المناورات.

ففي الأول لا وجود للأجنحة التي يقصد مهاجمتها، وانعدام الأجنحة هو بحكم الضرورة؛ لأن العمليات تستلزم وجود خط متصل مؤلف من نقط قوية يمتد من بحر إلى بحر، أو من البحر إلى حاجز في أراضي بلاد محايدة لا يمكن اجتيازه، وبناء على ذلك فإن الجنود الراكبة تكون إذ ذلك محكومًا عليها بالجمود في أهم دائرة لأعمالها، وتبقى كذلك حتى يخترق الخط وتفتح فيه فتحة يضطر العدو إلى التقهقر. وفي نفس الوقت تكون الفرص التي تمكّن من القيام بهجمات جانبية قاصرة على المشاة، وهي الفرص التي تنشأ عن التعاريج التي توجد في خط النقط القوية التي قد تمكن من تسليط النيران الجانبية عليها، أما نقطة الخلاف الثانية فهي وفرة الوقت الذي يكون تحت تصرف القادة فيستخدمونه في التوسع في نُظُم الهجوم والدفاع الدقيقة والتمرن عليها بتكرير تمثيلها، وفي الحصول على رسوم تفصيلية لاستحكامات العدو عن طريق الاستطلاع المستمر الذي تقوم به قوات الجو، ففي أغلب البلدان والممالك تطرأ بحكم الضرورة فترات طويلة في حرب المواقع تقف فيها الأعمال بسبب صرامة الأحوال الجوية في فصل الشتاء، أو بسبب هطول الأمطار الغزيرة، وفي تلك الفترة يندر أن يكون في الإمكان اختراق دفاعات العدو الرئيسية في نطاق يساعد على قيام الحركات التعرضية العظمى، وعلى أن هذه الفترة هي فترة جمود من حيث الظاهر لا من حيث الواقع؛ إذ إن النظام الدفاعي يبقى دائمًا في حاجة إلى الإكمال. فليس هناك نقطة قوية لا تحتاج إلى زيادة التوطيد والتقوية في خنادق حديثة تحفر دائمًا أو تصلح إلى ساحات جديدة تغطى بعراقيل الأسلاك الشائكة، ثم إن المدافع من كل العيارات والألغام التي توضع تحت الأرض، والمدافع الخفيفة، كل هذه تبقى دائمًا في عمل مستمر تدمر وتثخن الجراح وتقتل، بينما قنابل الغازات الخانقة والمدمعة، تبقى متوقعة في كل وقت وآن، ثم إن هناك

«الرماة» Snipers في كلا الطرفين تدوي طلقاتهم يوميًّا، وإن كان ذلك في نطاق ضيق، ثم الراصدون الذين يراقبون من مراصدهم كل ما يطرأ من التغيير والتبديل مهما قلّت قيمته، وكل ما ينشأ من المتاريس الحديثة، كذا «محطات الإصغاء» تلتقط ما يضعه العدو من الخطط، بينما تقوم الأطواف بجمع المعلومات، وتقوم أقسام الإغارة بالاستطلاع وتدمير الدفاعات وإيقاع الخسائر، إذ إن أول مبدأ تقوم عليه الإغارة هو إيقاع خسائر بالعدو أعظم وأبلغ مما تصاب به الجنود المغيرة.

الاستحكام:

لقد استخدم الاستحكام في الدفاع منذ أقدم العصور، ومن الأمثلة البارزة التي تؤيد ذلك: الأسوار الرومانية الموجودة في بريطانيا، والسور الأعظم ببلاد الصين، ومتاريس الحرب الروسية في سنة ١٨٥٤ – ١٨٥٥، والحرب الأهلية الأمريكية في سنة ١٨٦١ – ١٨٦٤، والحرب الروسية – التركية في سنة ١٨٧٨، والحرب الروسية اليابانية في سنة ١٩٠٤ – ١٩٠٥، على أن الاستحكام لم يلعب في أي حرب من الحروب التي سبقت حرب سنة ١٩١٤ – ١٩١٨ من الأدوار ما لعبه في هذه الحرب الأخيرة.

فمن أشهر سلاسل الاستحكام التي أقيمت في الحروب الماضية، والسلسلة التي أنشأها الكولونيل ر. فلتشر ReFleteher، من سلاح المهندسين الملكي في سنة ١٨١٠ في تورس فدراس Torres Vedras.. فهذه الاستحكامات كانت تمتد مسافة خمسين ميلًا، وكانت تشتمل على ١٢٦ طابية مقفولة بها ٢٤٧ مدفعًا، وقد جمع ولنجتون وراء هذه الخطوط والأدوات والعدد (المهمات) والإمدادات – إلى أن مكّنه تقهقر مسينا Massena من أمام هذه الخطوط- كل شيء يصلح لأن تقتات به الجيوش الفرنسية، أما وراءها فكانت قوات ولنجتون ممونة بكل ما تحتاج إليه.

وفي ١٠ أكتوبر سنة ١٨١٠ وجد مسينا نفسه أمام المتاريس التي كان أمرها عنده سرًّا مكتومًا، وحالت قوتها دون الاستيلاء عليها بالاقتحام، وقبل نهاية أكتوبر كتب جاسوس برتغالي لولنجتون يقول: «لتغفر لي السماء إذا ظلمت الفرنسيين باعتقادي أنهم أكلوا قطتي» (نابير).

وفي ليلة ١٥/١٤ نوفمبر نقض مسينا معسكره وانسحب، على أن الذي استرجع شبه الجزيرة (أسبانيا والبرتغال) ليست هي خطوط تورس فدراس، إنما الذي تجّى

أسبانيا والبرتغال هو السير الجريء شمالًا إلى فيتوريا Vittoria.

«ففي ستة أسابيع سار ولنجتون ٦٠٠ ميل ومعه ١٠٠.٠٠٠ جندي، وعبر ستة أنهر عظمى، واكتسب معركة فاصلة، وحاصر قلعتين، وطرد ١٢٠.٠٠٠ من قدماء الجنود الفرنسية من أسبانيا» (نابير).

النظم الدفاعية:

«سواء أكان في نية القائد استئناف الحركات التعرضية في وقت قريب، أو كان من المحتمل أن احتلال الخطوط الدفاعية يستمر إلى زمن طويل، فإن المبادئ التي تشاد بموجبها كل الدفاعات واحدة لا تتغير، فيجب أن تخطط الخطوط الدفاعية من بادئ الأمر بطريقة تسهل معها ملاءمتها لاحتياجات الدفاع الطويل الأجل. فالأراضي يجب استطلاعها استطلاعًا دقيقًا ثم تقسيمها من أول الأمر إلى سلسلة من النقط التكتيكية والأماكن المحصنة، وهذه النقط يجب أن تكون مكتفية بذاتها وأن تكون مواضعها بحيث تستطيع حامياتها معاونة بعضها البعض بالنيران، فالفتحات التي توجد بين النقط يجب سترها بنيران القوة الموجودة بتلك النقط، وقد توضع مدافع ماكينة أيضًا في محلات تستطيع منها تسليط النيران من المواقع الخلفية والتي في الأجناب».

(تعليم المشاة سنة ١٩٢١)

وهذا المبدأ هو الذي يتقيد به اختيار الموقع المراد الدفاع عنه كما يتقيد به تنظيم الموقع للدفاع، ويتحتم على الجنود المعينين للدفاع عن ساحة ما أن يداوموا ترقية التدابير الدفاعية في تلك الساحة حتى يحين الوقت لاستئناف الحركات التعرضية.

انتخاب الموقع:

إن الهيكل الذي يشاد عليه الدفاع (الخنادق والمتاريس وما إليها) الحديث يشتمل على المدفعية ومدافع الماكينة، ثم إن النقط الدفاعية أو الأماكن المحصنة التي تكون حامياتها من المشاة توضع من داخل هذا الهيكل، أي الشكل المكون من المدافع، وهؤلاء المشاة مكلفون بالمحافظة على أماكنهم مهما كلفهم ذلك، وبإيقاع أعظم ما في الإمكان من الخسائر بالعدو. أما القائد فيلزمه موقع تتوافر فيه المرونة لزيادة المقاومة حينما يخترق الهاجمون الدفاعات، ولذلك فالعمق أمر جوهري، كما يلزم

القائد موقع فيه الاتساع الكافي حتى لا تحجب كل جبهته عن نظره هجمة كاذبة (أي تستلفت المدافعين إليها وتبقيهم في أماكنهم) يقوم بها قسم من قوات العدو، بينما يقوم في نفس الوقت بهجوم قوي جانبي، وفي حرب المناورات، أي الحركة، فالقائد يتطلب ما يسهل له القيام بهجمة مضادة فاصلة.

أما عمق الموقع فإنه يتطور، أي يزداد، من تلقاء نفسه في حرب المواقع، ولكنه يجب أن تتوافر فيه الكفاية دائمًا لتجمّع الجنود وراء الموقع الأمامي قبل البدء بالتحرك، وأن تستطيع الجنود المنسحبة من الخط الأمامي الاستراحة فيه. أما اتساع الموقع فيتوقف بوجه عام على مقدار القوة المدافعة، والمبدأ المتبع في ذلك هو إبقاء ما يقرب من نصف القوة في الاحتياطي العام، وبناء على ذلك، إذا كانت القوة الباقية (بعد الاحتياطي) ليست كافية للمحافظة على الدفاعات (أي أجزاء الموقع) فالموقع إذ ذاك يكون متجاوزًا حد الاتساع بالنسبة للمطالب التكتيكية التي يتطلبها الدفاع الإيجابي (المنتج)، ومع ذلك ففي حرب المواقع (الموضعية) يكون النظام الدفاعي ممتدًّا بحكم الضرورة إلى ما وراء الحدود اللازمة للدفاع الإيجابي، ثم إن عدد الجنود المتوفرة التي تتكون منها الحامية يعزز بعراقيل وموانع يكون من شأنها أن تضيق الأراضي أمام الهجوم، وهذه العراقيل تحميها نيران مدافع الماكينة والبنادق فتمنع العدو من إزالتها.

منطقة النقط الخارجية:

للدفاع عن موقع دفاعًا عمليًّا أي إيجابيًّا يجب أن يشتمل النظام الدفاعي على منطقة للنقط الخارجية، وموقع للمعركة، فأما منطقة النقط الخارجية فتشغلها قوة واقية تبقى دائمًا مترقبة للعدو، وهي تتلقى صدمة الهجوم الأولى وتستنفد قوتها، أما المراقبة فتكون بواسطة نقط للحراس (الديده بانات) على خط المراقبة بحيث تكون مستورة جيدًا عن نظر العدو، تمدها سلسلة من النقط الدفاعية تتوافر في كل منها كفايتها، وتوضع على خط المقاومة الموجود بالنقط الخارجية، وهذه النقط يعاون بعضها بعضًا.

موقع المعركة:

موقع المعركة يكون في الساحة التي يقرر القائد أن يخوض غمار المعركة فيها ويحبط هجوم العدو، ولذلك فهو الأساس الذي يقوم عليه الموقع الدفاعي ويجب أن

ينظم بعمق تتوافر فيه مرونة القتال الدفاعي.

«المبدأ يقضي بأنه لكي يصان موقع المعركة من أن تمحو معالمه نيران المدافع التي تفتتح بها المعركة، يجب أن يكون خارج المرامي المؤثرة التي تصل إليها هاونات العدو». (قوانين خدمة الميدان جزء ثان)

النظام الشبيه بالمستديم:

عندما يطول أمد الحملة الحربية في أية ساحة كانت دون أن تصل إلى نتيجة فاصلة، قد تتطور الحرب إلى حرب المواقع لدى أحد الفريقين المتحاربين أو كليهما. وفي مثل هذه الحالات تتطور منطقة النقط الخارجية حتى تصير عبارة عن مجموعة من الخنادق المتشابكة مع بعضها البعض، لها مسالك واقية واصلة من الأمام إلى الخلف، وبها حفائر عميقة تقي الحامية من نيران المدفعية، ومن المحتمل أن يتطابق موقع المعركة مع منطقة النقط الخارجية فتستخدم الخنادق لأغراض الرصد والمراقبة إلى أن تشغل الجنود مواقع النيران لمقاومة الاقتحام.

ففي بعض أجزاء الخط في الجبهة الغربية في الحرب العظمى استعيض عن خطوط الخنادق الممتدة على طولها بغير انفصال بالطوابي المبنية بالخرسان الحاوية لمدافع الماكينة، وكانت حاميات هذه الطوابي الحاوية للمدافع الماكينة مؤلفة من جماعات يختلف عددها من ٥ إلى ٥٠ بحسب حجم كل واحدة منها، كما كانت موضوعة بشكل تدريجي حتى تكتسح كل طرق الاقتراب، ولتكون في مجموعها حاكمة على كل الساحة المنتشرة فيها بنيرانها التي كانت تتبادل التعاون مع بعضها البعض، أما الأراضي الواقعة بينها فكانت مغطاة بعراقيل من الأسلاك وضعت بكيفية تستدرج الجنود الهاجمة إلى أماكن معرضة لنيران جانبية شديدة. أما مزايا نظام، أي طريقة، الطوابي المذكورة آنفًا على الخط المتصل الأجزاء المؤلف من نقط قوية، فهي مزايا دفاعية على الأكثر؛ لأنها تحتاج إلى عدد من الجنود أقل مما تحتاجه خطوط الخنادق، فضلًا عن أنها أقل عرضة للخسائر من نيران المدفعية عن الثانية، على أن لها عيوبًا خطيرة، منها أن نيران المدفعية التي تحسن إدارتها قد تدمر بعض مدافع الماكينة، وإذا أصيبت إحدى الطوابي الكبيرة بإصابة تامة (الإصابة التامة هي التي تصيب المدفع أو الغرض ذاته تمامًا) من مدفع كبير قد تتلفها وتخرجها من القتال. وبذا تشوّه الدفاع باقتلاع وقد يتوقف على وجوده بقاء المجموعة الدفاعية بأجمعها، ثم إن جنود الإمداد والاحتياط تكون بضرورة الحالة في

المؤخرة ولا بد لها من التقدم إلى الأمام فوق الأرض المكشوفة لصد الهجمات الناجحة. بينما النظام الدفاعي القائم كله على تخطيط طوابي المدافع أي على قاعدة النقط المنفصلة هو أقل ملاءمة للأعمال التعرضية من نظام الخنادق؛ لأن تسهيلات جمع الجنود قبل الهجوم في الأولى أقل منها في الثانية.

خصائص عامة (مشتركة):

مهما كانت طريقة الدفاع ومهما كان الطور الذي تتطور به الحرب فإن كل قائد يتحتم عليه أن يحرس أجنحته، وأن يبقى على اتصال بالوحدات المجاورة له، كما يجب عليه أن يكون دائمًا على استعداد لمعاونة القائد المجاور له إما بالنيران الجانبية وإما بهجمة مضادة تخفف عنه، أو أن يؤخر جناح دفاعي إلى الوراء في حالة ما إذا استولى العدو على نقطة مجاورة له، وكل نقطة تحتل بقصد الدفاع (إلا في قتال التأخير أي قتال الحرس الخلفي المراد به تأخير تقدم العدو لكسب الوقت) تكون مركزًا للمقاومة، فيه ما يكفيه ما يحتاج إليه، ويستطيع إطلاق النيران في كل الاتجاهات، وواجبات حاميته هي المدافعة عن الساحة المخصصة لها حتى آخر رجل وإلى آخر طلقة.

الدفاع العملي (الإيجابي):

تراعى في الدفاع العملي الأسباب التي دعت قائد القوة لأن يحتل الموقع، إذ قد يكون انتخب بعد التفكير والتبصر بصفته موقعًا لا بد أن يهاجمه العدو، ويأمل القائد القيام بهجمة مضادة فاصلة ساحقة أثناء هذا الهجوم، وقد يكون انتخب بحكم الضرورة لمقابلة هجوم العدو بقوته المفتوحة في الأرض التي سيكون الاصطدام فوقها وبنفس الأمل سابق الذكر، أي القيام بهجمة مضادة فاصلة ساحقة حينما تسنح الفرصة لذلك.

ففي الحالة الأولى ينتدب احتياطي عام للقيام بالضربة المضادة خصيصًا، أما في الحالة الثانية فإن الموقع يحافظ عليه أقل عدد من الجنود يسمح به الموقف التكتيكي حتى يتوفر بذلك أكبر احتياطي عام للقيام بالحركات التعرضية الكبرى، ثم إن القائد حين اختياره موقعًا دفاعيًا يراعي عدة اعتبارات:

أولًا: يجب أن يكون الموقع ملائمًا لخطة العمليات:

ولذا يجب أن يكون «في طريق العدو»، وذلك يجب أن يتبينه القائد من الخريطة. وما

يجب ملاحظته أن سد الطريق على العدو لا يستلزم حتمًا اعتراض خط تقدمه، ما دام أن موقعًا على خط موازٍ لخط تقدمه يهدد جناحه ومؤخرته، وليس في مقدوره أن يغفله ويتهاون في أمره إلا إذا كان من القوة بدرجة تتيح له أن يفصل قسمًا من قوته لتغطية موقع المدافعين، ويستمر هو في سيره نحو غرضه بجيشه الرئيسي.

قال نابليون: «لقد كان من الخطأ الزعم بأن المرء لا بد له أن يقف بعرض الطريق المؤدية إلى تورين Turin لكي يغطي تلك المدينة... لأن الجيوش التي تتجمع في ديجو Dego تكون قد غطت تورين؛ لأنها تكون قد وقفت على جانب الطريق الموصل إلى تلك المدينة».

ثانيًا: يجب ألا يكون الموقع ممتدًا أكثر مما يلزم بالنسبة لعدد الجنود الموجودة تحت تصرف القائد، وذلك يتوقف على امتداد الخط المطلوب الاحتفاظ به فعلًا، وهو يشتمل على سلسلة أو مجموعة من النقط التكتيكية تستطيع معاونة بعضها البعض، فيحتفظ بها «كمراكز يدور حولها الدفاع عن الموقع»، ويكون القصد منها الحصول على أقصى درجة من تأثير النيران على كل الأراضي التي يستطيع العدو أن يتقدم عليها، وبأقل درجة من التعرض لنيرانه، والقاعدة المختصرة لذلك هي أنه ما لم يتوفر بندقية واحدة لكل ياردة من الجبهة المحتلة «من الجنود المخصصين للمحافظة على الموقع» (التي يجب أن لا تزيد عن نصف القوة الموجودة) فإن الموقع يكون إذ ذاك متجاوزًا حد الاتساع وينبغي تضييقه، على أنه من جهة أخرى إذا ضاقت الجبهة عن الحد اللازم قد يكون ذلك مما يمكّن العدو من تهيئة هجمات جانبية قوية في أوائل القتال قد تجعل الموقع غير صالح للبقاء فيه حتى يحين الوقت لانتهاج خطة التعرض.

فخط كونديه – مونز – بنش Condé – Mons - Binche الذي كان يحتله جيش السير ج. فرنش في ٢٢ – ٢٣ أغسطس سنة ١٩١٤ (الفيلق الأول وقائده الجنرال سير د. هايج، والفيلق الثاني وقائده الجنرال السير هـ ل. سمث دوريان H.L. Smith Dorrien) كان يبلغ اتساعه ٢٥ ميلًا، وكانت الجنود الموجودة وفيها فرقة الفرسان التي كان يرأسها السير ا.هـ اللنبي يبلغ عددها نحو ٧٥٠٠٠ من كل الأسلحة، فالجبهة التي كانت مشغولة بالفعل لم تستغرق نصف هذه القوة باعتبار بندقية واحدة لكل ياردة، وكان قد انتخب أيضًا موقع وراء هذا الخط بين جيرلان Jeriain وموبوج Maubenge بجبهة تبلغ ١٥ ميلًا.

فالتقهقر من مونز لم يكن بباعث تناهي الجبهة في الاتساع، بل كان بسبب فوز الهجوم الألماني على الفيلق الخامس الفرنسي في شارلروا Charleroi (٢٣ أغسطس سنة ١٩١٤) وبذا ترك الجناح الأيمن من الجيش البريطاني «في الهواء» (أي لا يستند على شيء) بينما كان فيلقان ألمانيان يعملان للالتفاف حول الجناح الأيسر، أما الفيلق الثالث البريطاني (الجنرال السير و.ب بولتني Pulteney فإنه لم يصل إلا بعد أن كان التقهقر مُجِدًّا في سيره.

وفي معركة إيبر الأولى (٣١ أكتوبر سنة ١٩١٤) كان الكثير من أجزاء الخط محتلًا بواقع بندقية واحدة لكل ١٧ ياردة، ولم يكن هناك إمداد ولا احتياطي محلي ولا احتياطي عام، ومع ذلك فإن الخط لم يحتفظ به فحسب، بل إن الجنود قامت بهجمة مضادة في غليوفلت Gheluvelt دفعت الألمان الهاجمين وردّتهم إلى ما وراء استحكامهم.

ثالثًا: يجب أن يوجد ميدان مكشوف للنيران لمنع العدو من الاقتراب حتى المرمى المؤثر دون أن يعترضه أحد، وخصوصًا من الوصول إلى مرمى قصير يسعى منه لأن يحصل على التفوق في قتال النيران.

رابعًا: يجب أن يكون الجناحان آمِنَيْن أو على الأقل على أعظم ما يمكن من القوة. فالجناح الذي يستقر على نهر عميق أو على مستنقع قد يعتبر آمنًا، كذا الجناح الذي يمتد حتى البحر أو حتى حدود بلاد محايدة والجناح المستقر على أرض مرتفعة حاكمة على كل الموارد أي خطوط الاقتراب، التي تتوافر فيها وسائل الرصد أي المراقبة إلى مسافة بعيدة، قد يقال عنه أنه قوي، ومن المزايا العظمى أن يكون في الإمكان وضع الجناح في موضع على درجة من القوة، بحيث يجد العدو أن يوجّه هجمته الرئيسية إلى الجناح الآخر، فذلك يمكّن المُدَافع أن يتنبأ باتجاه الهجوم الفاصل فيتصرف باحتياطيه العام على وجه يقابل به الهجوم ويتغلب عليه.

خامسًا: يجب أن تتوافر سهولات الاستتار في الموقع، ومسالك مستورة للاقتراب من الخلف، فقمة التل يتوافر الستر في انحداراتها الخلفية، والغابة تمكّن من الاختفاء، بينما أن الوقت يمكّن من اتخاذ الوسائل الصناعية، أما الستر التكتيكي ففي الإمكان إيجاده بالفرسان وجنود المقدمة في المراحل الأولى من معركة المناورات. وحينما يزال هذا الساتر ففي إمكان الجنود أن تنسحب بكيفية تستدرج العدو إلى موقع كاذب. وفي إمكانهم أيضًا أن يستحثوا العدو إلى فتح جنوده قبل الأوان

وتحركها أمام جبهة الموقع الحقيقي.

سادسًا: يجب أن توجد مواقع جيدة للمدفعية لكي تطلق نيرانًا مؤثرة على كل المسالك التي يسلكها العدو في اقترابه، وتتبادل البطاريات إطلاق النيران مع مواقع مدفعية العدو، ويجب أيضًا وجود أراضٍ صلبة وطرق جيدة لتحركات المدافع، كما يجب خلو الأراضي من المعالم (الأغراض الشهيرة) التي يستعين بها العدو على إيجاد مرامي النيران، وفي كل المعارك الحديثة تشترك مدافع من أثقل العيارات فيتفق على توزيعها بالتشاور مع قائد المدفعية، والبطارية الواحدة من مدفعية الميدان تحتاج إلى جبهة اتساعها ١٠٠ ياردة لمدافعها الستة، والمعتاد أن تترك مسافات قدرها ٢٥ ياردة بين البطاريات.

سابعًا: لا بد من وجود عمق يمكّن من توزيع الإمداد والاحتياطي وتحركهما، ويكفي للقيام بالمناورات لاسترداد الدفاعات الأمامية، أو للبروز عند عملية الهجوم المضاد.

ثامنًا: لا بد من وجود مواصلات جانبية وأمامية جيدة حتى يبقى في الإمكان تعزيز أي جزء من الخط على جناح السرعة، وبناء على ذلك يجب اجتناب الموقع الذي يعترض نهرًا لا مخاضة فيه، أو تلًا مرتفعًا، أو واديًا عميقًا، ففي معركة درزدن (٢٦ أغسطس سنة ١٨١٣) عسكر الحلفاء على الشاطئ الأيسر لنهر الألب Elb، وكانت قواتهم موضوعة فوق الهضاب، ولكن الموقع كان يقطعه وادٍ عميق حتى انفصل الجناح الأيسر عن القلب والجناح الأيمن، فهذا الوضع البغيض لم يخف على نظر نابليون الثاقب، فهاجم جناحهم المتفرد بقوة تتفوق عليه وشرّده تمامًا، وأخذ منه ١٠.٠٠٠ أسير قبل أن تصله النجدة، فمهمة إيجاد مواصلات جانبية إن لم تكن موجودة هي من أهم الأمور؛ لأنها تمكّن القائد من إحراز الغرض الأولي من كل مناورة عسكرية وهي مقابلة العدو بقوات متفوقة في النقطة المطلوبة.

تاسعًا: لا بد من وجود خطوط جيدة للانسحاب تكون أفقية أو مائلة قليلا على الموقع الرئيسي، فلا تكون موازية للخط الذي تتشكل عليه الجنود، وهذه النقطة في الدرجة الأولى من الأهمية؛ لأنه إذا كانت خطوط المواصلات تؤدي مباشرة إلى الخلف فإن القوة إذا تغلب عليها الهجوم تستطيع الانسحاب إلي مواقع منتخبة متجهة نحو قاعدتها إذا كان في استطاعتها أن تصون الخط وتمنع أجنحتها من الالتفاف حولها، أما القاعدة المتسعة التي تتصل بخطوط اقتراب يمكن استبدال أحدها

بالآخر فلها من القيمة ما لا يعادله شيء، وحينما يكون هناك خطر لا موجب له من انقطاع خطوط المواصلات المؤدية إلى قاعدة أو التدخل فيها، فإن اتخاذ قاعدة أخرى يستعاض بها عن الأولى، يكون لها خطوط انسحاب توصل إليها من الجناح الذي لم يكن معرضًا للخطر، فيه صيانة معقولة؛ إذ يبقى في الإمكان مداومة الدفاع بينما تتجمع القوة المنسحبة في القاعدة الجديدة.

ومثل هذا التغيير في القواعد قد أجراه المارشال فرنش أثناء التقهقر من مونز، ومن الأمثلة التاريخية العديدة ما قام به الجنرال ماكليلان من نقل جيش البوتوماك من نهر اليورك إلى نهر الجيمس في يوليو سنة ١٨٦٢ أثناء معركة السبعة أيام حول رتشموند، وقد غيّر الجنرال جرانت قاعدته ما لا يقل عن خمس مرات أثناء حملة البرية Wilderness (مايو سنة ١٨٦٤)، فنقلها من واشنطن إلى السكة الحديدية الكائنة بين أورانج Orange وإسكندرية (بأمريكا)، ثم إلى فردركسبورج على نهر راباهنوك Rappahannock ثم إلى بورت رويال شرقًا على نفس ذلك النهر، ثم إلى البيت الأبيض على نهر البامونكي Pamonky (فرع من نهر اليورك)، وأخيرًا إلى نهر الجيمس، وقال الكولونيل هندرسن ما يأتي:

«كان جيشه مموّنًا بكل ما يلزمه، حتى إن جرحاه الذين بلغ عددهم مقدارًا مهولًا كانوا ينقلون على الفور إلى القاعدة، ومنها إلى واشنطن، ومن غير أية صعوبة، ولم تكن أمامه أية عراقيل تتطلب تذليلًا فيما يختص بإطعام جيشه أو استيراد ذخائره». وقد يكون من المفيد في انسحاب جناح مهزوم أن تتجمع الجنود في نقطة بعيدة عن ميدان المعركة، لتضليل الجيش المتعقب الذي يجهل اتجاه التقهقر فيفصل منه قوات للمطاردة في الاستطاعة التغلب عليها بهجمات مضادة فجائية، أو لاستدراجه إلى خارج ميدان المعركة كما استدرج جروشي Crouchy بعد أن هزم نابليون البروسيين في ليني Ligny (١٦ يوليه سنة ١٨١٥).

وكان القصد من هجوم نابليون على الحلفاء فصل قوة ولنجتون الإنجليزية – البلجيكية عن الجيش البروسي الذي يقوده بلوخر، وبعد أن هزم البروسيين في ليني وجّه المارشال جروشي لتعقب البروسيين وطردهم نحو الشرق، فتبطّأ جروشي في تعقب البروسيين واشتبك في قتال مع جزء ضئيل من الجيش البروسي (معركة وافر التي وقعت في ١٨/١٩ يونيه سنة ١٨١٥)، بينما تحركت قوة البروسيين الرئيسية نحو الغرب وساعدت على اندحار نابليون في ووترلو.

عاشرًا: لا بد من وجود أراضٍ صالحة وخط جيد للتقدم للهجوم المضاد الفاصل. وبناء على ذلك فلأجل قهر العدو يجب ألا ينتخب الموقع وراء مَعْلَم من معالم الأرض لا يمكن اجتيازه ويتعذر عبوره على كلا الفريقين المتحاربين.

ففي معركة راميلليز Ramillies (٢٣ مايو سنة ١٧٠٦) كان أحد جناحي العدو وراء مستنقع فلا تستطاع مهاجمته ولا هو يستطيع الهجوم. ولذلك فإن مارلبورو أغفل ذلك الجناح كلية وأتى بكل قوته قبالة الجناح الآخر ففاز بنصر حاسم بسهولة. أما الحالتان الوحيدتان اللتان يكون فيهما أحد معالم الأرض الذي لا يمكن اجتيازه، مما يرحب به فهي حالة الدفاع السلبي الذي تقوم به قوة صغيرة ضد قوة تفوقها كثيرًا (كما شوهد في أغسطس سنة ١٩١٤ حينما احتل البلجيكيون موقعًا وراء نهر الجت Getie). وحالة قتال التأخير الذي يقوم به حرس خلفي يقاتل لكسب الوقت اللازم لابتعاد القوة الرئيسية. وفي مثل هاتين الحالتين تنعدم فكرة القيام بهجوم مضاد.

احتلال موقع دفاعي:

الهيكل أي الشكل الأصلي للدفاع ترسمه المدفعية ومدافع الماكينة بنيرانها. أما السلسلة الفقرية للتعرض فهي المشاة. فالقائد يقسم الجنود إلى :

١- جنود يحافظون على الموقع.

٢- احتياطي عام.

ثم إن القاعدة أي الأصول تقضي بجعل:

أ- أصغر ما يمكن بحسب ما يسمح به الموقف التكتيكي أن يكون.

ب- أكبر ما يمكن ويكون عمله حاسمًا قاطعًا.

ولا يجوز مطلقًا جعل الاحتياطي العام أقل من نصف القوة الموجودة بأية حال.

فمن هذين القسمين تكون الجنود التي تحافظ على الموقع مؤلفة من المشاة، وهي تحتل سلسلة من النقط التكتيكية القوية تستطيع معاونة بعضها بعضًا. وليس من الضروري أن يكون بعضها متصلًا بالبعض على التتابع. بل تكون غير منتظمة الحذاء حتى لا تستر بنيران مدافعيها الأراضي التي يستطيع العدو التقدم فوقها فحسب. بل تستر أيضًا مواجهة وأجنحة النقط القوية المجاورة لها. وهذا

الخط يعزز ويقوى عند الضرورة بالإمداد. وفي الفترات الحرجة يعاونه الاحتياطي المحلي بأن يأتي مختفيًا ويقوم بهجوم محلي مضاد على العدو المقتحم، وبهذه الكيفية يسترجع طالع المعركة في النقط المهددة بتخفيفه الضغط عن الخط الأمامي.

وبعد إنجاز هذه المهمة يتجمع وينسحب ثانيًا ويبقى احتياطيًّا محليًّا.

ففي معركة تالافيرا Talavera (٢٧ يوليه سنة ١٨٠٩) اقتفى جزء من القوة البريطانية أثر القولات الفرنسية المرتدة، وتمادى في ذلك إلى مسافة بعيدة فوق اللازم، فانكسر هو بدوره وارتد وطرده العدو متعقبًا إياه عن قرب ورجع بغير انتظام إلى الموقع.

وفي معركة فردركسبورج (١٣ ديسمبر سنة ١٨٦٢) خرج لواءان من موقع جيش الجنوب، وطردا فرقة ميد التابعة لجيش البوتوماك من خطوطها، ولكنهما تماديا في الاندفاع بتهور فكان نصيبهما أن ارتدا على الأعقاب بخسائر جسيمة.

فالهجمات المضادة المحلية تبقى الروح التعرضية حية في نفوس المدافعين، وتنهك قوى العدو، وتستجلب جنوده الاحتياطية إلى المعركة، وبذا تهيئ الفرصة للهجوم المضاد الفاصل. أما جنود الاحتياطي المحلي لقطاعات الأجناب فإنها تتشكل عادة بشكل تدريجي وراء الأجنحة، وبذا تستطيع وقايتها عند الضرورة بهجمات مضادة بعزيمة صادقة على جناح القوة التي تحاول تطويقها.

أما الاحتياطي العام فهو للهجوم المضاد الفاصل، ويبقى لهذا الغرض تحت يد قائد القوة بأجمعها لاستخدامه في سحق هجوم العدو الرئيسي والتغلب عليه، ولا تسنح الفرصة لهذا المجهود بوجه عام إلا بعد أن يكون العدو قد ألقى باحتياطيه العام في معمعان القتال قاصدًا الهجوم الفاصل ثم صُد. والهجمة الجريئة المضادة التي تكون بعزيمة صادقة إذا وقعت في تلك اللحظة لا بد لها أن تفوز بنجاح حاسم.

على أن انتهاج الحركات التعرضية العظمى يجب ألا يقتصر على الاحتياطي العام وحده، بل يجب على قادة قطاعات الدفاع الذين يسمح لهم الموقف المحلي أن يشتركوا في الحال في الهجوم المضاد الفاصل، إلا إذا تلقوا أوامر صريحة بغير ذلك. وأي فوز قطعي يحرز يجب أن يعتبر إشارة للقوة بأجمعها لتضغط العدو بمنتهى الشدة، فهذه الفرصة تكون نادرة، ويجب أن لا يحصل أي إبطاء في انتهازها، ولذلك

يجب أن يسبقها كل الاستعدادات، حتى يمكن تنفيذ خطة يكون قد سبق وضعها.

«إن ابتكار هجوم مضاد في نطاق واسع دون توافر الوقت الكافي للاستعداد والتضامن في حركات الجنود هو بمثابة دعوة للفشل المصحوب بخسائر جسيمة، وما ينتج عنه من انحلال القوة المعنوية». (قوانين خدمة الميدان جزء ثاني سنة ١٩٢٠)

أما كون روح الدفاع هو الهجوم المضاد فقد ثبت في معركة سبوتسلفانيا (١٢ أكتوبر سنة ١٨٦٤) وذلك أن فيلق الجنرال هانكوك Hancock (من جيوش جرانت المشتركة) كان قد اقتحم جزءًا من متاريس "لي Lee" في برية ولاية فرجينيا واستولى عليه، إذ اقتحم ٣٠.٠٠٠ جندي الزاوية الخارجة (في الاستحكامات الزاوية البارزة هي عكس الزاوية الداخلة)، وأخذوا ٤٠٠٠ أسير، ثم تمادوا في الضغط مكتسحين كل شيء أمامهم حتى نفذوا في موقع جنود الجنوب.

على أن "لي" كان قد فطن إلى ضعف الزاوية الخارجة وأمر بإنشاء خط من المتاريس على بعد نحو نصف ميل إلى الوراء، وهذا الخط الثاني أوقف جنود الشمال فجأة، وحلت بينهم الفوضى بدرجة عظيمة، وفي هياج الجنود في هجومهم اختلطت الأورط بعضها ببعض، ولم يستطع الضباط إسماع أوامرهم للجنود ولا إعادة تشكيلهم لهجمة أخرى، وهنا ألقى "لي" بجنوده الاحتياطية، وقام بهجمة مضادة هائلة، إذ أمر كل أورطة تمكّن من جمعها بأن تهجم، فبلغت شدة الضربة درجة طردت أمامها إلى ٢٠.٠٠٠ جندي جميعها إلى ما وراء خط الاستحكام الأول، واستردت جنود الجنوب موقعها الأول». (هندرسن)

وعليه (القائد) أن ينتخب مواقع للمدفعية بالتشاور مع قائد السلاح، والأغراض التي يرمي إليها في ذلك هي:

الحكم على خطوط الاقتراب، أي التسلط عليها، حتى يصير في الإمكان رمي المهاجم بالقنابل وإرغامه على فتح جنوده مبكرًا حتى تتبين خطة هجومه، ثم تأخير الزحف، ثم الاشتراك مع المشاة في الدفاع عن الموقع الرئيسي عن كثب، ثم معاونة الهجمات المضادة المحلية، ثم إتلاف بطاريات العدو بمقابلتها ببطاريات مثلها، ثم الاشتراك في نهاية الأمر في الهجوم المضاد الفاصل، ثم إن ازدياد خفة حركات المدافع التي هي من أثقل العيارات بفضل استخدام المركبات الميكانيكية، وازدياد القوة الدفاعية في الأسلحة الواقعية الصغيرة ذات الطلق السريع، أصبحت تمكن من

وضع المدافع وراء خط نار المشاة مباشرة دون أدنى خطر من وقوعها في أيدي العدو.

وعليه (القائد) أن يقسم الموقع إلى قطاعات تحتل كل منها وحدة قائمة بذاتها تحت قيادة قائد خاص، أما النقط التكتيكية التي تتبادل معاونة بعضها البعض (الحقول، والقرى، والغابات، والتلال والهضاب، وما إليها) فتحتلها عادة جماعات لكل منها قائد خاص يليه قائد مرءوس، ومن المحتم أن يتولى قائد الجماعة السيطرة على الاحتياطي المحلي الخاص بها ويعاون به أية وحدة من الوحدات في وقت الحاجة. ومن العادة أن الوحدات التي تتكون منها هذه الجماعات هي أصناف تامة.

وعليه (القائد) أن يقرر موقع الاحتياطي العام، فيكون في أنسب مكان للتقدم منه إلى الهجوم المضاد الفاصل إذا أريد البدء به من مسافة بعيدة، ويكون قريبًا من النقطة التي يتوقع أن يوجه العدو إليها هجومه الفاصل إذا أريد دفع الاحتياطي العام إلى جناح أو مؤخرة هجوم العدو الرئيسي بينما يكون مشتبكًا في قتال شديد مع الجنود المرابطة في الموقع، وبما أن المفاجأة أمر جوهري لإحراز النصر يجب أن يكون موقع الاحتياطي العام محتجبًا عن الأنظار طالما أمكن ذلك، واختيار موقع الاحتياطي العام يتوقف على ما يكون محققًا من نوايا العدو. ففي معركة السوم الثانية (٢١ مارس سنة ١٩١٨) كانت نوايا القائد الألماني قد علمت بالتأكيد أثناء القتال في اليوم الأول.

قال السير د. هايج في رسائله:

«ولما اتضح في ذلك الحين (أي في مساء ٢١ مارس) أن كل قوة العدو الهاجمة قد تورطت في هذه المعركة المفردة، وضعت خططي موضع التنفيذ على الفور، وهي الخطط التي سبقت الإشارة إليها المقصود منها حشد جنود احتياطية من بعض أجزاء الجبهة البريطانية، فلما سحبت الجنود الاحتياطية المحلية ورقة الجبهة التي لم يكن موجهًا إليها الهجوم، صار في الإمكان تقوية المعركة بثمانية فرق قبل انتهاء الشهر».

ويتحتم عليه (القائد) أن يبت في أمر الموقع ويقرر إلى حد ما أعمال الفرسان، فقبل القيام بالعمل الدفاعي في حرب المناورات يكون الفرسان قد خرجوا إلى الاستطلاع.

وفي أثناء المراحل الأولى يكونون قد سعوا في تضليل المهاجمين واستدراجهم إلى

موقع كاذب. أما أثناء المعركة فإن مهمتهم هي إحباط مساعي جنود العدو الراكبة. وحماية الجناح الذي يكون معرضًا للأخطار. ثم المعاونة بوجه عام بقتال النيران وهم مترجلون عن الخيل. وبعد الهجوم المضاد المقرون بالنصر يبرزون لمطاردة العدو. أما في حالة الفشل فمهمتهم تأخير تقدم العدو المنتصر بأن يقاتلوه بالنيران. وأن يقوا بتكتيكاتهم وهم راكبون القوات المنسحبة من شرور فرسان العدو. وفي العادة فإنهم يحتلون موقعًا قريبًا من أحد الأجنحة.

والأمثلة على وقاية الفرسان لقوة مهزومة كثيرة. فبعد موقعة روليسا Rolica (١٧ أغسطس سنة ١٨٠٨) تقهقر الجنرال ديلابورد Delaborde بكتل من الجنود على التوالي والتعاقب بالتبادل مع بعضها البعض. وكان يحمي حركاته بهجمات عنيفة قصيرة كان يقوم بها الفرسان. وفي معركة تشانسلرزفيل (أول مايو سنة ١٨٦٣) وفي اليوم الأول من معركة جيتزبورج (أول يوليه سنة ١٨٦٣) قامت حفنة من فرسان الولايات المتحدة بوقف التعقب ودرأت بذلك كارثة. وفي كونيجراتس Kon ggrats (سادووا Sadowa) (٣ يوليه سنة ١٨٦٦) صد فرسان النمساويين بهجماتهم فرسان البروسيين وأرجعوهم إلى الوراء. ومكّنوا جنود بنيدك Benedek المهزومين من الرجوع في أمان. وفي ريزونفيل Rezonville (١٦ أغسطس سنة ١٨٧٠) صدر الأمر إلى لواء الفرسان الذي كان تحت قيادة فون بريدوف Von Bredow بأن يهجم على البطاريات الفرنسية وحرسها من المشاة لكسب برهة من الوقت تتنفس فيه مشاة البروسيين الذين اشتد الضغط عليهم. وكانت الهجمة مكللة بالفوز واكتسب الوقت. ولكن حصل إذ ذاك ما حصل في بلاك لافا Balaklava (٢٦ أكتوبر سنة ١٨٥٤) أي أن عدد الذين بقوا على قيد الحياة بعد «ركبة الموت التي ركبها فون بريدوف» كان قليلا.

وبعد معركة لوكاتو Le Cateau (٢٦ أغسطس سنة ١٩١٨) في أثناء التقهقر من مونز أوقف فرسان البريطانيين تحت قيادة الجنرال اللنبي Allenby العدو وصدوه. فمكّنوا الجنود البريطانية من التحرك دون أن يعاكسها معاكس. وفي أثناء الحركات التعرضية الألمانية العظمى في ربيع سنة ١٩١٨ تمكّنت الجنود التي كانت في كوني Cugny من الانسحاب (٢٤ مارس سنة ١٩١٨) بفضل الهجمة الباهرة التي قامت بها أورطة من لواء الفرسان السادس عشر وهي فوق خيولها حتى نفذت في خط الألمان وأخذت منهم ما ينوف على ١٠٠ أسير وأعملت السيف في عدد كبير من

الأعداء. «وفي أثناء التقهقر في تلك الساحة برهنت الوحدات التابعة للفرقتين الثانية والثالثة من الفرسان على كفاءتها في تأخير تقدم العدو، حتى إن بعض الوحدات الأخرى امتطت الخيل أثناء سير المعركة ليزيد بها عدد الفرسان»، وقد جاء عن ذلك في السير د. هايج ما يأتي:

«لولا معاونة الجنود الراكبة وإبراز المهارة والشجاعة في إدارتها لكاد يكون من المستحيل منع العدو من اختراق الجبهة التي كانت طويلة وجنودها قليلة، وأراضيها مشققة وذات غابات، والنفوذ منها قبل أن تأتي النجدة الفرنسية.... وكان من ميزات هذه المعركة انعدام فرسان العدو في ذلك الحين، فلو كان لدى القيادة الألمانية ولو فرقتان أو ثلاث فرق من الفرسان الجيدي التدريب لكان في إمكانها أن تنفذ من بين الجيشين الفرنسي والبريطاني، فوجود هذه الفرق كان لا بد له أن يزيد مشاق مهمتنا كثيرًا».

وعلى القائد أن ينتخب مكانًا للتجمع بعد المعركة وراء الموقع الرئيسي، ومنه يسترد الخط الأمامي كما استرد الجنرال "لي" «الزاوية الخارجة» في برية ولاية فرجينيا.

وعليه أن يتخذ التدابير لإعادة التنظيم إلى قواته المنصورة بقصد تعقب العدو وإكمال قهره.

الوقاية والاستطلاع

«الحقيقة الواقعة التي تنطوي عليها المفاجـأة، هـي ظهـور العـدو بغتـة بجنـود كثيرة العـدد دون أن يسـبق العلـم بأنـه قريـب بهـذه الدرجـة، وذلـك بسـبب عـدم المعلومات ودون أن يكون في الإمكـان تجمع الجنود لملاقاته بسبب عدم الوقاية».

(المارشال فوش)

كل قائد قوة كبيرة كانت أو صغيرة مسئول عن وقاية جنـوده مـن المفاجـأة، ولا تعتبر القـوة آمنة من المفاجأة إلا إذا توفرت الوقايـة في كـل اتجـاه يمكـن أن يـأتي منـه تدخل، وبناء على ذلك يوجد كل قائد أقسامًا منفصلة مهمتها إنذاره إذا اكتشفت قوات من العدو بالقرب من قواته، ثم كسب الوقت لقائـد الجنـود المكلفـين بوقايتـها لينفذ فيه خططه دون أن يعاكسـها العـدو، مهمـا كانـت مخـاطرة هـذه الأقسـام ومهما بلغت تضحيتها في سبيل هذا الغرض، قال المارشال فوش:

«مهمة الوقاية ليس معناها ضرورة اتخاذ وضع دفاعي، بـل كـثيرًا مـا يكـون مـن المستحسن إجراؤها بحركات تعرضية».

فالاتصـال بين الاسـتطلاع والوقاية هو أوثق ما يكون، ولا يتسـنى للقائـد أن يقـرر أفضـل طريقـة لوقاية جنوده إلا بالتعرف علـى مكـان العدو ومقدار قوته وتحركاتـه، ثم إن القـوات التـي يستخدمها لوقاية جنوده من المفاجأة يكون لها أثر عظـيم في منـع العدو من التعرف علـى مقدار قوته وعلى أوضاعه، فالمعلومات التفصيلية التـي تـرد في أوانها عـن العـدو وعـن مسـرح العمليـات عامـل ضـروري في الحـرب، ثم إن قيمـة المعلومات تتوقف علـى أن تصل إلى السلطات ذات الشأن في الوقت الـذي يمكـن مـن الانتفاع بها.

ولقـد زادت سـهولات الاسـتطلاع زيادة مهولة باختراع الطائرات التـي تحمـل الجنـد وتتحرك مـن تلقـاء نفسـها Self-Propelled؛ لأن قبـل ظهورهـا كـان الاسـتطلاع محدودًا بسرعة جواد الفارس، ودرجـة تحملـه، وبمهـارة كشـافة الفرسـان في اختـراق الستار المانع المكون من فرسان العدو والنفوذ منه، ثم الإفلات من الشـباك المنتشـرة

للقبض عليهم حين رجوعهم، وكانت دائرة عملياته صغيرة نسبيًّا، أما دائرة عمليات الراصد الذي يرصد من الجو فلا حد لها في الواقع، بما أن آلته تحمله فوق ساحة العدو، وإذا لم تضطره طيارات العدو إلى النزول، أو يصيب طيارته عطل من نيران الدفاع المطلوقة من الأرض، فإنه يرجع إلى قاعدته في زمن قصير نسبيًّا ومعه ذخيرته من الأخبار، وقد يأتي معه بسلسلة من الصور الشمسية (الفوتوغرافية).

حرب المواقع (الموضعية):

حينما تكون القوتان المتحاربتان مستحكمتين ولا تبعد متاريس إحداهما عن متاريس الأخرى كثيرًا، فإن الصور المأخوذة من الجو تؤدي إلى اكتشاف الاستحكامات الجديدة ويستطاع منها التنبؤ بنوايا العدو.

ففي الميدان الغربي في الحرب العظمى أبانت الصور الفوتوغرافية المأخوذة من الجو أن الألمان شيدوا في ساحة تعليمهم قطاعات حقيقية على صورة الخنادق البريطانية، فاستدل بذلك على أنهم يتمرنون على مهاجمة جزء معين من الخط.

فطيارات العدو تمنع من القيام بمثل هذه الاكتشافات، ويتغلب على مقاومة أسراب الطيارات المدافعة، ويلحق بالعدو إصابات بالرصاص والقنابل كلما ظهر هدف ملائم. ويجب على الراصدين أن يبلغوا عن كل ما يشتبه فيه من التحركات والتغييرات التي تحصل، والتي تطرأ على الخنادق، ثم ترسم خرائط لخنادق العدو من الصور الفوتوغرافية التي تؤخذ يوميًّا وتصحح من وقت لآخر.

ثم تخرج أطواف المشاة وأقسام الإغارة ليلًا ونهارًا، وتجمع المعلومات من ألبسة الأسرى وما عليها من الشارات والعلامات، فيستدل منها على توزيعات جنود العدو، بينما تدون يوميًّا كل التغييرات التي تطرأ على تخطيط الخنادق، أو في أماكن عراقيل الأسلاك، أو في أوضاع المدافع والهاونات.

وعلاوة على ذلك فإن الجنود الذين يوجدون في نقط الرصد أي المراقبة في خط المقدمة أو أمامه، أو في أماكن ملائمة لا يشتبه فيها العدو، يبقون دائمًا مترصدين للعدو، كما تبقى (الديده بانات) الموضوعة في كل النقط - التي تحوي جنودًا - على استعداد في كل وقت ليلًا ونهارًا تنذر الحاميات المحلية بالخطر، أما المقاومة فتقوم بها سلسلة من النقط القوية يعاون بعضها بعضًا، تحتلها قوة من الجنود تكفي لحراستها من المفاجأة، والمحافظة على أماكنها ضد الهجوم، أما الخنادق ذات الحفائر

والملاجئ فتتوافر فيها الوقاية من النيران، وأما عراقيل الأسلاك الشائكة فإنها تمنع العدو من الهجمات التي لا يعتريها توقف في اندفاعها، أي التي تصل إلى غرضها دون أن تنكسر حدتها، وهي تستدرج العدو إلى الفتحات التي تكتسحها نيران البنادق والمدافع الرشاشة، ثم إن أجهزة التنفس (الكمامات) وغيرها من الوسائل من شأنها أن تبطل مفعول الغازات، والصور والأشكال الخادعة تخفي موقع الخنادق، والجنود، والمدافع، ومستودعات الذخيرة، فتسترها كلها من الرصد والمراقبة، ومن تسليط المدافع عليها مباشرة، بينما هي تصلح لأن تكون من الوسائل التي ترصد حركات العدو دون أن يشتبه فيها.

حرب المناورات:

في حرب المناورات تختلف التدابير المتخذة لضمان السلامة من المفاجأة باختلاف مواقف الجنود، فطيارات العدو التي تطير على ارتفاع كثير من الأرض تعالج بهجمات مضادة تقوم بها الطيارات المسلحة، ولكن بما أن قتال الجو يتطلب مسافة للمناورات فإن طيارات العدو التي لا يتجاوز نطاق طيرانها ٣٠٠٠ قدم من الأرض يجب معالجتها بنيران المدافع الرشاشة، أو مدافع لويس، أو نيران البنادق المتجمعة، إلا في الحالات التي يكون فيها من الجوهري عدم تنبيه العدو إلى أن الموقع أو المكان الفلاني محتل بالجنود، أو حينما تكون الجنود مختبئة جيدًا فلا يعلم بها العدو إلا إذا فتحت النيران، والطيارات التي تطير على مسافة قريبة من الأرض تتعرف على الحركات بسهولة.

وعندما يكون الجو معتدلًا يمكن الراصد أن يميز على مسافة ٥٠٠ قدم جنود العدو من الجنود المتحابة، بينما يمكن رؤية تحركات أقسام الجنود المشكلة فوق الطريق على مسافة ٥٠٠٠ قدم، أما الجنود المستقرة في مواضعها في الأماكن الظليلة فقد يخطئها الرصد وتفوت الراصد بسهولة.

وإذا انطرحت الأقسام الصغيرة من الجنود المشكلة تشكيلًا غير منتظم على الأرض ووجوهها إلى أسفل، صار من الصعب تمييزها حتى في الأراضي المكشوفة.

وعندما تكون قوة متحركة تتحرك معها أقسام منفصلة لتكفل وقايتها في كل اتجاه يكون من الممكن أن يأتي منه التصادم، وحينما تستريح القوة تكفل سلامتها من المعاكسة أقسام من هذا القبيل، فتصد الهجوم إلى أن يصير في

الاستطاعة مقابلته أو حتى يتطور دون أن يكون فيه ميزة للعدو.

وهذه الأطوار سيبحث فيها تحت عنوان «الحرس الأمامي» و«الهجمات الجانبية وحرس الأجناب» و«الحرس الخلفي» و«النقط الخارجية».

المقدمة

قال سينيكا Seneca في مؤلفه «دوايرا» De Ira:

«كان فابيوس Fabius مخلّص روما يقول: إن أقبح ما يعتذر به القائد دفاعًا عن نفسه قوله: «لم أتوقع ذلك». وفي الحق إن هذا من أعظم الأسباب التي تشين الجندي الذي يعتذر به. «تصور كل شيء وتوقع كل شيء».

كل قوة متحركة من الجنود تتحتم وقايتها بأقسام منفصلة. والقوة التي تتعين لتكون في مقدمة الزحف تعرف باسم "المقدمة". وحينما تقف قوة من الجنود محمية بهذه الكيفية فإن مسئولية وقايتها مدة الوقوف تبقى واقعة على عاتق الجنود الذين كانوا يقُونَها أثناء السير إلى أن يستبدلوا بغيرهم. ولقائد المقدمة الحرية في أن يقف في الحال أو أن يتقدم إلى الأمام ليحتل موقعًا يكون أكثر مزية من الوجهة التكتيكية.

قوتها:

تتوقف قوة المقدمة على بعدها أو قربها من العدو. على أنه يجب أن تتوافر فيها دائمًا القوة الكافية لأن تزيح عن طريقها ما تلقاه من المقاومة الطفيفة حتى لا يتأخر زحف القوة التي تسترها بسبب قوات العدو الصغيرة. ولتقاوم العدو إذا التقت به وهو بقوة كبيرة طول الوقت الذي تتمكن فيه القوة التي تسترها أن تستعد للقاء الهجوم أو للقيام بهجوم.

وليس في الاستطاعة وضع قاعدة عامة فيما يختص بقوة المقدمة العددية؛ لأن عدد الجنود المطلوبة يكاد يتوقف كلية على الموقف التكتيكي، وطبيعة البلاد التي تمر بها القوة المحمية. ومع ذلك فيجب أن تكون المقدمة مكونة من وحدة تامة. أو تشكيل كامل تحت قيادة قائده إذا كان ذلك في الإمكان. وقد وُجد بالتجارب أن المقدمة قلّ أن تكون أقل من ثمن ١/٨ القوة بأجمعها. أو أكثر من ربعها ١/٤. وحينما تزحف قوة كبيرة في عدة قولات تسير على طرق متوازية يسبقها «مقدمة استراتيجية» تحمي مواجهة وأجناب كل القولات. وحينذاك قد تنقص قوة «المقدمة

التكتيكية» التي يعينها كل قول.

المسافة:

تتوقف المسافة التي تسبق بها، أثناء تحركها، القوة التي تحميها على طبيعة الأرض التي تتحرك فيها القوة، وعلى مقدار القوة الأصلية، وعلى الموقف التكتيكي، على أنها يجب أن تكون كافية دائمًا لتمكين القوة الأصلية من الفتح، والتشكل بتشكيل المعركة – دون أن تضايقها مدفعية العدو إذا طلب منها ذلك، فمن الواضح والحالة هذه أنه كلما كبرت القوة الرئيسية ازدادت المسافة بحكم الضرورة؛ لأن الفتح يتطلب وقتًا أكثر، أما المقدمة للواء من المشاة ومعه مدفعيته فإنها تتحرك على مسافة تتراوح بين ميل واحد وميلين بين الحرس الأساسي والقوة الأصلية، والأطواف الراكبة من الحرس الأمامي تكون على مسافة تتراوح بين أربعة وخمسة أميال أمام القوة الأصلية، وهذه الأطواف الراكبة هي التي تكتشف العدو، وتجس قوته، وتتأكد من أوضاعه بمعاونة الحرس الأمامي، ثم إن الحرس الأساسي إما أن يساعد في إزاحته وإما أن يقاوم أية محاولة لمهاجمة القوة الأصلية باتخاذه أحسن موقع يستطاع الحصول عليه، بينما تتشكل القوة الأصلية لدخول المعركة.

أثناء التقدم:

يتحتم على المشاة الذين هم جزء من المقدمة لقوة متقدمة أن يعملوا دائمًا بإقدام وعزيمة، على أن عملهم يجب أن يكون مقيدًا دائمًا بدافع تلبية نوايا قائد القوة التي يسترونها، وبناء على ذلك فإن أي عمل يفكر فيه قائد المقدمة يجب أن يراعي فيه ما يحدثه من التأثير على خطط قائد القوة الأصلية، أما إذا لم تكن الخطط معلومة فإن المبدأ الواجب مراعاته هو أن يتقيد في أعماله بما يكون في صالح القوة التي يسترها ولا شيء غير ذلك، ولما يطرد جنود مقدمة العدو يحصل على المعلومات التي تساعد رئيسه على أن يكون له قرار بات، دون أن يتداخل في حريته في العمل، (أي حرية قائد المقدمة)، في حين أن التردد والتأخير قد يعطيان القوة الإنشائية للعدو.

ولهذا السبب يندر أن يكون في الإمكان قيام المقدمة بحركة التفاف واسعة؛ لأنها تضيع الوقت فضلًا عن أنها تترك جبهة القوة الأصلية مكشوفة.

قال الجنرال ها كنج – R.C.B. Haking :

«يجب أن يكون العامل الرئيسي هو اكتشاف مكان تكتيكي يحتله العدو، إذ صار الاستيلاء عليه برغم خطره كله على الرجوع إلى الوراء، فإذا أمكن اكتشاف هذه النقطة يجب أن توجه إليها وحدها كل مساعي المقدمة، أما في غيرها من الأماكن فتنتهج خطة الدفاع للحيلولة دون مفاجأة القوة الأصلية أو التدخل في أعمالها ومعاكستها».

ويجب دائمًا افتراض أن العدو قد اتخذ كل التدابير اللازمة لحماية نفسه ولإعاقة الاستطلاع الذي يقوم به خصمه، وبناء على ذلك إذا علم أن جنود العدو موجودة في مكان معين فمن المحتم توقع المقاومة قبل الوصول إلى ذلك المكان، ومن الواجب أن تؤدي دراسة الخريطة إلى تمكين قائد المقدمة من تحديد الجهة – على وجه التقريب – التي يتوقع حصول المقاومة فيها.

أثناء التقهقر:

بما أنه من الواضح الجلي أن القوة التي تكون متقدمة نحو العدو ينبغي لها أن تكون مسبوقة بمقدمة، فواجب أن لا يغيب عن البال أن القوة المنسحبة من أمام العدو ينبغي لها أيضًا أن تكون محمية بهذه الكيفية، حتى إذا كانت تتحرك في نحو أراضي بلاد موالية، وهذه القوة الحارسة لا يقتصر عملها على الحيلولة دون مفاجأة القوة الأصلية من عدو نشيط يتعقبها بسرعة ويدور حولها لمهاجمتها من مكان غير منتظر، بل تحول أيضًا دون تأخير القوة الأصلية بسبب ما يعترضها من العوائق، وفي استطاعتها تأخير التعقب بإعداد الجسور (الكباري) وما إليها للتدمير، الذي يتمه الحرس الخلفي بعد مرور القوة الأصلية عليها، وهي تستطيع أيضًا استطلاع الطريق الذي ستسلكه القوة الأصلية حتى تستمر في سيرها دون عطل أو تأخير.

التدريب:

عندما يوضع برنامج لتدريب الجنود على أعمال المقدمة يجب إفهام جميع الضباط والجنود من كل الرتب الأخرى طبيعة أين نوع البرنامج، كما يجب إحاطتهم علمًا بما يأتي:

أ- إذا كانت القوة متقدمة أو متقهقرة، وعما إذا كانت تتحرك قبل قتالها

مع العدو أو بعده، وإذا كانت في أراضٍ بلاد موالية أو بلاد معادية.

ب- ما هو معلوم عن العدو.

ج- اتجاه السير والغرض الذي يقصده.

د- النوايا العامة التي ينويها قائد القوة الأصلية.

ه- التعليمات العمومية الصادرة لقائد المقدمة.

وقد جاء في المنشور الصادر من مركز الرئاسة العام ما يأتي:

«إن لم تنفذ هذه التمرينات بصورة عملية فإن الضباط الحديثي العهد بالخدمة والصف ضباط القليلي التجربة يدخل في روعهم أن المقدمة إن هي إلا موكب مؤلف من أقسام صغيرة من المشاة منتشرة على مسافات معلومة على طريق واحد، ومن أهم الأمور التي يجري التمرين على النسق الذي يتبع في القتال».

المبادئ التكتيكية:

جاء في كتاب تعليم المشاة سنة ١٩٢١ ما يأتي:

«سرعة التقدم هي أولى الاعتبارات الواجب مراعاتها حينما تكون الجنود غير متصلة بالعدو، ومن ثم فإن المقدمة تتحرك بجبهة ضيقة على الطرق وغيرها من مسالك المواصلات، بمسافات بين الحرس الأمامي والإمداد تحول دون احتمال حصول المفاجأة، وحينما تكون الجنود متصلة بالعدو أو قريبة منه يصبح كل من السلامة وسرعة التقدم في درجة واحدة من الاعتبار، ومن ثم يجب على المقدمة أن تتحرك بوثبات على جبهة متسعة للقتال، مجتازة الفضاء على غير الطرق».

وقبل أن يتحرك قائد المقدمة امتثالًا لتعليماته يتخذ تدابير معينة تنطبق على هذه المبادئ التكتيكية.

فيقسم جنوده إلى قسمين يسميان الحرس الأمامي والحرس الأساسي، وبما أن واجبات الحرس الأمامي هي الاستطلاع بوجه عام ثم حماية الحرس الأساسي بوجه خاص، فهي تشتمل على عدد كبير نسبي من الجنود الخفيفة الحركة، ومعها مشاة للقيام بالاقتحام والمقاومة، ومهندسون لتمهيد الطرق من خلال الموانع أو من فوقها.

ثم إن الطيارات التي تسبق الحرس الأمامي ليس من شأنها فقط أن تزيد المساحة

الواقع فيها البحث وتعجل اكتشاف العدو، بل إنها أيضًا تحول دون المفاجأة وتساعد المقدمة بأجمعها بالتعاون معها تعاونًا وثيقًا في تحسس العدو ومقاتلته حين الالتقاء به.

قال المارشال فوش:

«يجب على المرء لكي يستطلع العدو أن يرغمه على إظهار نفسه بنفسه أينما كان، ولهذه الغاية يجب مهاجمته حتى تظهر حدود موقعه بوضوح تام، على أن هذه المهاجمة لا تكون بقصد نشوب القتال، فتتقدم خطوط المناوشة ولكن يتحتم عليها أن تبقى قادرة على قطع القتال والتخلص منه في لحظة معينة، فيحصل الضغط عن بُعد دون أن يسمح للجنود الضاغطة بالاشتباك في القتال».

أما وظيفة الحرس الأساسي فهي المقاومة، أي القتال، ولذلك فهو يتألف من المشاة بصفة رئيسية، ومعها المدفعية ومدافع الماكينة، وتتحرك جنوده بالترتيب الذي يدخلون به في القتال.

ويسبق الحرس الأمامي الكشافة، ويلتفت بصفة خاصة إلى الطرق والدروب الموازية للزحف، وهذا الستار يعقبه بقية الحرس الأمامي في تشكيل متجمع إلى أن تصير على اتصال بالعدو أو قريبة منه، مع الوقاية دائمًا من المفاجأة المحلية، ويتبعها الحرس الأساسي بحيث يكون على اتصال بالحرس الأمامي، وبالوقاية المحلية، ولكل من هذين القسمين قائد خاص، ويتحرك قائد المقدمة بأجمعها في أغلب الأحيان مع إمداد الحرس الأمامي.

والقائد يحدد أيضًا المسافات النسبية التي تكون بين الحرس الأمامي والحرس الأساسي، وهذه المسافات تتقيد بقوة المقدمة، وتبقى مؤسسة على ضرورة معاونة أحد القسمين للآخر، ثم إن المسافة الكائنة بين المقدمة والقوة الأصلية قد تذكر في أوامر العمليات، ولكن إذا تركت لاختيار قائد المقدمة فإنه يسترشد بمصالح القوة التي يسترها لا غير، وهو يراعي في قراره طبيعة الأرض (إن كانت أرضًا مكشوفة، أو تتخللها الغابات، أو السياجات، أو الطرق الغائصة، وما أشبه ذلك مما يجعل الرصد حتى بالطيارات أمرًا من الصعوبة العظمى بمكان)، والموقف التكتيكي، فتختار المسافة التي تلائم هذه الأحوال مع مراعاة إنجاز المقاصد المطلوبة، وهي: الحصول على المعلومات الخاصة بالعدو، والحيلولة دون استطلاع

العدو، ومنع المفاجأة والتأخير ثم تمكين القوة الأصلية من الفتح إلى تشكيل المعركة دون معاكسة من نيران العدو.

ومن واجبات القائد أيضًا أن يضمن المواصلات بين أجزاء المقدمة المختلفة، وبين المقدمة والقوة الأصلية، بأن يدبر أمر المراسلات الراكبين، وراكبي الدراجات، ورجال الإشارة، وقطارات الاتصال، علاوة على أطواف الاتصال التي يعينها سلاح الطيران، والمواصلات التلغرافية والتلفونية التي يمكن رجال الإشارة إيجادها في الميدان، وذلك من الأهمية في المقام الأول، بما أن أعمال كل من قائدي المقدمة والقوة الأصلية ستتوقف على المعلومات التي تصل، ولا يتحتم الحصول على المعلومات بكل الوسائل الموجودة فقط، بل يتحتم أيضًا إبلاغها إلى كل من تخصهم بدون أي تأخير وهي حديثة، قبل أن يمضي عليها الوقت وتصير عديمة الفائدة، ويجب أن لا يغيب عن البال أيضًا أن المعلومات السلبية (مثل أن القرية الفلانية فتشت تفتيشًا دقيقًا فلم ير للعدو أثر فيها)، هي في حد ذاتها لا تقل أهمية عن المعلومات الإيجابية، ثم إن تكرير المعلومات التي سبق إرسالها أو تأكيدها هي أيضًا من الأهمية بمكان، إذ من الواضح أن معرفة القائد على وجه التأكيد أن العدو ما زال غائبًا أو أنه ما زال موجودًا في وقت معين في مكان معين لها قيمتها.

ففي الحرب الأهلية الأمريكية أثناء معركة تصادمية بين جنود المقدمة أوقف قائد فرسان جيش الولايات المتحدة جنود جيش الجنوب الأمامية ونشب بين الفريقين قتال شديد في سلفر سبرنجس Sulphur Springs (١٢ أكتوبر سنة ١٨٦٣)، واستغرق قائد فرسان الولايات المتحدة في المعركة وانشغل بها لدرجة ألهته عن إرسال معلومات عنها إلى مركز القيادة، فلم يعلم الجنرال ميد بأنه يتصل بجيش فرجينيا الشمالية إلا في وقت متأخر بعد ظهر ذلك اليوم.

وفي حملة فردركسبورج كان الجنرال ر.ا. لي ومعه جيش فرجينيا الشمالية يجابه الجنرال بيرنسايد ومعه جيش البوتوماك، وفي معركة ١٥ نوفمبر سنة ١٨٦٢ اكتشف طوف من فرسان الجنوب جنود الجنرال بيرنسايد وهي تتحرك نحو الشرق، وأبلغ طوف آخر في نفس ذلك اليوم أن القوارب المسلحة والسفن النقالة قد دخلت نُهَيْر أكجونيا Aeguia على نهر البوتوماك، فهذان الخبران الآتيان من نقطتين تبعد إحداهما عن الأخرى بمسافة ٤٠٠ ميل قد مكّنا "لي" من إدراك نية خصمه.

ثم إن المعلومات التي تحصلت عليها الطيارات في ٤ و٥ سبتمبر سنة ١٩١٤ وأبلغت في الحال إلى الجنرال جوفر أدت إلى اكتشاف سير الجيش الأول الألماني سيرًا جانبيًّا أمام الجبهة الفرنسية – البريطانية، وإلى الهجوم المضاد الحاسم الذي وقع في معركة المارن الأولى (٦ سبتمبر سنة ١٩١٤).

فيتحتم على قائد المقدمة أن يكون على حذر من الكيفية التي تؤدي إلى اشتباكه في القتال بصفة جدية، وأن يتجنب أي عمل لا ينطبق تمامًا على ما هو معلوم من نوايا قائد القوة الأصلية.

فالميل إلى الأعمال المستقلة التي من هذا القبيل، التي تقف في طريق نجاح أحسن الخطط الموضوعة، كان واضحًا كل الوضوح في المعارك الأولى التي نشبت في الحرب الفرنسية – البروسية سنة ١٨٧٠ – ١٨٧١.

فكانت المخافر الأمامية تعجل بدخول المعارك التي كانت تستمر ناشبة بتوارد المدد إليها تدريجيًا، ويبقى طالع القتال فيها متراوحًا بين الفريقين، ثم تنتهي بنتائج عقيمة وخسائر أفدح مما أصاب العدو.

ففي معركة سبشرين Spicheren (٦ أغسطس سنة ١٨٧٠) بدأ المعركة الحرس الأمامي للفرقة الرابعة عشرة، واضطرت إحدى عشرة أورطة إلى مداومتها لمدة ثلاث ساعات أمام تسعة وثلاثين أورطة، وفي الثلاث ساعات التالية وصلت ثمانية أورط أخرى، وفي ختام المعركة كان من اشترك في القتال لا يزيد عن سبعة وعشرين أورطة وعشر بطاريات مقابل فيلق فرنسي بأكمله، وكان هناك فيلقان فرنسيان على مقربة من الفيلق الذي اشتبك في القتال، فلو أنهما «سارا إلى صوت المدفع» كما كان يفعل نابليون لو كان حاضرًا، لما أمكن الفرقة الرابعة عشرة البروسية أن تخلص نفسها دون أن تحل بها كارثة جائحة.

وفي معركة وورث Worth (٦ أغسطس سنة ١٨٧٠) كان ولي عهد بروسيا قد أفصح عن نيته بألا يقاتل الفرنسيين في ذلك اليوم، ومع ذلك فإن المقدمة للفيلق الخامس تسببت في معركة انساق إليها الفيلق البافاري بحكم الضرورة، وقد أرسل ولي العهد يطلب إلى الجنود قطع القتال وإبطاله، إلا أن جنود المقدمة كانت قد تورطت في المعركة إلى درجة استدعت إرسال المدد إليهم، ومع أن المعركة صادفت نجاحًا من الوجهة التكتيكية، إلا أنها شذّت عن الخطط التي وضعها القائد العام،

وعلى هذا المنوال تسببت المقدمة للفيلق السابع البروسي في استعجال معركة كولومبي Colomby (١٤ أغسطس سنة ١٨٧٠) مخالفًا بذلك الأوامر التي صدرت من قائد الجيش الأول بأجمعه في المعركة التي لم يكن قائده غير موافق عليها فقط، بل إنه قد نهى عنها بأمر صريح، وهذه المعركة لم تأت بنتائج تكتيكية ولا استراتيجية، وقد كبّدت الفريقين خسائر جسيمة.

«فالقتال الذي يستعجل بهذه الكيفية يمنع الجنود من دخول المعركة بالطريقة التي تتوافر فيها أعظم المزايا؛ لأن القوة الصغيرة إذا اشتبكت في القتال مع قوة أكبر منها يصير من الضروري أن الإمداد حين وصوله يتقدم لمعاونة نقطة يكون الضغط قد اشتد عليها، وبهذه الكيفية تستنفد قوته ويتشتت، بدلًا من استخدامه جملةً واحدة بحيث يمكن إنزال ضربة مؤثرة، وفي ذلك تنازل عن إرادة القتال ليتولاها العدو كما حصل في سيشرين وكولومبي، فقد كانت المواقع الفرنسية قوية لدرجة أن الإمدادات الألمانية كانت تتضاءل تدريجيًا حين وصولها، وتستنفد في معاونة الجنود المشتبكة في القتال.

وكثيرًا ما كان هؤلاء الأخيرون في حالة حرجة أثناء القتال.

ففي كولومبي تطورت المعركة إلى نضال عنيف على طول جبهة الموقع الفرنسي، حيث كان تأثير البروسيين ضعيفًا، بينما تجاوزت خسائرهم خسائر الفرنسيين كثيرا» (كليري) Clery.

فيُرى مما تقدم أن قائد المقدمة ينبغي له أن يحدد عمله التعرضي طبقًا لتعليماته وللمطالب التكتيكية والاستراتيجية اللازمة للقوة التي يسترها، على أن عمله في وقاية القوة الأصلية لا تقيده اعتبارات الحذر وخشية العواقب، بل يجب عليه أن يبقى دائمًا نشيطًا وثابت العزم لا يبالي بأية مجازفة تكفل سلامة القوة الأصلية.

ففي صباح يوم معركة ناشود (٢٧ يوليو سنة ١٨٦٦) كانت المقدمة للفيلق الخامس الذي كان يقوده الجنرال شتاينمتس (من جيش ولي عهد بروسيا) معسكرًا في مضاربه فوق هضبة بعد خروجه من مضيق طويل لا بد للقوة الأصلية أن تسلكه لتصل إلى الأراضي المكشوفة التي وراءه، وحوالي الساعة الثامنة صباحًا أوقفت الجنود الأمامية من الفيلق النمساوي السادس فرسان حرس أمامي المقدمة

البروسية وصدتهم، وكان من المحتم على المقدمة البروسية أن تحافظ على الهضبة إلى أن تخرج القوة الأصلية من المضيق، فبفضل النيران السريعة الدقيقة التسديد التي أطلقتها المشاة ومدفعية الفرسان، وتعاون الفرسان معها ضد أورط الفرسان النمساوية، تمكن ذلك الخط الرقيق من الثبات أكثر من ثلاث ساعات، وصد سبعة أورط من المشاة ومعها ثلاث عشرة أورطة من الفرسان وثلاث بطاريات من المدفعية الخفيفة، وإحدى وعشرين أورطة من المشاة، وإحدى عشرة أورطة من الفرسان، وأربع بطاريات مدفعية، وأوقفتها في أماكنها، فلو أن المقدمة استسلمت للضغط وارتدت للوراء ورجعت إلى القوة الأصلية وهي من المضيق لكان من الصعب التفادي من الكارثة، ولكن نظرًا لثبات المقدمة وصلابتها تمكّنت القوة الأصلية من طرد الفيلق النمسوي من الميدان.

مسائل عن المقدمة:

يجب على قائد المقدمة أن يكون قادرًا على تقدير الموقف الذي يواجه قوته حق التقدير دون إبطاء، وعلى حل المسألة التي أمامه ناظرًا إلى مصالح القوة التي يسترها لا غير.

أ- إذا صد العدو الحرس الأمامي وكان من المؤكد أن قوة العدو أقل من قوة المقدمة فعلى قائدها أن ينقل هذه المعلومات إلى القوة الأصلية، ثم يهجم بشدة ليشتت العدو حتى لا تتعطل حركات القوة الأصلية، فينظم هجومًا بالنيران على جبهة العدو تعاونه نيران المدفعية القصيرة المرمى، ثم يقوم بحركة التفاف بمدافع لويس والبنادق حول جناح العدو أو كلا جناحيه.

وإذا كان العدو مرابطًا في موقع مستور ففي الإمكان طرده بقنابل البنادق أو الهاونات الخفيفة من أحد الأجنحة، بينما تحول المدفعية ومدافع الماكينة دون تسديده النيران إلى القوة الهاجمة.

ب- إذا فتحت النيران على الحرس الأمامي ولم يكن في الاستطاعة الحصول على معلومات قطعية عن قوة العدو وأوضاعه، فترسل المعلومات التي أمكن الحصول عليها ثم تتخذ إجراءات جريئة لكي تتعزز المعلومات بأسرع ما يمكن.

ويعزز القائد الحرس الأمامي بالمشاة من الحرس الأساسي ليتمكن من إرغام العدو على إظهار موقعه ومقدار قوته، على أنه يجب عليه الحذر من التورط في

القتال للدرجة التي تجبر القوة الأصلية على التقدم إليه وتخليصه، إلا إذا صدر له أمر بذلك.

ج- إذا حصل الالتقاء بالعدو وكان قائد المقدمة يعلم أن في نية رئيسه القيام بالهجوم، يرسل هذا الخبر ومعه بيان موجز عن الإجراءات التي اتخذت لاحتلال كل النقط التكتيكية التي تنفع القوة الأصلية وتأمين تلك النقط.

ثم إن المقدمة تعمل إذ ذاك على جبهة أوسع مما تلزم لقوته في الحالات الأخرى، وتوضع المدفعية بفكرة أن موضعها سيجعل الموقع الرئيسي للمدفعية.

د- وفي مثل هذه الأحوال إذا كانت النية عدم الاشتباك في معركة فاصلة وكانت هذه النية معلومة لدى قائد المقدمة، فإنه يقصر نشاطه على استطلاع موقع العدو وعدد جنوده، وبينما يعوق العدو ويمنعه من الحصول على معلومات تفصيلية عن القوة الأصلية، يجب عليه أن يكون على حذر من التورط في قتال عام.

هـ- قد تحدث حالة تتطلب عملًا شديدًا، سواء كان في نية قائد القوة الأصلية أن يهجم على الفور أو أن يؤجل القتال، ومثل هذا الموقف ينشأ إذا اكتشفت المقدمة أن العدو يقترب نحو تل أو موقع آخر له ميزة تكتيكية، فإذا كان في إمكان قائد المقدمة إذا أسرع في تقدمه أن يسبق العدو إلى احتلال ذلك الموقع، ثم قصّر في ذلك أو تردد فيه انتظارًا لأوامر صريحة تأمره به، فإنه يكون قد ارتكب إهمالًا جسيمًا لواجباته.

و- في الحرب الأهلية الأمريكية حصلت غلطة من نوع آخر كان منشؤها تهور قائد الفرسان المستقلة التابعة لجيش فرجينيا الشمالية، حرمت قائد الجنوب من الحصول على ميزة استراتيجية عظمى على جيش البوتوماك، كانت في متناول يده.

وذلك أن جيش البوتوماك كان الجنرال ماكليلان قد سحبه على أثر معركة السبعة أيام التي دارت حول مدينة رتشموند، ليتخذ موقعًا في تل مالفرن، وفي ذلك الموقع صدت هجمات جيش فرجينيا الشمالية بخسائر جسيمة، ثم استمر ماكليلان في الانسحاب حتى وصل إلى «مرسى هاريسون» على نهر الجيمس، وكانت الفرسان المستقلة التابعة لجيش الجنوب قد أرسلت قبل ذلك لاقتفاء أثر كاذب، ولكنها عادت فاتصلت بقوات الشمال في الساعة التاسعة من صباح يوم ٣ يوليو؛ إذ شاهدتها من مرتفعات إيفلنجتون (٣ يوليو سنة ١٨٦٢)، وهذه المرتفعات عبارة عن تل حاكم

على قيد ميلين من مضارب جيش البوتوماك الذي كان في استراحته وهو في اطمئنان ظاهري وتنقصه الحيطة الكافية للسلامة من المباغتة.

فوصل الجنرال ج.ا.ب ستيوارت قائد فرسان الجنوب إلى مرتفعات إيفلنجتون ومعه ١٢٠٠ سيف وقربينة واوبوص (هاوتزر) واحد خفيف، أما جيش البوتوماك بأجمعه وعدته ٩٠.٠٠٠ من كل الأسلحة فكان معسكرًا في مضاربه التي كانت مشاهَدة تمامًا من المرتفعات، وكان من الواضح أن حضور الجنرال ستيوارت لم يشعر به أحد، وكان أقرب قول من القوة التي كان يسترها موجودًا على بعد ستة أميال، ولم يزل باقيًا من ضوء النهار نحو عشر ساعات، فمن السهل بعد انقضاء هذه الحادثة أن يرى الإنسان أنها كانت حالة ينطبق عليها المثل القائل «إن السكوت من ذهب»، فكان الواجب يقضي على استيوارت أن يبعث بهذه المعلومات إلى الجنرال "لي"، وإلى قائد كل قول، ويلحّ عليهم في الإسراع بما في طاقتهم، بينما يحتل هو المرتفعات بجنوده المترجلين عن الخيل عاقدًا نيته على المحافظة على موقعه بقتال النيران، إذا شعر به العدو، حتى يصل إليه قول واحد أو أكثر من جيش فرجينيا الشمالية.

ولكنه عجز عن إدراك الموقف وتناسى القضية الكبرى، وانتهز فرصة إيقاع الذعر في صفوف جيش البوتوماك وفتح النيران بهاوتزره المفرد، وهنا استفاق جنود الشمال من الذعر الذي ألمّ بهم بسبب هذه المهاجمة المفاجئة، وبعد أن اتضح لهم أن مدفعًا واحدًا فقط هو الذي يناضلهم هجموا واستولوا على المرتفعات واستحكموا فيها استحكامًا قويًّا قبل وصول أقرب قول من جنود الحرب.

من الأمثلة الواردة في كتاب المارشال فوش المسمى «مبادئ الحرب» عن أعمال المقدمة، مسألة عن أورطة تعمل بصفتها مقدمة اللواء هي:

«ما هي المسألة التي يتحتم على قائد الورطة حلها»

هذه المسألة تنطوي على التمهيد للواء لدخول المعركة ضد عدو قد يخرج من «بتويللر» Bettwiller.

«ما الذي يتطلبه اللواء في مثل هذا القتال؟

إنه يحتاج إلى المسافة اللازمة لاستخدام قواته الكاملة، وإلى الوقت اللازم لوصولها وفتحها، ولإنجاز هذه المهمة المزدوجة يأمر قائد الأورطة جنوده باحتلال كل المسافة اللازمة، ثم يضع هؤلاء الجنود في الأماكن التي يستطيعون فيها الثبات طول الوقت اللازم».

الهجمات الجانبية وحرس الأجناب

«إن الرجل المتشبع بروح نابليون الحربية قل أن يهمل مواصلات خصمه وأن يجعلها غرضه الأول من القتال».

هندرسن

الأجناب هي أكثر نقط الجيش تعرضًا للأضرار؛ لأن الهجوم على هذه النقط يجعل المدافعين عرضة للنيران الجانبية، فضلًا عن أن الذي يقوم به هم جنود مصطفون بتشكيل الهجوم ضد عدو لم يكن في وضع يمكنه من صد الهجوم، ونتائج الهجوم الجانبي المكلل بالنجاح هي بعيدة المدى لدرجة تجعل القائد يبذل كل مجهود لكي يتوصل إليها، حتى يتمكن من قطع مواصلات خصمه، ويستنفد موارده، ثم يحرمه من وسائل تجديدها.

وبناء على ذلك، فإذا كانت مهاجمة قول وهو سائر بسير الطريق مهاجمة جانبية أمرًا محتملًا، يجب فصل قوة لوقاية ذلك الجنب وحمايته، وإذا كان كلا الجانبين عرضة للأخطار وجب حمايتهما بنفس الطريقة، فالجنب هو أكثر الأجزاء عرضة للأخطار في قول متحرك، والهجوم الذي يوجه إليه بعزيمة تتوافر فيه كل فرص النجاح؛ لأن الذي يقوم به إنما هو قوة موزعة بالعمق ضد قوة تمتد عرضًا بعد تغيير جبهتها لمقابلة الهجوم، وانعدام العمق في القوة المدافعة يحرمها من المورد الرئيسي للقوة التي تقاوم الهجوم.

فالقول المستقل عرضة للهجوم على كلا جناحيه إلا إذا كانت طبيعة الأراضي التي يمر من خلالها تكفل سلامة أحد جناحيه أو الجناحين بأن يوجد بها مَعْلَم من معالم الأرض التي لا يمكن اجتيازها (مثل مستنقع متسع لا درب فيه)، أو حاجز لا يستطاع المرور منه (مثل حدود بلاد محايدة).

والقولان الخارجيان من قوة تتحرك على طرق متوازية يكون لكل منهما جنب معرض للخطر بينما يكون جنبه الآخر آمنًا باتصاله بالقول المجاور له.

- أما حرس الأجناب فتعينها القوة الأصلية أو تؤخذ من المقدمة، وهذه النقطة يجب إيضاحها في أوامر العمليات.

أما تأليفها، وقوتها، وتوزيعها، والمسافات التي تتحرك عليها على جنب القوة الأساسية فهي كمثيلاتها من المقدمة، بينما تتقيد أعمالها في كل الظروف والأحوال بنفس الاعتبارات التكتيكية التي تتقيد بها المقدمة، والمبدأ الذي يقوم عليه كل عمل يعمله قائد حرس الجنب هو الامتثال لنوايا قائد القوة الأساسية المعلومة، ثم تضحية مصالح حرس الجنب حفظًا لمصالح القوة الأساسية وفي سبيلها، ويجب عليه أيضًا القيام بنفس الواجبات من استطلاع ووقاية وحفظ المواصلات مع القوة الأساسية، ثم إن الطيارات هي أقدر في الاستطلاع والمواصلات أي التخاطب مما في أعمال المقدمة، بينما تقوم أطواف الاستكشاف والمراقبة بتكميل الأخبار والتقارير التي يأتي بها الراصدون من الجو وتأكيدها، أما أعمال الوقاية فإنها تختلف باختلاف طبيعة البلاد التي يجتازها الحرس والقوة الأساسية في الوقت الجاري العمل فيه، ففي الأراضي المكشوفة يسير حرس الجنب بنفس الخطوة التي تسير بها القوة الأساسية، وبعيدًا عنها بمسافة يحافظ عليها بانتظام بحيث يكونان على خطين متوازيين، أما في الأراضي المقفولة أي الضيقة، وفي الجهات ذات التلال أو الجبلية فقد تدعو الضرورة إلى احتلال سلسلة من المواقع التكتيكية موقعًا بعد الآخر على الجنب المعرض ليكون في الاستطاعة تقوية أحدها والمرابطة فيه عند الحاجة لتأمين مرور القوة الأساسية. ولكي تشمل الحماية كل القول من رأس القوة الأساسية إلى قافلة النقل (الحملة) التي في مؤخرتها تجب المحافظة على الاتصال بينها وبين المقدمة من جهة، والمؤخرة من جهة أخرى بغير انقطاع، وكل ما يطرأ من التدخل بين هذين الحرسين وحرس الجنب يتحتم على الأخير أن يمنعه ويحول دونه.

وعلاوة على حماية القول أثناء السير فإن أعمال حرس الجنب في خطوط المواصلات وفي حماية قوافل النقل (الحملة) هي في المقام الأول من الأهمية.

ففي خطوط المواصلات ينتظر دائمًا حصول إغارات من الجو أو من البر في حروب المناورات، ومن العادة أن يكون أحد الجانبين أكثر عرضة للأخطار من الآخر، ثم إن قافلة النقل حينما تقف وتصطف بجانب بعضها البعض تكون معرضة للهجوم

من أي جهة كانت، وأثناء سيرها قد تهاجم من أي اتجاه خصوصًا إذا استطاع الخصم إرسال جنود راكبة، أو مشاة في مركبات ميكانيكية لتبقى خفيفة الحركة، أو أقسام مغيرة تحمل بالطيارات.

ومع ذلك ففي الغالب أن يكون جنب واحد فقط من خطوط المواصلات عرضة للأخطار، وذلك نظرًا إلى الوضع الجغرافي أو الموقف التكتيكي، فأعمال صيانة حركة المرور والحملة على خطوط المواصلات، هي من أعمال حرس الجنب، ومع مراعاة الحيطة والحذر من المفاجأة من كل الجهات يبقى الحرس الأساسي مع القافلة (الحملة) ليكفل سلامتها إلى أن تصل إلى الجهة المرسلة إليها بدلا من سعيه إلى لقاء العدو، وأفضل طريقة لحماية قافلة النقل (الحملة) هي وضع نقط للحراسة على الطريق يوميًا، تبعثها النقط الموجودة على الخط، ولكن إذا دعت الضرورة لإرسال قافلة نقل عن طريق ليس في الاستطاعة وقايته بهذه الكيفية، فلا بد من إيجاد حرس خاص، وقائد هذا الحرس يجب عليه ألا يشتبك في القتال مع العدو إذا أمكن أداء مهمته بغير قتال، أما إذا كان لا بد من القتال، فالواجب هو أن يشتبك مع العدو بعيدًا عن القافلة بقدر المستطاع، والقافلة لا تقف إذ ذاك وتصطف إلا إذا نفذت الحيل كلها. وإذا كانت القافلة مؤلفة من وسائل النقل الميكانيكية فإن الحرس بأجمعه يحمل بالمركبات الميكانيكية، وفيما عدا الأحوال التي توجد فيها طرق متوازية قلّ أن يستطاع عمل شيء يكفل حماية الجنب أثناء السير، فيتحرك قسم من هذا الحرس مع القافلة ويُرسَل قسم آخر ليسبقها ويستولي على الكباري أو المضايق التي لا بد من اجتيازها، مع الاستيلاء على موضع الخروج من المضيق قبل أن يسمح للقافلة بدخوله.

وإذا كانت القافلة مؤلفة من حيوانات النقل، فمن العادة أن يشتمل الحرس على جنود من المشاة معها عدد نسبي من الجنود الخفيفة الحركة، ثم يعين حرس أمامي صغير وآخر خلفي، ويوضع عدد كافٍ من الجنود على طول القول (النقل) للمحافظة على النظام وسهولة التخابر والتواصل، أما بقية الحرس (الذي يرافق قافلة النقل) فيتحرك عادة على الجنب الأكثر تهديدًا والهجوم عليه أكثر احتمالًا.

فمن معالم الحرب الأهلية الأمريكية الإغارة البعيدة المدى على خطوط المواصلات، وهذه الإغارات كان يكثر منها كلا الفريقين المتحاربين، وكثيرًا ما عادت

بضرر على الغرض الموجه إليه الهجوم، وعلى المغيرين بالنفع، خصوصًا لجنود الجنوب بسبب تجديد ما يلزمهم من الحاجيات.

ولقد كان الجنرال تارنير آشبي Turner Ashby، وهو قائد مقدام من قادة الفرسان في وادي نهر الشنندوه، مبعث خوف دائم لجنرالات الشمال، وكان موته وهو يحمي الحركات إلى كروس كيز Cross Keys (٦ يونيه سنة ١٨٦٢) ضربة أليمة على ستونوول جاكسون الذي كان أكثر مهارة من أي قائد آخر جنوبيًّا كان أو شماليًّا في استخدام جنوده الراكبة، وقد كان الجنرال ر.ا. لي قائدًا عظيمًا من كبار قادة الفرسان في شخص ج.ا.ب ستيوارت.

قال الكولونيل هندرسون في مؤلفه المسمى «ستونوول جاكسون» ما يأتي:

«على أن "لي" مع ما كان عليه من الرزانة، فالظاهر أنه كان مولعًا بدفع قسم عظيم من الفرسان ليعترض مواصلات عدوه فينشر الرعب والفزع بين قوافل مؤنه، ويقطع خطوطه التلغرافية، ويدمر مستودعات ذخيرته، ومع ذلك، فلم يكد أن يزيد الضرر في أية حادثة من تلك الغزوات عن كونه إزعاجًا مؤقتًا للعدو، مع أن جيوش الجنوب انقادت أكثر من مرة على مناورات كاذبة بسبب حاجتها إلى المعلومات التي لا يستطيع الحصول عليها سوى الفرسان.

فالجنرال "لي" في تل مالفرن وجيتزبورج، ومن قادة جيوش الشمال، الجنرال هوكر في تشانسلرزفيل، وجرانت في سبوتسلفانيا، كل هؤلاء لحقتهم الهزيمة، وكان لغياب جنودهم الراكبة دخل كبير فيها بسبب غياب هؤلاء الجنود في غزوات الإغارة والمطاردة، أما في الوادي (وادي الشنندوه) فعلى العكس؛ إذ كان النجاح فيه ميسورًا بسبب أن جاكسون أبقى فرسانه لينفردوا بواجبهم القانوني».

وفي الحرب الروسية – اليابانية، قام قول مؤلف من ٥٠٠ من القوازق (فرسان الروس) تحت قيادة الكولونيل مدريتوف Madritof بإغارة جريئة على مواصلات الجيش الأول الياباني في أواخر أبريل سنة ١٩٠٤، وكانت هذه الإغارة تستدعي السير فوق ظهور الخيل ٢٤٠ ميلًا، وكان القائمون بها يجهلون تمام الجهل أمر الهجوم الذي كان على وشك الوقوع على قوة الجنرال زاسوليش Zasolish من قبل الجيش الأول الياباني في معركة اليالو Yalu (أول مايو سنة ١٩٠٤). فلما وصل الكولونيل مدريتوف إلى الغرض الذي كان يقصده لم يجد شيئًا ليهاجمه؛ لأن قاعدة الجيش

الأول الياباني كانت قد انتقلت من حدود كوريا إلى قاعدة بحرية أبعد منها مسافة على مصب نهر اليالو. ولما رجع وجد قائده مشتبكًا في قتال لا نظام فيه. فلو أن قوته الصغيرة كانت حاضرة بمعركة اليالو لكان في إمكانها حماية الرجعة إلى هماتان Homatan وفنج – هوانج – شنج Feng-Hawng-Cheng. فمن ذلك نستخلص أن الإغارات والهجمات التي تقع خارج مركز العمليات، مهما كانت مقرونة بالجرأة، ليس لها قيمة دائمة.

وفي حرب جنوب أفريقيا حلّت كارثة بقافلة من قوافل النقل في نقطة صانا Sanah أو كورن سبروت Koorn Spruit (٣١ مارس سنة ١٩٠٠) بسبب انعدام التحوطات أمام قوة متقهقرة. وذلك بأن سمح لعربات النقل بالدخول في مضيق قبل الاستيلاء على مخرجه من طرفه الآخر (وكان المضيق متعامدًا على الطريق، وكان البوير قد احتلوه).

وحصل قبل ذلك في نفس تلك الحملة الحربية أن ضاعت قافلة نقل مؤلفة من ٣٠٠ عربة من رامدام Ramdam (١٣ فبراير سنة ١٩٠٠). وذلك أن قوة من البوير كانت كامنة فقتلت كل حيوانات النقل وتركت العربات، ولم يكن هناك حرس مع القافلة التي دخلت ساحة الكمين قبل اكتشافها. ففي كل مدة حرب جنوب أفريقيا قد أيد نشاط "دت وي" Dewet، حقيقة أن خطوط المواصلات عرضة للأخطار.

فمتى سمح الموقف التكتيكي يجب اتخاذ التدابير لحماية خطوط المواصلات بأعمال تعرضية، فقد يستدعي العدو للقتال في موقع ملائم ثم تحافظ الجنود الواقية على مواقعها وتوقف المغيرين في أماكنهم مقاتلين قتال تأخير، بينما يرسل في طلب الإمداد ليأتي من جهات متفرقة ويتجمع في ميدان المعركة بقصد الإحاطة بالمغيرين وإبادتهم.

المؤخرة

المؤخرة ضرورية لقوة متقدمة لكي تلتقط الجنود المتخلفين ولتمنع المغيرين في طلب السلب والنهب، ولتحول دون المفاجأة من قبل عدو نشيط قد يبعث قوة منه لتفاجئ مؤخرة القول المتقدم بالهجوم.

على أن أهم أعمالها هو وقاية قوة متقهقرة، وهذا العمل تختلف درجة صعوبته باختلاف الحالة التي تكون عليها جنود العدو من حيث الراحة أو التعب وما يتصفون به من الإقدام، وعلى العموم، فإن قتال الحرس الخلفي مع عدو لم يكن قد أنهكه التعب بعد، هو من أشق الأعمال الحربية وأشدها خطرًا؛ لأن وقوف الحرس الخلفي للقتال يزيده بعدًا عن القوة الأصلية وانفصالًا عنها كل دقيقة يقفها؛ إذ إنها تسير مبتعدة عنه، بينما يأتي المدد للعدو في كل دقيقة منها، وهذا العمل يتطلب مهارة تكتيكية فائقة؛ لأن وظيفة قائده هي تأخير المطاردين باحتلال مواقع لا ينسحب منها إلا في آخر لحظة، دون أن يتورط في قتال عام قد يضطر القوة الأصلية إلى الرجوع لتخليصه من ورطته.

ويتطلب أيضًا هذا العمل من القائد شجاعة أدبية عظمى؛ إذ إن وظيفته تقضي عليه بالمجازفة، بتضحية وضياع قوته إذا كان ضياعها هو الوسيلة الوحيدة لنجاة القوة الأصلية.

قوته:

تتوقف قوة الحرس الخلفي على نشاط العدو المطارد، وقوته، وقربه، وظروف القوة الأصلية، (عما إذا كانت منسحبة باختيارها أو مضطرة إلى ذلك على أثر قتال لم ينجح)، ثم على طبيعة الأرض، على أنها لا تقل بوجه عام عن خمس القوة بأجمعها ولا تزيد عن ثلثها، وهي تنتخب بحكم القاعدة من بين الجنود الذين اشتبكوا أقل من غيرهم في القتال الشديد.

تأليفه:

يتوقف تأليفه على العمل المطلوب منه أداؤه، وذلك يتطلب قسمًا من كل سلاح من الأسلحة البرية علاوة على الطيارات التي في استطاعتها أن تمنع المفاجأة بما تقوم به من الاستطلاع فوق أراضي العدو، كما يمكنها مضايقة القولات المطاردة نهارًا وليلًا بقتال النيران بمدفع لويس والقنابل، أما الجنود الراكبة فإنها تلزم لتزيد مدى الساحة المراقبة، ولتطيل مدة المقاومة بسبب تفوقها في خفة الحركات، علاوة على مقابلتها لأعمال فرسان العدو بالمثل، وأما المدفعية فإنها مطلوبة لفتح نيرانها البعيدة المرمى على قولات العدو لتبطئ فتحها ولتركز نيرانها أي تجمعها عليها حينما تكون (قولات العدو) في مضيق أو خارجة منه، وأما المشاة وبلاتونات مدافع الماكينة فإنها تلزم لقتال النيران المستطيل الأمد وللهجمات المضادة المحلية، وفي أثناء هذه الهجمات تطلق المدافع الماكينة ومدافع لويس وابلًا من نيرانها فجأة فتوقع به أشد الخسائر، وأما المهندسون فيوجدون جنود الألغام لإقامة العراقيل ونصب الشراك، ولتدمير الكباري (الجسور) وقناطر المياه، وأما معدات النقل الميكانيكية فقد تلزم لزيادة خفة حركات المشاة، والقسم الطبي فيطلب منه العناية بالجرحى والمرضى ومنهوكي القوى وإيجاد مركبات المستشفى (نقالات الميدان) لنقلهم.

توزيعه:

تنقسم المؤخرة إلى قسمين – الحرس الخلف والحرس الأساسي، أما الحرس الخلفي فهو كالحرس الأمامي في المقدمة ويشتمل على أطواف وأمدادها، وما يتبقى بعد ذلك من القوة يتألف منه الحرس الأساسي، وهو يسير مرتبًا بحسب الحاجة إلى جنوده أي: المدفعية (مع حرسها)، فالجنود الراكبة (إذا زاد منها شيء عن حاجة الحرس الخلفي)، فالمشاة، فالقسم الطبي ومركبات المرضى، فرجال الألغام من سلاح المهندسين، على هذا الترتيب تستطيع المدافع أن تفتح النيران حينما يطلب منها، ثم إن عمال الألغام الذين هم أبعد من غيرهم عن العدو المتعقب يتوافر لهم الوقت الأطول ليهيئوا فيه العراقيل، ويعدوا معدات التدمير، أما التدمير فإن الذي يتمه هم جنود الحرس الخلفي، ويتحتم إيجاد الاتصال دائمًا والمحافظة عليه بين الحرس الخلفي والحرس الأساسي وبين المؤخرة والقوة الأصلية.

مسافته:

تتوقف المسافة التي تبقي عليها المؤخرة أثناء عملها على نوع المهمة المكلفة بها وهي: تمكين القوة الأساسية من الانسحاب دون أن يعاكسها العدو، ولإنجاز ذلك يكون من اللازم عادة أن تبقى بلاتونات مدافع الماكينة والمشاة من المؤخرة في نطاق المرمى المؤثر بالنسبة للمواقع التي قد تعاكس منها مدفعية العدو القوة الأصلية، ومن المحتمل أن يبقى القائد مع هذا القسم من قوته؛ لأن عمل هذا القسم في المقام الأول من الأهمية، وعلى كل حال يجب أن يكون موقعه معلومًا، كما يجب أن يوجد قائد معين للحرس الخلفي وآخر للحرس الأساسي، على أن المسافة التي تفصل بين المؤخرة والقوة الأصلية وإن كان من المحتم أن تكون بالقدر الكافي، إلا أنه يجب ألا تتجاوز حد الكبر، وإلا فقد ينفذ العدو منها ويترتب على ذلك أن لا تنفصل المؤخرة عن القوة الأصلية وتبقى عرضة للتلف فحسب، بل إن حمايتها للقوة الأصلية تنقطع أيضًا.

مبادئ تكتيكية:

العمل التكتيكي الذي تؤديه المؤخرة يجب أن يجري طبقًا للمبادئ الآتية:

أن يختص الحرس الخلفي بالمراقبة ويتحتم عليه أن يراقب كل الطرق والدروب التي تستطيع القوة المتعقبة أن تسلكها، وهي مسئولة عن منع العدو من الالتفاف حول الأجنحة (التي قد تكون محمية، بصفة خاصة، بحرس الأجناب)، أما استطلاع الطيارات لاستكشاف حركات الالتفاف التي ينويها العدو فربما كانت أعظم قيمة لأعمال المؤخرة مما هي في أي عمل عسكري آخر، ثم إن الحرس الخلفي يقاوم أيضًا جنود مقدمة العدو طالما كان ذلك في إمكانها، ثم تنسحب قبل أن يتجاوز العدو جناحها (تجاوز الجناح هي الحركة الأولية للالتفاف حوله)، قال المارشال فوش:

«مناورة تجاوز الجناح تكون ملائمة بصفة خاصة حين مهاجمة مؤخرة؛ لأن هذا الحرس يصبح عاجزًا عن أداء مهمته بمجرد الالتفاف حوله».

الحرس الأساسي يقاتل لكسب الوقت، إذا حصل الانسحاب دون معاكسة كثيرة أو قليلة، أو إذا كان التعقب الواقع من المستطاع معالجته بالحرس الخلفي، ففي إمكان الحرس الأساسي أن يستمر في سيره محاذرًا من الالتصاق بالقوة الأساسية، وفي أثناء رجوعه يمكنه أن يدمر الجسور، ويقيم العراقيل، ويهيئ المكامن، وهكذا،

مستخدمًا كل الحيل (في حدود قوانين الحرب) ليؤخر بها العدو. وإذا طورد بشدة يتحتم عليه كسب الوقت بأي ثمن كان، للجيش الذي يستره. ولا يسمح لنفسه بأن يطرده العدو ويرجعه إلى القوة الأساسية وإلا فإنه يضايقها وتنقطع وقايته لها. وفي الإمكان كسب الوقت بإرغام العدو على الوقوف لاكتشاف موقع. وبإلجائه للفتح إلى تشكيل الهجوم، وبتضليله عن الطريق طلبًا في الإحاطة بجناح. ولكن قبل أن يصل بهجوم إلى موقع بقوة تبلغ من الكثرة درجة يتأكد معها الفوز. وقبل أن تنال القوة المحيطة غرضها، تنسحب أقسام الحرس الرئيسي قسمًا قسمًا تحت ستر نيران مَن لا يزالون موجودين في الخط. ثم ينسحب هؤلاء أيضًا بدورهم تحت ستر نيران الأقسام الذين اتخذوا مواقع جديدة إلى نقط تكتيكية أبعد من تلك إلى الوراء. ومن هذه النقط يعودون فيسترون انسحاب القوات التي سبق لها أن حمت حركاتهم.

وهناك ملاحظات معينة فيما يختص بالمواقع المنتخبة لهذا القتال المتوالي، ثم إن اختيار هذه المواقع من الصعوبة بدرجة تستلزم وجود ضابط مجرب من ضباط أركان الحرب يتعين خصيصًا لهذا العمل.

فالمواقع المنتخبة يجب أن تقع في طريق العدو، وخطوط الرجوع إليها يجب ألا تتلاقى، كما يجب أن يكون الدفاع عنها أمرًا سهلًا وأن تكون مهاجمتها أمرًا شاقا.

أما الأجنحة فيجب أن تكون في مأمن من الهجوم المباشر ومن النيران الجانبية المؤثرة حتى تستدعي مهاجمتها دورانًا واسعًا (ينتج عنه اكتساب الوقت من العدو) قبل أن تبقى مهددة.

ويجب أن يكون في الإمكان تسليط نيران المدفعية البعيدة المرمى على خطوط الاقتراب حتى تؤخر زحف العدو وتوقع فيه الفشل، وكل موقع ينتخب لخط المقاومة التالي يجب أن يكون محجوبًا عن نظر العدو المتعقب، وبعيدًا عن الخط السابق احتلاله بمسافة كافية لإغرائه على استئناف تشكيل السير، وذلك يستلزم أن يكرر العدو كل مراحل الهجوم من اكتشاف الموقع والتبليغ عنه بتقرير، ثم التصميم على الهجوم والفتح إلى تشكيل الهجوم، وكثيرًا ما تنتفع المؤخرة باتخاذ موقع مؤخر للعدو قبل حلول الظلام بساعة أو ساعتين؛ إذ يضطر العدو حينذاك إلى الهجوم والظلام موشك على الحلول وقد يعنّ له أن يرجئ الهجوم إلى الصباح، وبهذه الوسيلة تكتسب عدة ساعات للقوة المحمية.

قال الجنرال هاكنج في مؤلفه: جولات أركان الحرب Staff Rides ما يأتي:

«أول موقع يتخذه الحرس الخلفي عقب قتال لم يكلل بالنجاح يجب أن تدوم المحافظة عليه زمنًا أطول مما في المواقع التي تليه، وذلك كقاعدة عامة؛ لأنه بمجرد ما يتسنى للجيش المهزوم أن يقطع مسافة طويلة على الطرق ويبتعد، ثم يستعيد شيئًا من النظام، فإن سيره يستمر دون تعطيل إلا إذا صادفه عائق يلزم اجتيازه...».

ومما يلاحظ أيضًا هو أنه، بما أن من النادر أن يكون في نية قائد الحرس الخلفي أن يقوم بهجوم مضاد فاصل، فهو يستطيع أن يبعث قسمًا عظيمًا جدًّا من قوته للمحافظة على المواقع المتسلسلة ومعها احتياطي للقيام بالهجمات المضادة المحلية لا غير، ولنفس هذا السبب إذا وجد عائق أمام موقعه (يكون من شأنه أن يجعل ذلك الموقع غير صالح للدفاع العملي؛ لأنه يحول دون زحف الاحتياطي العام للقيام بالهجوم المضاد الفاصل) فإن هذا العائق يستحب كثيرًا في قتال التأخير الذي يقوم به حرس خلفي بقصد اكتساب الزمن لقوته الرئيسية.

وأخيرًا عندما يخلي خط من خطوط المقاومة تنسحب في بادئ الأمر المدفعية الثقيلة إلى موقع للنيران بعيد، ثم تنسحب بعدها المشاة البطيئو الحركة والمدفعية الخفيفة (تحت حماية نيران الطيارات والجنود الخفيفة الحركة)، وأخيرًا ينسحب الفرسان وغيرهم من الجنود الخفيفة الحركة، وهم الذين يبقون حتى آخر لحظة ويستطيعون حماية أجنحة المؤخرة أثناء تقهقرها، وذلك بفضل تفوقهم في خفة الحركة، كل ذلك قبل أن يستأنفوا أعمالهم كحرس خلفي، فيرصدون جنود مقدمة العدو المتعقب ويقاومونها.

وفي أثناء المطاردة عن كثب يطلب من قائد الحرس الخلفي إبراز كل ما له من المقدرة في إدارة جنوده وبذل ما يتصف به من الكفاءة التكتيكية، ومن أحرج الأوقات التي تصادفه هو الوقت الذي تستغرقه القوة الرئيسية في اجتياز مضيق؛ لأن مثل هذا المرور لا يبطئ سيرها فقط، بل يجعل قولاتها عرضة للأخطار وعديمة الحيلة، ففيما يختص بالمضايق يجب أن لا يغيب عن البال القول المأثور عن نابليون، وهو: «مما يناقض مبادئ فن الحرب السماح لرتل المدافع والعربات، ثم المدفعية الثقيلة بدخول مضيق إن لم يكن طرفه الآخر محتلًا أيضًا».

ففي نقطة صانا Sannah (٣١ مارس سنة ١٩٠٠) سمح لقافلة النقل أي قطار العربات بالدخول في مضيق مكون من شاطئ نهر الكورن Koorn قبل أن

يسبق احتلال ذلك المضيق، فاستولى العدو على كل العربات. فهذه الحادثة لا تؤيد ضرورة وجود حرس أمامي أثناء التقهقر فحسب، بل إنها تدل على حاجة قائد الحرس الخلفي إلى المعرفة التكتيكية، وخصوصًا في الأراضي الجبلية أو في الأراضي التي تتخللها الغابات والمستنقعات، حيث تكون قافلة النقل أو قطار المدافع وما إليها مما يسبب التأخير والإبطاء؛ إذ تكون القوة المنسحبة مضطرة إلى أن تسير في قول طويل الامتداد، فلا بد من أن يكسب الحرس الأساسي وقتًا إضافيًّا يمكّن القوة الأساسية من الخروج من المضيق، وبناء على ذلك يتحتم على قائد الحرس الخلفي اتخاذ خطط تلائم البلاد التي لا بد للقوة الأساسية من اجتيازها، والأراضي التي سيقاتل هو فيها قتال تأخير وإبطاء، ولا بد أن تكون الخريطة الجيدة، والقدرة على استخدامها، ثم التعاون الوثيق مع القوة الأساسية هي العوامل التي يكون لها القول الفصل في النجاح أو الفشل.

التدريب:

حينما يجري تمرين الجنود في أعمال المؤخرة يجب انتهاز الفرص لبيان الصعوبات التي تعترض اختيار مواقع ملائمة، والانسحاب منها وهم مشتبكون في المعركة، وما للتعاون المتبادل من الضرورة القصوى، والرضاء بالمجازفة التي قد تتطلبها حماية القوة الرئيسية، ويجب التنويه بوجه خاص بما لتكتيكات النيران من الأهمية (أي إشراك النيران مع الحركات إشراكًا رائده دقة التقدير)، وهي أعظم العوامل في معركة المؤخرة التي تكلل بالنجاح، ثم المقدرة على قراءة الخريطة وفهمها، وهما من الأمور الجوهرية في كل تحركات الجنود، ولا يستغنى عنهما في قتال المؤخرة؛ إذ يتحتم على قائد البلاتون أن يتنبأ من الخريطة بالخط الذي يحتمل أن يسلكه العدو في زحفه على خط المقاومة، وبأحسن طريق يسلكه بلاتونه حينما ينسحب في آخر الأمر إلى موقع آخر للنيران وراء موقعه الحالي، بينما ينبغي له أن يبقى على استعداد لأن يلقي ببلاتونه إلى هجمة مضادة محلية على جناح أو مؤخرة أي قسم مقتحم يكون قد انفصل عن مدده، وبذلك يهيئ فرصة نادرة لفوز محلي في القتال، ثم إن الإسراع بالزحف لهذا الغرض على طريق لا يراه الخصم والإسراع بإبادة التنظيم بعد النصر والانسحاب بسرعة والرجوع من حيث أتى أو إلى خط آخر وراء خطه الأول، كل ذلك يستطاع إنجازه على أفضل وجه باستخدام الخريطة واستطلاع الأراضي التي تحصل فوقها المصادمة.

الخبرة بالأراضي (النظر إلى الأراضي نظرة عسكرية):

من أسرار نجاح نابليون (الخارق للعادة) «نظرته العسكرية للأراضي»

قال الكولونيل ج.ف.ر. هندرسون في مؤلفه «علم الحرب»:

«لم أدرك حق الإدراك قبل أن أذهب إلى جينا Jena وأوسترلتز Austerlitz ما كان للنظرة العسكرية التي اتصف بها نابليون فيما يختص بالأراضي. ولا ما كان للعمى الذي اتصف به أعداؤه فيما يختص بذلك. من الأهمية في كلتا المعركتين. وما قد يكون لها من الأثر في التكتيكات العظمى أي في فن القيادة».

وهذا القول يصدق على الجنرال ر.ا. لي Lee وخصوصًا في حملة البرية Wilderness. حيث لم يكن اعتماده في تكتيكاته الدفاعية قاصرًا على المتاريس، بل على المعالم الطبيعية للأراضي.

وعنه قال الكولونيل هندرسون في مؤلفه «علم الحرب»:

«لا بد وأن نظرته العسكرية فيما يختص بالأراضي كانت خارقة للعادة. فلقد جرى القتال في هذه الحملة فوق ساحة مترامية الأطراف. وهي ساحة من الأراضي الضيقة جدًّا ليس لها من المعالم الطبيعية الواضحة إلا القليل. وبالرغم من ذلك فكان يظهر دائمًا أنه يختار مواقع ليس في غيرها ما هو أقوى منها. وهو في وسط الغابات والآجام ومجاري المياه. وليس لديه من الوقت إلا الشيء اليسير».

أمثلة على أعمال المؤخرة:

في أثناء التقهقر من مونز Mons قامت مؤخرة الفيلق الثاني من التجريدة البريطانية بتأخير التعقب بفضل ما أبداه جنود الفرسان والمدفعية من الجرأة والإخلاص للواجب، ثم إنهم جعل خططهم تتبع ما فيه صالح القوة الرئيسية مكّنوا قائد الفيلق الجنرال السير هـ-سمث دوريان Sir Smith-Dorrien ليس فقط من التخلص من التعقب، بل مكّنوه أيضًا من الاتصال بالجناح الآخر من الجيش البريطاني، أما الرجعة فإنها كانت عقب معركة لوكاتوا الأولى Le Cateau (٢٦ أغسطس سنة ١٩١٤). وفي أثنائها كان الجيش البريطاني عرضة لحلول كارثة به نظرًا لتدهور قوة من القوات المتعاونة معه تسبب عن تدهورها أن فقد ذلك الجيش ما يضمن سلامته. على أن قوة المارشال فرنش المعنوية، هو والقواد الذين معه. وغريزة الاستماتة في القتال التي هي من خصائص الجنس البريطاني. وجودة تمرين الجيش

النظامي على ضرب النار في أيام السلم. كل هذه حالت دون صيرورة التقهقر هزيمة. ثم إن العناية التي بذلت في تدريب الجنود على تكتيكات النيران. وخصوصًا على إعادة التعمير بينما تكون «الأعين على الهدف والدبشك في الكتف». أي الضرب السريع. قد تأيدت فائدته كل التأييد. فكانت دقة نيران البنادق وكميتها تخدعان العدو وتضللانه من حيث نوع الجنود المستخدمة ضده. فكان يقول في تبليغاته عن الجنود المترجلة عن خيولها وعن المشاة الذين يقاتلون ببنادقهم (أورط من المدافع الرشاشة).

وفي أثناء معركة السوم الثانية (مارس سنة ١٩١٨) قاتل كل من الجيش الثالث والخامس البريطانيين في سلسلة من المعارك التي هي من نوع معارك المؤخرة. فكان زحف العدو يكلفه ثمنًا غاليًا جدًّا. وقد نوّه بذلك السير د. هايج في رسائله حيث قال:

«لقد كانت الوحدات تتقهقر وهي تقاتل قتال المستميت من موقع إلى آخر. وذلك حينما يجدون أن العدو قد التف حولهم وهددهم بالفصل عن بقية القوة. غير أن في كثير من النقط كان يدور قتال طاحن. وكلما حاول العدو القيام بهجوم جبهي كان يُطرد بخسائر كبيرة».

وفي أثناء الانسحاب البريطاني كان المدفع الرشاش يبرهن على ما له من التأثير المرة بعد الأخرى. حتى أن اثنا عشر مدفعًا رشاشًا من الفرقة الثالثة والستين كانت موضوعة في «لي بوف» Lee Boeufs (٢٤ مارس سنة ١٩١٨) أوقفت زحف العدو من مورفال Morval في وقت حرج. ومكّنت الفرقة من الوصول إلى الموقع المخصص لها. أما ما أوقعته نيران المدافع الرشاشة والبنادق ومدافع لويس بالعدو من الخسائر برصاصها. فكان من الفداحة بدرجة أنه في ٢٥ مارس كانت الرسائل الألمانية تصف الجيش السابع عشر الذي كان يقوده فون بيلوف Von Below بأنه «قد أنهكه القتال تمامًا» .

وفي أثناء المعركة أوقف قسم منفصل مؤلف من نحو ١٠٠ من الضباط والرتب الأخرى. كانت تحت قيادة أركان حرب اللواء الحادي والستين. العدوَّ في مكانه من الصباح المبكر إلى الساعة السادسة مساء في لي كيني Le Quesnoy (٢٧ مارس سنة ١٩١٨) فمكّن الفرقة العشرين من التقهقر إلى الموقع المعين لها.

وفي القتال الذي نشب في روليكا (١٧ أغسطس سنة ١٨٠٨) كانت القوات الإنجليزية – البرتغالية التي كانت تحت قيادة السير أ.ولزلي Wellesley تفوق جنود الجنرال ديلابور Delabor الفرنسي عددًا، فلما طردته من موقعه الأول والثاني، انسحب إلى الجبال، وقال عنه نابير أثناء تقهقره:

«إنه أتى بكل سلاح وأدخله القتال في الوقت المحدد... ثم أخذ يتقهقر بكتل من الجنود على التوالي والتعاقب، وكان يحمي حركاته بهجمات قصيرة عنيفة كان يقوم بها الفرسان... ورجع وهو يناضل عن الأراضي وينازع فيها العدو حتى «كوينتادو بوجا جليرا» Qninta de Bagagliera » .

وفي شهر ديسمبر سنة ١٨٠٨ ويناير سنة ١٨٠٩ انسحب الجنرال السير جون مور إلى كورونا Corona أمام جيوش نابليون (وحينما عاد الإمبراطور إلى مدريد قبل المارشال صولت)، وقد قال نابير عن انسحاب مور ما يأتي:

«إنه أدار ذلك التقهقر الطويل الشاق بفطنة، وذكاء، وجَلَد».

ومما يستحب ذكره بهذه المناسبة هو أن ما وقع في التقهقر من مونز في سنة ١٩١٤، وفي معركة السوم الثانية في سنة ١٩١٨ كان مثالًا لما حصل من قتال المؤخرة الذي وقع قبل ركوب جيش السير جون مور السفن، وإن مهارة الجنود البريطانية في الرمي (ضرب النار) كانت هي العامل الحاسم.

قال نابير:

«كانت كل البنادق الإنجليزية حديثة، وكانت الذخيرة جديدة، وسواء أكان بسبب الصناعة المخصوصة التي صنعت بها البنادق، أو بسبب قوة الجنود الجثمانية ورباطة جأشهم، أو لهذه الأسباب كلها معًا، فإن النيران الإنجليزية هي أكثر ما عرف من النيران إتلافًا».

وفي محطة برستو Bristow (١٤ أكتوبر سنة ١٨٦٣) أثناء حملة الجنرال ميد Mead في فرجينيا الشمالية (بعد أن هزم الجنرال "لي" في جيتزبورج في ١-٣ يوليو سنة ١٨٦٣) قام فرسان ستيوارت ومشاة من فرقة الجنرال رود بهجوم مفاجئ انسحبت بسببه جنود الشمال، فقام الجنرال وارين بستر هذا التقهقر، وفي نهاية الأمر سحب جنوده هو دون أن يعترضها أحد بعد أن صد هجمات عديدة بنيران البنادق على مرام قصيرة.

ثم أن جاء فيكتور مورو وهو من أعظم جنرالات الجمهورية الفرنسية، وصل إلى درجة جنرال فرقة وهو في سن الثالثة والثلاثين، قد اكتسب بمهارته في تخليص قواته من مصيبة كان يظهر أنها محققة الوقوع، شهرة في القيادة بتقهقره، أعظم بكثير من الشهرة التي اكتسبها بانتصاراته الباهرة.

ففي ربيع سنة ١٧٩٦ هزم لاتور Latour في رشتات Rastatt، والأرشيدوق شارل Archduke Charle في إتلنجن Ettlingen ، ثم قهر النمساويين حتى أرجعهم إلى نهر الدانوب، ولكنه نظرًا لهزيمة جوردان Gourdan وتقهقره، اضطر إلى الرجوع إلى نهر الراين Rhine باذلًا مجهود المستيئس في مسعى يدل ظاهره على أن لا رجاء فيه. ومع ذلك فهو لم يصُن جيشه فقط من أن يمسه سوء، بل إنه أتى معه بعدد من الأسرى يربو على ٥٠٠٠، وفي سنة ١٧٩٨ نجا جيشه من الهلاك مرة أخرى حينما اشتد عليه ضغط الروس والنمساويين في إيطاليا.

ولم يكن التقهقر هو المناورة الوحيدة التي اشتهر بها، أو المحبوبة لديه بأي حال من الأحوال، بل عاد فيما بعد وانتصر على النمساويين في حملة سنة ١٨٠٠ المرة بعد الأخرى، وأرجعهم إلى ما وراء نهر الآن Inn. ثم فاز بالإنتصار الحاسم في هوهنلندن (٣ ديسمبر سنة ١٨٠٠) حيث خسر النمساويون وحلفاؤهم البافاريون ١٧٠٠٠ جندي، وأربعة وسبعين مدفعًا مقابل خسارة مجموعها لدى الفرنساويين ٥٠٠٠.

النقط الخارجية

تشتبك القوتان المتحاربتان في القتال باصطدام المقدمة للقولات المتحركة، وباقتراب قوة مطاردة من مؤخرة جيش متقهقر، وبمهاجمة قوة متحركة لعدو ثابت في موقع، وبتجديد القتال الذي يكون قد انقطع بين القوتين المتناضلتين.

وكل قائد يسعى جهده لمنع التدخل في خططه وفي حركاته المقبلة، ثم إنه في الحين الذي يبذل فيه الجهد لأن يفاجئ العدو ويتفوق عليه في الحيلة والدهاء، يسعى ويجد في منع هذا العدو من تطبيق هذا المبدأ الحيوي عليه هو، وقائد القوة التي تكون في الراحة يتطلب سلامتها حتى لا يزعجها في استراحتها شيء، وهذه السلامة مطلوبة حتى يتسنى له تنفذ خططه الموضوعة لقهر العدو، وبناء على ذلك فهو يبعث بقسم يفصله من قوته ليكفل هذه السلامة بالمراقبة والرصد، وليحول دون احتلال العدو سرًّا للأماكن التي إذا استولى عليها يتداخل في خططه (أي القائد)، ثم يكفل راحة القوة الأصلية بمقاومته لحركات العدو.

والقوة العينة لحماية الجنود المستريحة تسمى نقطًا خارجية، ووظيفتها المحافظة على سلامة القوة الرئيسية، والنقط الخارجية تحمي القوة الرئيسية من المفاجأة بالرصد أي المراقبة، وهي إذا هوجمت تكتسب وقتًا بالمقاومة يضع فيه قائد القوة الرئيسية خططه موضع التنفيذ باحتلاله الموقع الذي ينوي أن يتلقى الهجوم فيه، فالرصد يحصل بالطيارات، وبالأطواف (التي تتألف من الجنود الخفيفة الحركة مدة النهار وبالمشاة مدة الليل)، وبالديده بانات، أما المقاومة، فتقوم بها مجموعات الديده بانات، والجنود الموجودة في المواقع الدفاعية المسماة «خط القوة قولات» تمدها جنود أخرى، وفي أحوال معينة يوجد أيضًا احتياطي محلي، واحتياطي عام.

قوتها:

العمل في النقط الخارجية شاق للغاية، فينبغي ألا يستخدم فيه جندي أو جواد إذا كان في الإمكان الاستغناء عن خدمته، ومع أن عدد الجنود الذين يخصصون لهذا

العمل يكاد يتوقف بالكلية على طبيعة البلاد وعلى الموقف التكتيكي، فإن الوارد في القوانين هو أنه إذا استخدم جزء كبير من مجموع القوة في هذا العمل دون أن تكون هناك ضرورة لذلك، فإن القوة تنقص كفاءتها، ثم إن المشاهد أيضًا هو أن هذا العمل ولأنه في الدرجة الأولى من الأهمية وأنه مفعم بأعظم المشاق، إلا أنه من الواضح البين أن في إمكان قسم من الجنود صغير نسبيًّا أن يؤديه؛ لأن المراقبة تحتاج إلى الذكاء واليقظة أكثر مما تحتاج إلى كثرة العدد، والمقاومة يمكن توفرها بقتال التأخير الذي تقوم به قوة قليلة العدد من مهرة الجنود بجبهة متسعة، تساعدها مدافع الماكينة بما لها من الميزة النسبية في الدفاع مع الأسلحة الصغيرة، ومع ضمان المدد من القوة الأصلية الموجودة بالقرب منها.

الرصد (المراقبة):

لا تعتبر قوة ما أنها آمنة من المباغتة إلا إذا كان كل قسم من قوات العدو الموجودة على مسافة مرمى الأسلحة منها مراقَبًا مراقبة تامة، بحيث لا يستطيع التحرك ليلًا أو نهارًا دون أن يعلم بذلك على الفور الراصدون الموجودون بالنقط الخارجية، ففي مدة النهار يقوم قائد النقط الخارجية بالاستطلاع إلى مسافة ما أمام موقعه بواسطة الطيارات، وأطواف الجنود الراكبة وراكبي الدراجات، بينما يجعل قائد كل بلوك من بلوكات النقط الخارجية كل المسالك الموصلة إلى الموقع تحت رقابة (ديده بانات) حراس يوضعون في أماكن يسمعون منها ويرون دون أن تراهم جنود العدو.

أما في مدة الليل فلا تستطيع الطيارات ولا الجنود الراكبة أن تساعد كثيرًا بصفتها أطوافًا متحركة، ولذا فينتقل عمل الاستطلاع والرصد إلى عاتق بلاتونات النقط الخارجية.

المقاومة:

يعتمد قائد النقط الخارجية في أغراض المقاومة على جنود المشاة، وعلى المدفعية والمدافع الرشاشة (الماكينة) التي تخصص له، وإذا كانت الساحة التي يحتلها هي الساحة (القطاع) الذي سيقابل فيها قائد القوة الأصلية الهجوم، فتجهز النقط الخارجية بمقدار من المدفعية ومدافع الماكينة أكثر مما يخصص لها عادة.

أما المقاومة فتتوافر بحفر متاريس تستحكم بها كل مجموعة من مجموعات الديده بانية في نقطة تقبل الدفاع في كل الاتجاهات، ثم إن العمق والمرونة يتوافران للدفاع بإقامة مخافر (قرقولات) مستحكمة تنشأ في مواقع بحيث يعاون بعضها البعض، وتختار أماكنها لتكون حاكمة بنيرانها على كل مسلك أو طريق اقتراب، وتكون ساترة أجنحة القرقولات المجاورة لها، وتخطط بكيفية تستطيع بها تسليط نيران مركزة (متجمعة) على العدو حينما يزحف للهجوم.

ومواقع هذه القرقولات تعزز وتقوى بالإمداد عند الضرورة، وهذا الإمداد إما أن يساعد في احتلال الدفاعات التي تشغلها القرقولات، وإما أن يحتل نقطًا دفاعية على الأجنحة تهيأ على هذا النمط، وأحيانًا يحتاج الحال إلى احتياطي محلي للقيام بالهجمات المضادة المحلية، وفي حالات معينة يتعين احتياطي عام، أما درجة المقاومة التي تبديها مجموعة الديده بانات فإنها تتوقف على الموقف التكتيكي والذي يقدرها هو قائد النقط الخارجية.

وفي بعض الحالات يسمح لجماعة الديده بانية أن تتقهقر أمام الهجوم الشديد إلى خط القرقولات، ولكن في هذه الحالة لا بد من تحذيرهم من خطر وصولهم إلى خط القرقولات على عجل أمام العدو مباشرة، ونظرًا لهذا الخطر فإن هذا التقهقر لا يسمح به في مدة الليل إلا فيما ندر، أما القرقولات فتوضع بوجه عام على خط المقاومة من النقط الخارجية، وفي هذه الحالة يحافظون على مواقعهم حتى آخر رجل ولآخر طلقة إلى أن تصل أوامر أخرى من طرف قائد القوة المحمية.

المسافة:

المسافة التي يكون عليها موقع النقط الخارجية من الجنود المحمية تتقيد بالزمن الذي يتطلبه هؤلاء الجنود للاستعداد للعمل، ثم بأهمية الحيلولة دون اقتراب مدفعية الميدان الخاصة بالعدو إلى المرامي التي تؤثر على الأراضي التي يتشكلون عليها إذا هوجموا.

أما المدافع والهاونات الثقيلة، ولو أن وسائل النقل الميكانيكية تكسبها سرعة عظيمة في الحركة فليس من المحتمل أنها ترافق الحرس الأمامي للعدو، ولذلك فليس من العادة أن يطلب من جنود النقط الخارجية أن تستعد لمقاومة نيرانها أو منعها، والمرمى المؤثر للشرابنل هو ٥٥٠٠ ياردة، ونهاية المرمى المؤثر لمدافع الماكينة هو ٢٠٠٠

ياردة، ولمدافع اللويس والبنادق هو ١٤٠٠ ياردة.

وبناء على ذلك فيمكن حماية الموقع الذي تنفتح فوقه القوة الأصلية من شرابنل مدفعية الميدان إذا جعل موقع النيران الممكن وصول تلك المدفعية إليه، تحت نيران مؤثرة من المدافع الماكينة تبعد عن موقع الفتح بمسافة ٣٥٠٠ ياردة، وبمسافة نحو ٥٠٠ ياردة علاوة على ذلك بمدافع اللويس والبنادق القصيرة، ومن جهة أخرى، وخصوصًا في الحالات التي تكون القوة فيها صغيرة (ولا يحتمل أن يؤتى بالمدفعية ضدها)، يجب ألا تكون المسافة بعيدة بدرجة تمكّن العدو من فل النقط الخارجية بحلوله بينها وبين القوة الأصلية، أو تضطر إلى استخدام نسبة عددية من الجنود في خدمات النقط الخارجية تزيد عن النسبة المعقولة.

قائد النقط الخارجية:

يجب على القائد قبل الوقوف، أن يبدأ بالبت في أمر الأوضاع التي سيتخذها في حالة الهجوم، وبعد ذلك، يدبر أمر إسكان جنوده، أو أمكنة إقامتهم، ثم الموقع العام للنقط الخارجية، أما إذا كانت القوة صغيرة ومستقلة بذاتها فمن المعتاد أن يقوم قائدها بنفسه بتعيين كل جنود النقط الخارجية، وهو إما أن يبقي الرئاسة في يده، وإما أن يعين ضابطًا يتولى قيادتها، وفي مثل هذه الحالة من المحتمل أن تتخذ الجنود وضعًا هو المعسكر ذو الحدود الخارجية، أي له محيط خارجي، يهيأ للدفاع في كل الاتجاهات، وأما في الأقسام الكبيرة فمن المعتاد أن تتألف النقط الخارجية من جنود من كل الأسلحة ويعين لها قائد معلوم دائمًا، وهذا القائد يقسم خط النقط الخارجية إلى قطاعات عند الضرورة، يخصص لكل قطاع منها قائدًا من قادة الوحدات أو التشكيلات الصغيرة يلقى عليه مسئولية المحافظة عليه، محددًا حدود القطاعات بمعالم مميزة كالأشجار، أو الأكواخ، أو مجاري المياه، أما قمم التلال وقيعان الأودية فهي ليست صالحة لأن تكون حدودًا تكتيكية، وأما الطرق فيجب أن تكون داخلة في حدود قطاع ما؛ لأن الطريق الذي يستخدم بصفته حدودًا بين قطاعين قد يهمله أحدهما بفكرة أن مراقبته بالأطواف هي من واجبات القطاع الآخر.

الاستعلام والأوامر:

يتحتم على قائد النقط الخارجية أن تكون لديه معلومات قطعية عن الأمور الآتية:

١- ما هو معلوم عن العدو، ثم المعلومات الخاصة بالجنود المتحابة التي تعمل ضد العدو.

٢- نوايا قائد القوة التي يحميها، ومحل وقوف القوة الأصلية ومقدار الزمن الذي ستقضيه فيه (في الراحة)، وهل في النية الاشتباك مع العدو إذا زحف؟ وإذا كان الأمر كذلك ففي أي موقع؟

٣- الخط العام للنقط الخارجية، والجنود الموجودة تحت تصرفه للعمل، وهل توجد جنود أخرى على يساره أو على يمينه؟

٤- الساعة التي تتغير فيها جنود النقطة الخارجية، والمكان الذي ترسل إليه التقارير.

وبعد أن يتلقى هذه المعلومات يصدر الأوامر التي يكون من الضروري إصدارها على الفور للوقاية من المباغتة، وبعد ذلك يختص جنوده الخفيفة الحركة بمهمة الرصد والمراقبة، ثم يقرر لجنود النقط الخارجية خطًا للمقاومة، ويلاحظ أن يوافق ما يتخذه من التدابير، التدابير التي تتخذها قادة النقطة الخارجية المجاورة له، ويتأكد من عدم وجود أراضي بغير حراسة.

وبعد ذلك يصدر قائد النقطة الخارجية لمرءوسيه الأوامر الخاصة بالنقط الآتية:

أولًا: المعلومات الخاصة بالعدو، والخاصة بجنوده هو، والتي لها مساس بالنقط الخارجية.

ثانيًا: الخط العام المطلوب احتلاله والقطاع المخصص له، وحدود ما يخص كل قائد من القادة المرءسين.

ثالثًا: توزيع الجنود الخفيفة الحركة، والمدفعية، ومدافع الماكينة.

رابعًا: التعليمات الخاصة بدرجة المقاومة المطلوبة، والخط العام لخط مقاومة النقط الخارجية – أي الخط الذي ستحصل فيه المقاومة.

خامسًا: التدابير الخاصة التي تتخذ ليلًا.

سادسًا: القواعد المقررة الخاص بالتدخين، وإيقاد النار، والطبخ.

سابعًا: الساعة التي تتغير فيها جنود النقطة الخارجية.

ثامنًا: المكان الذي ترسل إليه التقارير.

تاسعًا: التعليمات الخاصة بالمكان الذي تقيم فيه الجنود الاحتياطية (إن وجدت) وعما إذا كان يسمح لجنود الإمداد (والاحتياطي إن وجد) بخلع عُددهم وأدواتهم.

وحينما تصله معلومات بأن النقط الأمامية اتخذت مواقعها، ينقل هذه المعلومات إلى القائد الذي عيّنه.

خط النقط الخارجية المعد للمقاومة:

التقهقر تحت النيران إلى خط المدد يكون محفوفًا بالأخطار خصوصًا في مدة الليل. وبناء على ذلك فالقاعدة العامة هي أن توضع القرقولات (المخافر) على خط النقط الخارجية المعدّ للمقاومة. أما التعاون، والمواصلات الداخلية وممارسة القيادة، فإنها تسهل بوضع المخافر على طول مَعْلَم بارز من المعالم الأرضية أو بالقرب من الطرق،على أن الموقف التكتيكي قد يتطلب أن يكون الخط المتخذ مما تتوافر فيه السهولة لإبداء مقاومة في أشد درجات الاستماتة مع سهولة الرصد والمراقبة، على أن الضرورة الأولى (أي المقاومة) ذات أهمية تفوق أهمية أخرى (المراقبة) بكثير.

وإذا كان المحتمل بقاء القوة مستقرة في مكانها لعدة أيام، وخصوصًا إذا كان من المحتمل استحالة العمليات إلى حرب المواقع (الموضعية) فإن الأراضي الحاكمة (أي المرتفعة) تكون ذات قيمة عظمى للمدفعية، وقد يحتمل أن يتطور الخط المعد للدفاع في النقط الخارجية حتى يصير منطقة النقط الخارجية لموقع دفاعي، ومن جهة أخرى إذا وقفت القوة لقضاء ليلة واحدة فلا تستخدم المدفعية كثيرًا، ولا تكون الأراضي الحاكمة أمرًا جوهريًّا.

بلوك النقط الخارجية:

بلوك النقط الخارجية هو وحدة المشاة الخاصة بالنقط الخارجية، وقائد البلوك هو الذي يعين المخافر (القرقولات)، والإمداد، والنقط المنفصلة بحسب الطلب.

فعندما يتلقى هذا القائد أوامره، يحرك جنوده إلى الأرض المخصصة لهم حيث يقفون وراء ما يسترهم، متخذًا، أثناء ذلك، الحذر من المباغتة.

وقبل أن يشرع قائد بلوك النقط الخارجية في المسير إلى الجزء المخصص له في الخط، يعيّن قوة لتسبقه في الزحف وتستر عملياته، والقوة المتقدمة بهذه الصورة لا تنسحب إلا بعد أن تستحكم قرقولاته في خنادقها.

وفي إمكانه بعد مراجعة الخريطة أن يقرر عدد القرقولات التي تلزمه، وذلك بحسب عدد الطرق المطلوب حراستها، وسهولة المقاومة، واحتياجات أعمال الأطواف.

أما مدى الجبهة (القطاع) التي تخصص لبلوك من بلوكات النقط الخارجية فيتوقف على عدد الموارد أي طرق الاقتراب (من طرق، ودروب، وأراضي فضاء غير مسيجة) المطلوب حراستها، وفي الأحوال العادية قد تخصص جبهة يتراوح مقدارها من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ ياردة للبلوك الذي تبلغ قوة مقاتلته أربعة بلاتونات.

ويجب أن يتألف كل مخفر (قرقول) من وحدة تامة توضع في موقع دفاعي جيد. أما الإمداد (سواء كان واحدًا أو أكثر إذا كانت جبهة البلوك تعين لها أكثر من مدد واحد) فيجب أن يتألف من وحدة تامة أيضًا، وأن يوضع بوجه عام خلف المخفر على مسافة تتراوح بين ٤٠٠ و٨٠٠ ياردة، وأن يكون لكل واحد منها خطوط اقتراب جيدة. وقد يحتاج الحال إلى نقط منفصلة لحراسة جناح بعيد، أو لاحتلال موقع أمام خط الديده بانات حيث يحتمل أن يتجمع العدول للهجوم دون أن يرى إن لم توجد هذه النقط، أو يشرع في اتخاذ تدابير للاستطلاع، وهناك استخدام آخر لهذه النقط وهو معالجة حركة المرور من خلال الخط حيث يوجد طريق عمومي لا يكون فيه مخفر (قرقول)، ويتحتم على قائد بلوك النقط الخارجية أن يخبر قائد مخفره (قرقوله)، ورئيسه المباشر بموقعه الذي يكون فيه؛ إذ إن كل التقارير والأخبار التي تصل للمخافر (القرقولات) يلزم إرسالها إليه، كما أن قائده المباشر يحتاج إلى بقاء الاتصال بينه وبينه على الدوام، ثم إن أول واجبات قائد المخفر (الذي يكاد يكون دائمًا قائد بلاتون) هي أن يوطد موقعه بالمتاريس (الخنادق) وبكل الوسائل الممكنة، وأن يعد جدولًا للرمي (تذكرة مرمى) حتى لا يقترب العدو دون أن يتكبد خسائر جسيمة، وإذا كان للمخفر إمداد مأمور بتقويته في حالة الهجوم، يجب أن تشاد المتاريس بحيث تسع جنود الإمداد (بما فيها مجموعات "الديدبانية" المنتشرة في الخارج إذا صدر لها الأمر بالانسحاب إلى خط القرقولات في حالة الهجوم الشديد).

ويتحتم على القائد أن يؤكد على رجال المخفر (القرقول) بأهمية الحصول في مدة النهار على صورة جلية من الأشياء المحيطة بهم وتعليقها بأذهانهم، حتى يسهل عليهم التعرف عليها ليلًا فلا يضلون الطريق، وقائد المخفر (القرقول) يقرر أثناء توجهه إلى الموقع، الطرق التي يكلف بحراستها والأماكن التي تستلزم وجود

ديده بانات بها، مسترشدًا في ذلك بالخريطة، ثم يعين الأطواف والديده بانات من بلاتونه (وكذا غيارات الأطواف)، ويبين الواجبات المتعددة تفصيلًا، ثم يتخذ التدابير الصحية اللازمة، أما الديده بانات فيوضعون في أماكنهم بأسرع ما يمكن، والأطواف فإنها تخرج على الفور، ويتوقف عدد الأطواف اللازمة على طبيعة الأرض، وبما أن كل طوف يتطلب غيارين اثنين فيجب ألا يزيد عدد الأطواف عما تدعو إليه الظروف.

أما واجبات أطواف المشاة فهي تفتيش الأراضي والأبنية وما إليها إلى مسافة ٢٠٠٠ ياردة أمام خط الديدبانات، لمعرفة إن كان العدو موجودًا بها أو لا، وإذا وجدت العدو تبقى قريبة منه تراقب حركاته وتبلغ عنها أولًا بأول، أما عدد مجموعات الديده بانات فيتوقف على طبيعة البلاد وارتفاع خط المراقبة، على أن هذه المجموعات تبقى مسئولة فيما بينها عن كل الأراضي الواقعة أمام مخافرها (كلٌّ إلى نقطة اتصال أرضه بأرض المخفر المجاور الكائن على يساره وعلى يمينه)، أما مجموعة الديده بانات فتتألف من ستة أفراد من الجند تحت إمرة ضابط صف (صف ضابط) (٢ في الخدمة و٤ في الراحة)، وفي العادة أن لا يعين موضع المجموعة بعيدة عن مخفرها عن ٤٠٠ ياردة، وهي مسئولة عن المحافظة على محلها ما لم يصدر لها الأمر بالانسحاب، وإذا كانت المجموعة لا ترى من قرقولها (مخفرها) فيضع قائد المخفر ديده بانًا للاتصال بينهما، وأما مجموعات الديده بانات المطلوبة للحراسة الليلية فقط فإنها لا توضع في أماكنها إلا بعد حلول الظلام.

ولتجنب إزعاج أفراد المخفر (القرقول) ليلًا من غير داعٍ، يبقى صف الضابط وأفراد كل غيار في مكان واحد بعيدين عن الغيارات الأخرى، وعن بقية القرقول (المخفر)، ويوضع دائمًا بالقرقول ديدابان لمراقبة مجموعات الديدبانية، وديدبانات الاتصال، ويبقى مستعدًّا لإنذار المخفر بالخطر (الكبسة) في أي لحظة تتطلب ذلك، أما الأطواف فتتركب بحسب الأصول من وحدة تامة يختلف عددها من ٣ إلى ٨ أفراد تحت إمرة صف ضابط، ويجب أن يكونوا ممن تدربوا على أعمال الكشافة، ولو أن من الممكن في بعض الأحيان استخدام كشاف لكل طوف نظرًا ليقظة العدو.

أما الأطواف الثابتة فقد تدعو الضرورة أيضًا لوجودها إذا أريد منها حراسة نقطة خاصة، وعلى الخصوص في مدة الليل، أو نقطة اتصال الطرق وما أشبه ذلك، حينما تكون هذه النقط محجوبة عن نظر الديده بانات، أما القرقول فيقف تحت السلاح قبل الفجر بساعة واحدة بأن يقف كل فرد في مكانه، ويبقى متيقظًا إلى أن

تبلغ الأطواف (التي ترسل إلى الخارج دائمًا حوالي ذلك الوقت) أن العدو لا يرى له حركة.

وأما غيارات النقط الخارجية فتحصل بوجه عام وقت الفجر حتى إن قوتها تضاعف في ساعة الخطر أي تكون مثليها. ويتحتم على كل الجنود الموجودين بخط النقط الخارجية أن يستحكموا بالمتاريس سواء أكانوا ديده بانات. أو في مواقع الأطواف. أو الإمداد. وأن يبقوا على استعداد في كل لحظة لمقاومة أي هجوم فجائي.

ومن العادة أن يوجد قسم من المهندسين للإشراف على توطيد الموقع الرئيسي.

الأعمال النهارية والليلية:

أعمال خط النقط الخارجية في مدة النهار تنطوي على استطلاع المسالك أي طرق الاقتراب لعدة أميال بواسطة الطيارات. والجنود الراكبة. وراكبي الدراجات. ثم المرابطة في خط المقاومة بالمشاة. والمدفعية. والمدافع الماكينة. أما في مدة الليل فتنسحب الجنود الراكبة ما عدا «نقط القوازق» (الأطواف الثابتة المؤلفة من الجنود الراكبة) والديده بانات الراكبة التي ترى ضرورة لإبقائها أمام الخط. وأما الطيارات فيصعب عليها تمييز الحركات.

وبناء على ذلك فإن كل أعمال الرصد والمقاومة تقع على عاتق المشاة الذين إما أن يبقوا في الموقع الذي كانوا يشغلونه في مدة النهار. وإما أن ينسحبوا إلى المنحدر الخلفي من التل أو المرتفع لكي يجدوا خطًا على الأفق ليلًا يصوبون إليه بنادقهم.

ثم إن إهمال مبادئ فن الحرب دائمًا ما تعقبه كارثة على وجه التقريب. وإن الوقاية هي أولى المبادئ التكتيكية. ففي المراحل الأخيرة من الحرب الفرنسية – البروسية كانت قوة فرنسية مقدارها لواء ساكنة في قصر شامبور Chateau of chambor (٩ ديسمبر سنة ١٨٧٠) وهذا القصر يقع في حديقة متسعة بالقرب من بلوا Blois ولم يتخذ الاحتياطات بإقامة نقط خارجية. فاستولى على القصر بلوك معه مشاة البروسيين.

ولقد كانت الكوارث الصغيرة التي نزلت بالجنود البريطانية في حرب أفريقيا مسببة كلها بوجه التقريب من إهمال التحذير الوارد بيانه في الكتب الرسمية. فبالرغم من تفوق البوير في خفة الحركة وسرعتها. وفي يقظتهم. فإن أول ما يتبادر إلى العقل من الاحتياطات اللازمة لاتقاء المباغتة كانت تهمل في كثير من الأحيان.

ففي تويفونتين Tweefontein (٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠١) فوجئت قوة من (اليومنري) متطوعة الفرسان، في معسكر مجرد من أسباب الوقاية، بقوة من البوير خفيفة الحركة، وأنزلت باليومنري Yeomanry خسارة جسيمة، ولم يكن في قدسية تلك الليلة التي هي ليلة الميلاد من الوقاية ما يكفي لصد عداء دوويت De Wet.

النقط الخارجية للمعركة:

عندما ينقطع القتال في مدة الليل، أو عندما تكون القوتان المتحاربتان قريبتين إحداهما من الأخرى والمعركة بينهما على وشك الوقوع، يجب أن تكون كل الجنود على أهبة العمل على الفور، فالوقاية بالنقط الخارجية بالتشكيل المعتاد تكون غير ممكنة بوجه عام، ولا يمكن الحصول عليها إلا بالأطواف التي تبقى محافظة على اتصالها بالعدو دون أن تحدث انزعاجًا لا ضرورة له، أو أن تتحرش بالعدو في قتال لا طائل تحته، ثم بالديده بانات التي توضع لحراسة الجنود الأمامية فتقوم مقام المخافر (القرقولات)، أما الجنود فتبقى على استعداد في أية لحظة لصد الهجمات بالرصاص وبالسونكيات، ثم إن الأطواف يجب عليها أن تتجنب كل الأعمال العدائية تجنبًا باتًا، إلا إذا صدر لها أمر يقضي بغير ذلك، وأن تقصر عملياتها على رصد العدو ومراقبة حركاته سرًّا.

ومع ذلك فمن الجوهري المحافظة على الاتصال بالعدو دائمًا؛ إذ إن الزحف والانسحاب أو غيرهما من الحركات المفاجئة يمهد لها، وكثيرًا ما تنفذ تحت جنح الظلام.

ففي الحرب الأهلية الأمريكية لما أضاع جيش الجنوب اتصاله بجيش الشمال، تسبب عن ذلك أن نجا جيش الشمال مع أنه كان قد تضعضع لدرجة كبيرة.

وفي أثناء معركة إيبر الثالثة (٣١ يوليو إلى ٦ نوفمبر سنة ١٩١٧) جدد الحلفاء هجومهم على جبهة تبلغ ستة أميال من زونيبك Zonnebeke إلى لانجمارك Langemarck (وهي نقطة اتصال الجيوش الفرنسية – البريطانية في فلاندرز Flanders) فهذا القتال المعروف باسم معركة برومبك Brombeek (٩ أكتوبر سنة ١٩١٧) امتاز بنجاح الأورطة الأولى من ألاي رويال نيوفوندلند في صد الهجمات المضادة، وذلك بسبب استخدامها النقط الخارجية للمعركة استخدامًا صحيحًا،

فإن الألمان الذين كانوا يتجمعون في تاوبي فارم Taube Farm بقصد القيام بهجوم مضاد أوقفتهم في أماكنهم نيران مدافع لويس والبنادق، ثم أرسلت رسالة إلى المدفعية المساعدة فأبادتهم، ثم إن قوة هاجمة أخرى أبادتها نيران مدافع لويس والبنادق قبل أن تندفع للهجوم، وقد تشكل جناح دفاعي تحت نيران ثقيلة، ثم جاءت هجمة مضادة أخرى من ذلك الجناح فأصابها ما أصاب سابقتها، وكانت خسائر النيوفولنديين في كل هذه المعركة خمسين قتيلا وأربعة عشر مفقودًا و١٣٢ جريحًا من مجموع قوتهم البالغ ٥٠٠ من كل الرتب، أما خسائر العدو فالمحتمل أنها كانت تزيد على ٨٠٠.

وبعد معركة فردركسبورج (١٣ ديسمبر سنة ١٨٦٢) تفادى جيش البوتوماك تحت قيادة بيرنسايد من الجنرال «لي» الذي كان هزم ذلك الجيش في ١٣ ديسمبر سنة ١٨٦٢، وانسحب بيرنسايد (١٥ ديسمبر سنة ١٨٦٢) بعد أن غافل "لي"، وعبر نهر البوتوماك وسار إلى مرتفعات ستافورد بكل جيشه مستترًا بعاصفة شديدة، فلو أن قائد النقط الخارجية أصدر أوامر خصوصية بمداومة أعمال الأطواف مع النشاط، ولو أن الكشافة أعطيت لهم أوامر باجتياز خطوط جيش الشمال والنفوذ منها من وقت إلى آخر مهما كانت المجازفة، لكان في الإمكان مهاجمة بيرنسايد في ظروف ليست صالحة له أثناء سيره، وكان لا بد من دفعه إلى نهر البوتوماك وإلقائه فيه.

وفي أثناء المعركة بالذات فوجئ لواء من جنود الجنوب في خطه الأمامي نفسه، وذلك بسبب إهماله إرسال طوف ليفحص غابة مثلثة الشكل كانت بارزة أمام الموقع، فكانت تحجب اللواء الكائن على اليسار الذي لم يحافظ على الاتصال به.

ففي كل وقت أثناء القتال مع جنود العدو يجب مراقبة الأراضي الواقعة إلى الأمام أو في الجنب مراقبة جيدة، وإلا فالمفاجأة قد تؤدي إلى كارثة.

الاستطلاع التكتيكي

الاستطلاع أثناء المعركة سبق الكلام عنه تحت عنوان «ما تتأثر به المعركة»، وفي غيره من الموضوعات، ونظرًا لارتباط هذين الموضوعين أحدهما بالآخر ارتباطًا وثيقًا فقد سبقت الإشارة إلى عدة نقط مختصة بالاستطلاع بوجه عام حين الكلام على الوقاية.

ولقد شاهدنا أيضًا مما مر بيانه أن الرصد أي المراقبة بالطيارات، وبالأطواف وبالديده بانات، هو أمر جوهري للوقاية، سواء في الحرب الموضعية (المواقع) أو في حرب المناورات، وأن الاستطلاع هو روح الوقاية، فيبقى لدينا والحالة هذه ضربان من ضروب الاستطلاع لم نتكلم عنهما وهما:

استطلاع موقع بقصد مهاجمته، واستطلاع موقع غير محتل بقصد احتلاله لأغراض الدفاع.

الاستطلاع للمهاجمة:

الاستطلاع هو المهمة الدائمة لكل القادة الموجودة بالخط في حرب المواقع (الموضعية)، وهو يجري أي ينفذ بالأطواف، وأقسام الإغارة، والغزو التي تأتي بالمعلومات المتممة للصور الفوتوغرافية والتقارير التي تأتي بها قوة الطيران، ليمكّن القائد من الوصول إلى قرار باتّ.

أما في حرب المناورات فإن الاستطلاع بالطيارات له نفس الأهمية التي له في حرب المواقع (الموضعية) والذي يتممه، هو أعمال أطواف الحرس الأمامي، ولكن الذي يتممه بصفة رئيسية إنما هو عمل ضباط من ضباط المخابرات يُنتخبون خصيصًا لذلك، ويعملون إما مع المقدمة وإما بالاتصال مستقلين عنها، فهؤلاء الضباط يكون لديهم من المعلومات ما قد يكون إفشاؤه لقائد أطواف المقدمة أمرًا غير ممكن. ثم إن ما تلقوه من التدريب الخاص يزيد تقريراتهم قيمة على قيمتها.

أما النقط الواجب التأكد منها فيما يختص بموقع العدو فهي:

١- امتداد الموقع المحتل.

٢- النقط الضعيفة في الموقع.

٣- النقط التي بالاستيلاء عليها يسهل ضرب الموقع بالنيران الجانبية أو بالنيران العكسية (أي الآتية من الخلف)، وبذا تجعل بقية الموقع غير صالح للبقاء فيه.

٤- أفضل خط للهجوم.

٥- النقط المعاونة التي تصلح لإطلاق نيران ساترة، أو متجمعة، أو جانبية، أو قاطعة.

فمن الواجب أن يكون في الإمكان استجماع هذه المعلومات دون إزعاج العدو، أو إشعاره بالهجوم الوشيك الحصول.

أما المعلومات الخاصة بنقط غير هذه ففي الإمكان الحصول عليها بالقتال، ثم إن الاستطلاع بالغزوات، أي الإغارة، هو من الأمور العادية في الحرب الموضعية.

وبهذه الوسائل يمكن الحصول على معلومات إضافية فيما يختص بالآتي:

٦- أسماء الآليات المرابطة في الموقع بالتعرف عليها من النمر المعدنية، والشارات، والأزرار، وما إليها.

٧- ما إذا كانت الاستعدادات جارية للقيام بهجوم (وهذه تكتشف بالسمع والنظر)، وبتسليط نيران المدافع وما إلى ذلك (وذلك باختبار مستودعات القنابل وما أشبه).

٨- مواقع المدافع الرشاشة (سواء كانت من الأماكن المبنية المعروفة باسم «صندوق الحبوب» أو غيرها) والهاونات وما إليها.

٩- حالة الأراضي المتوسطة أي الواقعة بين الفريقين، وعراقيل الأسلاك.

١٠- تأثير نيران الدافع المطلوقة حديثًا.

١١- قوة العدو المعنوية.

الاستطلاع بقصد الاحتلال:

في استطلاع موقع بقصد احتلاله لتلقي هجوم فيه يجب مراعاة ما يأتي:

١- أفضل خط لإقامة سلسلة من النقط التكتيكية التي يعاون بعضها البعض لترابط فيها جنود المشاة.

٢- أفضل الوسائل لوقاية الأجنحة.

٣- أفضل موقع للمدفعية ومدافع الماكينة.

٤- المفتاح التكتيكي للموقع.

٥- الخط الذي ينتظر أن يأتي منه هجوم.

٦- أفضل خط للهجوم المضاد.

٧- المواقع التي تلزم للإمداد وللاحتياط.

يضاف إلى ذلك في حرب المناورات ما يأتي:

٨- أفضل موقع للفرسان.

٩- المواقع الكائنة في الخلف التي تُختار بحسب الظروف، والتي يمكن منها استرجاع الخط الأمامي، بعد إعادة التنظيم، وأحسن خط للانسحاب إليها.

ثم يطلب فوق ذلك معلومات إضافية في حرب المواقع فيما يختص بأفضل خطوط المسالك والطرق التي تلزم لبقاء المواصلات بين الموقع القديم والموقع الجديد، وفيما يختص بالوقت المطلوب لتوطيد الموقع الجديد لمقابلة الهجوم (ومن ذلك قلب الدراوي الخلفية إلى دراوي أمامية).

العمليات الليلية

توجد أسباب عدة لتفضيل القيام ببعض العمليات الحربية ليلًا عنها نهارًا، فالتكتم هو الغاية التي ترمي إليها كل الحركات عادة. ثم إن ازدياد قوة الرصد أي المراقبة الناشئ عن ظهور سلاح الطيران قد تسبب عنه ازدياد ضرورة إجراء بعض الحركات أثناء الظلام. ففي كل العمليات الليلية (إلا مراحل السير التي تجرى ليلًا لاجتناب حرارة الشمس) تكون المفاجأة هي الغرض الرئيسي، ولذا فتكتم الاستعداد أمر جوهري، ولا بد من اتخاذ التدابير للحيلولة دون اكتشاف الحركات التي في النية إجراؤها ومنع تسرب المعلومات بسبب عدم تبصر المرءوسين. فالأوامر لا تبلغ قبل أوانها إلا للضباط المطلوب منهم العمل فقط. أما الجنود فلا يبلغ إليهم شيء أكثر مما تقضي به الضرورة الماسة، إلى أن يصلوا إلى موقع التجمع، حتى إنه قد يكون من المستصوب، لتضليل جواسيس العدو، أن تذاع بين الجنود أوامر لا أصل لها من الحقيقة. فتكتّم النية وتكتّم الاستعداد أمران ضروريان، ولقد روي عن فردريك الأكبر أنه قال:

«لو داخلني الظن بأن ردائي يعلم بخططي لحرقته».

السير ليلًا:

السير ليلًا هو عبارة عن تحرك القولات بتشكيل السير، وقد يكون الغرض منه مجرد اجتناب حرارة النهار، ولكنه أيضًا أحد الوسائل الهامة التي هي غاية الاستراتيجي الرئيسية – وذلك لتجاوز جناح بموقعه، أو لسبقه إلى احتلال مكان ما، وإما لمغافلته لسحب قوة سرًّا كان يظهر أنها في موقف ملائم لخططه (أي خطط العدو).

وقد تحشد القوات أيضًا في خفاء وتكتّم للبت في مصير معركة وشيكة النشوب، أو للبتّ في معركة بدأت في ضوء النهار.

على أن مراحل السير الطويلة التي من هذا القبيل قلّ أن تنتهي إلى هجوم، وحينما تجرى تحركات أقصر منها ترمي إلى نفس الغرض السالف الذكر فإن

«السير» يقال له «تقدمًا» أو «اقتحامًا». وهناك أمور جوهرية للنجاح هي:

أولًا – **الاتجاه** نحو الغرض يجب المحافظة عليه دائمًا. ولذلك فلا بد من استطلاع الطريق في بادئ الأمر، وأن يضع عليه الحرس الأمامي علامات أثناء السير، فإذا كان في الطريق تشعبات معقدة مثل انحراف عن الطريق الواضح وجب الحصول على أدلاء محليين. أما في اجتياز الأراضي الفضاء التي لا طُرُق فيها فإن الاتجاه العام يمكن المحافظة عليه بالاستعانة بالنجوم، وإن لم تظهر النجوم فبالبوصلة (راجع الفصل الرابع عشر من كتاب قراءة الخرائط).

ثانيًا- **الوقاية** من الهجمات الفجائية ينبغي الحصول عليها بالحرس الأمامي والجانبي والخلفي، على أن الجنود الراكبة لا تستخدم في هذه الخدمة (إلا مع القولات المؤلفة من الجنود الراكبة فقط).

والحرس الأمامي يكون صغيرًا، ويتألف عادة من أطواف تبقى في نطاق ١٠٠ ياردة من القول، تتبعها قطارات اتصال، ثم بقية المقدمة بتشكيل منضم.

أما الحرس الخلفي فيكون أصغر ما في حالة السير نهارًا وأقرب من القوة. وأما الأجناب فمن المعتاد حمايتها بأقسام صغيرة، ترابط في مواقع تكتيكية، يضعها الحرس الأمامي، ويسحبها الحرس الخلفي.

ثالثًا – لا بد من المحافظة على **التكتم**، فلا تصدر الأوامر إلا في آخر لحظة ممكنة. أما التجهيزات فتجرى دون مباهاة أو تفاخر، والسير يجب أن يكون في سكون تام ولا توقد فيه أنوار من أي نوع كان، ثم يجب العناية بإخماد الأصوات وتغطيتها أو منعها. فالخيول التي من عادتها الصهيل لا بد من تركها مع قافلة النقل، أما في السير الذي يقصد به الإفلات من العدو ومغافلته، فإن النقط الخارجية تبقى في أماكنها حتى يضيء النهار ثم تنسحب سرًّا للحاق بالقول في أول فرصة، مع إبقاء نيران المعسكر أي المضارب متقدة كما هي.

رابعًا – **الاتصال** – يجب على كل قائد أن يكون له محل ثابت في القول، وأن يحافظ على بقائه فيه، ثم يلحق ضابط من كل وحدة بمركز الرئاسة حتى يتيسر نقل التعليمات إلى هؤلاء القادة في كل وقت، ويجب أن تنضم الوحدات على بعضها البعض، فتنقص المسافات التي بينها أو تنعدم، ثم يجب المحافظة على الاتصال بين الوحدات وأقسامها الثانوية. أما الخطوة فيجب أن تكون واحدة النسق، على أنه لا

ينتظر قطع أكثر من ميلين اثنين في الساعة الواحدة من الليالي الظلماء بما فيها الوقفات. أما مواعيد الوقوف ومدة كل وقفة فلا بد من الاتفاق عليها قبل البدء في السير ثم إن الوحدات تسترجع المسافات الفاقدة بينها قبل الوقوف. وبعد أن يجتاز القول عائقًا أو يعبره يجب عليه أن يتقدم مسافة طوله ثم يقف إلى أن يصله خبر بأن أجزاءه قد انضم بعضها إلى البعض. ويجب تعيين ضباط من أركان الحرب للإشراف على هذه المسائل. وعلاوة على هذه المبادئ العامة توجد بعض قواعد من الواجب أن تصير بديهية لدى من تخصهم. وهي: يجب أن يسير ضابط في مؤخرة كل وحدة.

يجب إفهام الجنود من كل الرتب بما يفعلونه في حالة (الكبسة) أو الهجوم.

لا تفتح النيران إلا بأوامر.

تملأ خزنات البنادق. ولكن لا يوضع رصاص في خزنة الماسورة.

يراعى الصمت التام. ويمنع التدخين والأنوار.

للجنود أن ترقد في أماكنها أثناء الوقوف. ولكن لا يسمح لهم بترك الصفوف.

الزحف ليلًا:

الزحف ليلًا هو عبارة عن تحرك جنود مفتوحة للتقدم نحو موقع العدو بقصد اقتحامه في الفجر. وهذا الزحف قد يكون تمهيدًا للاشتباك في القتال. أو لمواصلة قتال شرع فيه من قبل. وقد زادت الآمال في النصر فيه.

ففي الحالة الأولى يكون الزحف هو النتيجة التي ينتهي إليها السير ليلًا. وفي كلتا الحالتين يعقبه هجوم في الفجر. والمفاجأة هي الغرض الرئيسي. حتى إذا كان الزحف قد جرى بقصد اكتساب أرض يصعب اجتيازها في ضوء النهار لتجديد القتال منها. كما يحصل كثيرًا أثناء حملة حربية من حرب المناورات. بينما يكون هذا الزحف أمرًا عاديًّا في حرب المواقع (الموضعية).

وعلى كل حال فإن الأرض التي تكتسب يجب توطيدها لساعتها؛ إذ قد يتوقع دائمًا حصول هجوم مضاد في الفجر أو قبله. وإذا كانت الأرض مما يصعب فيها إنشاء المتاريس فلا بد من أن تحمل الجنود المواد والأدوات اللازمة لها.

والزحف المتوالي بهذه الكيفية قد يمكّن الجنود من الوصول إلى مكان تثب منه إلى الاقتحام. ومثل هذا الزحف قد يحصل في ليالٍ متوالية. وكلما اكتسبت أراضي

تُحَصّن في الحال لمقابلة الهجمات المضادة، وإذا لم تكن الجنود قد سبق فتحها للزحف يحتاج الأمر إلى انتخاب موقع للتجمع وموقع آخر للفتح، على أن التجمع والفتح قد يحصلان أحيانًا في موقع واحد.

أما الفتح فيكون، بحسب القاعدة، في هيئة قولات قليلة العمق، وبجبهة ضيقة وبمسافات الفتح، حتى يحصل الفتح النهائي للقولات المتقدمة فتتشكل إلى جنود أمامية للهجوم من غير تأخير أو إبطاء حينما تأتي لحظة الاقتحام، وعند وصول هذه القولات إلى الغرض المقصود بالزحف تنفتح على خط ثم تستحكم كل وحدة بالمتاريس في الموقع الجديد.

وبما أن من الجوهري للنجاح المحافظة على **الاتجاه**، وبقاء **الاتصال**، فلا بد في بادئ الأمر من فحص الأراضي التي سيجرى عليها الزحف، وملاحظة ما بها من المعالم والعلامات، ولا بد من استبقاء التماس بين الجنود بواسطة الأحبال أو بأية وسيلة أخرى.

ولا بد أيضًا من العناية في توطيد الموقع بأن تكون المتاريس في حذاء واحد متجهًا نحو العدو، وأن تنتخب أماكنها بحيث تكون محمية من النيران الجانبية.

الاقتحام ليلًا:

الاقتحام ليلًا تقوم به جنود سبق فتحها إلى تشكيل الهجوم.

ومن المبادئ التكتيكية المقررة ما يأتي:

«حينما يحتمل أن تكون ظروف قتال النيران موجبة للرضى، قد يكون من الأفضل الرضاء بالخسائر التي لا مفر منها الناشئة عن النضال للحصول على التفوق في النيران، بدلًا من المجازفة المشكوك في نتائجها وهي القيام بالاقتحام ليلًا».

فالظروف المارّ ذكرها كثيرًا ما تكون غير موجبة للرضا في حرب المواقع نظرًا لقوة المواقع المحصنة، ودقة نيران المدفعية المتزايدة وكثافتها حتى إن الضرورة تقضي بتفضيل القيام بالاقتحام في ساعات الظلام عن القيام به في ساعات النهار، ففي معركة السوم الأولى (١ – ١٧ يوليو سنة ١٩١٦) قامت سبعة فرق بالزحف ليلًا على جبهة اتساعها أربعة أميال، فبدأت الجنود بالحركة في ساعات مبكرة من يوم ١٤ يوليو وقطعت مسافة نحو ١٤٠٠ ياردة، ثم اصطفت في الظلام في سفح رابية تبعد عن خنادق العدو بمسافة تتراوح بين ٣٠٠ و٥٠٠ ياردة، وكان زحفها مستورًا بأطواف

قوية، وكفلت صحة فتحها بأشرطة بيضاء شدت إلى الأرض قبل ذلك في ليلة ١٣ – ١٤ يوليو. ومضت الحركة بأجمعها في خفاء دون أن تفقد الجنود تماسّها مطلقًا. ووقع الاقتحام في الساعة الثالثة وخمسة وعشرين دقيقة صباحًا حينما كان الضوء يكفي لتمييز العدو من الصديق على مرمى قريب. وكان يسبق الجنود حاجز مؤثر من نيران المدفعية على طول الجبهة المهاجمة، فاكتسحوا الخط الأول من خنادق العدو ثم وطدوا موقعهم في الدفاعات التي وراءه.

وفي ليلة ١٠ – ١١ فبراير سنة ١٩١٧ هجمت الفرقة الثانية والثلاثون واستولت على ١٥٠٠ ياردة من خط الخنادق في سفح هيل سير Serre Hill فتشكلت الفرقة بعد حلول الظلام وابتدأ الهجوم في منتصف الساعة التاسعة مساء واستولت على الغرض، وفي الساعة الخامسة صباحًا صدّت هجومًا مضادًّا صادق العزيمة.

وقد كان الفضل في استيلاء الجنود الكندية على تل قيمي Vimmy Ridge راجعًا إلى اقتحام قاموا به قبل يوم ٩ أبريل سنة ١٩١٧، والفضل في انتظار البريطانيين في مسين Messines (٧ يونيو سنة ١٩١٧) يرجع إلى اقتحام قاموا به في الساعة الثالثة وعشرة دقائق صباحًا.

ففي الحملة الأخيرة كان موقع وتشايت – مسين Wylchael - Messines كما قال عنه السير د. هايج في رسائله: «من أهم حصون الألمان في الجبهة الغربية؛ إذ كان يشتمل على دفاعات أمامية ذات نظام من الخنادق والنقط القوية المحاطة بالأسلاك، معقد بكيفية تدل على المهارة والدقة، فكان نطاقًا دفاعيًا يزيد عمقه على ميل، وكان الألمان لم يتركوا أي احتياط من غير أن يتخذوه لجعل هذا الموقع من أمنع ما يكون».

وقد أشعلت في الساعة الثالثة وعشرة دقائق تسعة عشر لغمًا عميقًا كانت تحت هذا الموقع، فكان إطلاقها إشارة للاقتحام الذي كلل بالنجاح إذ نفذ تحت حماية نيران غزيرة من المدفعية، ولما حل ليل ٧ يونيو كان الموقع بأكمله قد أعيد الاستيلاء عليه بعد أن لحقت العدو خسائر جسيمة وأخذ منه ٧٠٠٠ أسير مقابل خسائر طفيفة نسبيًّا أصابت الجيش الثاني تحت قيادة الجنرال السير هـ ا. بلومر، وهو الجيش الذي قام بالاقتحام. وفي أثناء التعرض الألماني في سنة ١٩١٨ قامت ثلاثة لواءات بهجوم مضاد ليلًا على قرية فيلر بريتونو Vellers Brétonneux، فوقع

الهجوم في الساعة العاشرة مساء ليلة ٢٤/٢٥ أبريل، ولما طلع النهار كانت القرية محاطة، وما حل وقت العصر إلا وكانت استرجعت تمامًا وأسر بها ما ينوف على ١٠٠٠ أسير.

ومن ضمن العمليات التعرضية التي سبقت زحف الحلفاء العام في يوليو سنة ١٩١٨ هجوم ليلي صادف نجاحًا باهرًا قامت به فرقة الأستراليين الثانية على جبهة تبلغ نحو ميلين جنوبي مورلانكور Morlancourt (١٠ يونيو سنة ١٩١٨). وفي الساعة الرابعة وخمسة وثلاثين دقيقة من صباح يوم ١٢ مايو سنة ١٨٦٤ اقتحم فيلق من فيالق الجنرال يوليزس جرانت Ulysses Grant تحت قيادة هانكوك Hancock «الزاوية الخارجة» التي هي جزء من استحكامات الجنرال «روبرت لي» في برية ولاية فرجينيا (سبوتسلفانيا)، إذ تجمع لديه ٢٠.٠٠٠ جندي وزحفت زحفًا ليليًّا متخذة اتجاهها من البوصلة في ليلة اشتد ظلامها وعصفت فيها الرياح بدرجة فوق المعتاد، وكان قسم من خط الزحف كثيف الغابات والأدغال.

فصدر الأمر بأن يكون الاقتحام في الساعة الرابعة صباحًا، ولكن حل بالجو ضباب كثيف تسبب عنه أن تأخرت الإشارة حتى الساعة الرابعة وخمسة وثلاثين دقيقة، ولما صدر الأمر تعذر على إحدى الفرق النفوذ من خلال غابة ومستنقع، ولكنها تمكنت من الاستمرار مع الفرق الأخرى ووصلت إلى الموانع المصنوعة من الأشجار معها في وقت واحد، وأسفر الاقتحام عن ٤٠٠٠ أسير وإتلاف ما ينوف على ٢٠٠٠ بالسونكيات، وكانت جملة خسائر المهاجمين نحو ٢٠٠٠.

فهذه المناورة كانت عبارة عن سير ليلي بواسطة البوصلة، قام به فيلق بأكمله حتى وصل إلى موقع للتجمع على مسافة ١٢٠٠ ياردة من نقط العدو الخارجية، ثم زَحْفٌ حصل قبل الفجر، ثم اقتحام نهائي قام به ٢٠.٠٠٠ جندي، أما الزاوية الخارجة التي حصل الاستيلاء عليها فقد استردتها جنود الجنوب بهجمة مضادة حاسمة مكّن منها وجود خط مستحكم ثان وراء الزاوية الخارجة. (راجع معركة سبوتسلفانيا).

ونظرًا لما في الاقتحامات الليلية من المجازفة بوقوع الفوضى، والتضييق على حركات الهجوم، فإن هذه الاقتحامات ليست لها الآن تلك الأفضلية النسبية التي كانت لها على الهجمات التي تقع في ضوء النهار، قبل أن يبتكر الدخان، ومن ثم

فسنقتصر على الهجمات التي يكون غرضها محدودًا جدًّا كما في حالة الغزو والإغارة، أو محاولة الاستيلاء على أماكن تكتيكية خاصة.

ولكن باستخدام الدخان لا يستطاع سوى إحراز عنصرين اثنين من عناصر المفاجأة هما إخفاء الاتجاه، وثقل الضربة، على أن ظهور الدخان ينذر العدو فينتظر الهجوم وبذا يفشي وقت وقوع الضربة، فمن المحتمل أن يزداد استخدام الدخان في الحروب الحديثة، أما الاقتحامات الليلية فإن لم تكن ضد عدو رديء التدريب أو غير نظامي، فإن استخدامها بوجه عام سيكون لكسب نقط تكتيكية، ولطرد جنود أمامية ونقط خارجية، وللاستيلاء على نقط أمامية منفصلة، ولمهاجمة قوة منفصلة تحرس جسرًا أو مضيقًا، وفي تنفيذ الأعمال التي تكون من هذا القبيل، ولكي تكتسب مزايا للعمليات المقبلة في ضوء النهار، وفي الاقتحامات التي تكون أكثر أهمية مما مر بيانه يندر أن تستخدم قوة أكبر من لواء ضد غرض واحد، ولو أن الهجوم قد يقع على سلسلة من الأغراض في آن واحد على جبهة متسعة ويكلل بالنجاح.

فقد قام لواءان من جنود الشمال باقتحام ليلي على رأس الجسر القائم في محطة راباهانوك Rappahanock (في ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٣) الخاص بجنود الجنوب (رأس الجسر عبارة عن استحكام يحمي الجسر من نيران مدفعية العدو)، فانتهى الأمر بأن صُدّ أحد هذين اللواءين ولكن الآخر نَفَذَ إلى موقع جنود الجنوب وقطع خطَّ الرجعة عليهم، وزادت خسائر المدافعين على ١٥٠٠ بين أسير وقتيل، وأخلت بقيتهم القليلة رأس الجسر.

وفي الحرب الأفغانية الثانية سار الجنرال السير ف. روبرتس حتى وصل إلى المضائق المرتفعة الموصلة من نهر الكورام Kurram إلى داخلية بلاد الأفغان ومعه قول مكون من ٣٢٠٠ من كل الرتب و١٣ مدفعًا، فتصدت له جنود الأمير البالغ عددها نحو ١٨٠٠٠ ومعها ١١ مدفعًا في بايوار كوتال Peiwar kotal (٢ ديسمبر سنة ١٨٧٨)، فأرسل السير روبرتس القسم الأعظم من قوته لاحتلال المرتفعات الواقعة على جناح موقع الأفغان وهجم في ضوء النهار، فصادف كل من السير الليلي والهجوم الذي أعقبه نجاحًا تامًّا وانهزم العدو بخسائر جسيمة وأخذت كل مدافعه، أما خسائر البريطانيين فكانت ٢٠ قتيلًا و ٧٨ جريحًا.

وقد كانت معركة «التل الكبير» مثلًا آخر للسير الليلي بتشكيل القتال لقوة بلغ عددها ١١٠٠٠ من المشاة و٢٠٠٠ من الفرسان و٦٠ مدفعًا لمهاجمة موقع مستحكم في الفجر، وكان الغرض مباغتة العدو واجتياز المنطقة الخطرة من غير أن تتعرض الجنود المقتحمة لقال النيران مدة طويلة، فكانت النتيجة نصرًا قرر مصير الحملة المصرية وأضاف وادي النيل إلى الإمبراطورية البريطانية.

زحفت قوة السير جارنت وولزلي في أربعة قولات في حذاء واحد، وكانت ميسرتها مستقرة على السكة الحديدية، فتم السير مع النجاح ووصلت الجنود إلى موقع يبعد عن الغرض بمسافة تتراوح بين ٣٠٠ و٩٠٠ ياردة، ووقع الاقتحام عند انتهاء السير.

وقد قاتل الجيش المصري بقيادة عرابي باشا بثبات وشدة، وكان يجدد القتال المرة بعد الأخرى بعد التقهقر داخل نطاق متاريسه، على أن الالتفاف تم حول جناحه، فحصل الاستيلاء على الموقع بأجمعه، ولم تزد خسائر البريطانيين على ٤٥٩ من كل الرتب، وخسر المصريون ما ينوف على ٢٥٠٠ قتيل وجريح، وتشتتت وأُسِرَت الجنود الباقية البالغ عددها ٢٣٠٠٠، فزحف في ضوء النهار، واقتحام موقع قوي بهذه الدرجة ما كان ليتم بمثل هذا الثمن القليل من الجنود المهاجمة.

وقد وقع مثالان في حرب جنوب أفريقيا للهجوم الليلي الذي لم يلق نجاحًا، فقد حاول الميجور جنرال جاتاكر Gatacre أن يقوم بسير ليلي يعقبه بهجوم ليلي على موقع البوير في ستورمبرج Stormberg (١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٩) على أن أدلاءه أضلّوه في أراضٍ مجهولة ففاجأه البوير واضطر إلى الرجوع بعد أن تكبد خسائر بلغت ما ينوف على ٧٠٠ ضابط وجندي، وفي اليوم التالي هاجم اللورد مليون Melhuen. موقع كروجي Cronje بين نهر المودر Modder الأعلى وطريق كمبرلي.

وفي أثناء هجوم ليلي على تل ماجرزفونتين Magersfontein (في ١١ ديسمبر سنة ١٨٩٩) تعرض لواء الهايلند لنيران ثقيلة حينما كان لا يزال في تشكيل التجمع، فخسر قائده (ا.ح. ووشوب) و٧٥٠ ضابطًا وجنديًا، ومع ذلك ففي المراحل الأخيرة من حرب جنوب أفريقيا استخدم السير ليلا المتبوع بالإغارة بنجاح تام، وعلى الخصوص في الترنسفال الشرقية في نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٠١.

فما لم تكن الجنود المقتحمة قد سبق لها اتخاذ موقع، فلا بد لها من انتخاب

موقع للتجمع وآخر للفتح، وأن تسبق الزحف في أوائل مراحله خطوط من الكشافة أمامًا وفي الأجناب تكون في حدود ١٠٠ ياردة من الجنود القادمة وراءها.

وعندما يصل هؤلاء الكشافة المتقدمون إلى نقطة الوثب (التي سيبدأ منها الاقتحام) ينتظرون وصول القوة المقتحمة. ويجب إرشادهم إلى تحديد الأرض للوحدات المختلفة. وبهذه الكيفية يستطيع كشاف من كل بلاتون أمامي أن يكون هو دليلًا على الجنب الداخلي الذي يستقر عليه بلاتونه فيتأكد بذلك اتجاه الخط بأجمعه.

أما الجنود فإنها تزحف عادة أثناء المراحل الأولى وهي مشكلة قولات قليلة العمق على جبهات ضيقة بحيث تكون على مسافات الفتح. وتستمر بهذا التشكيل إلى أن تصل إلى خط الكشافة الواقفين. ونظرًا لضرورة الوقوف مرات متعددة لتصحيح المسافات وما أشبه ذلك، وللصعوبات التي تلازم التحركات ليلا بالتشكيلات المفتوحة، لا يصح الاعتماد على معدل للسير أكثر من ميل واحد في الساعة الواحدة. وحينما تتعدد الأغراض المقصودة، يحتاج الحال إلى سلسلة، أي عدة من المواقع للتجمع وللفتح تقابل تلك الأغراض، ويجب الحذر من تلاقي القوات الزاحفة المختلفة في نقطة واحدة في نهاية زحفها.

ونظرًا لصعوبة تعرف الجنود بعضها على بعض فمن العادة أن تضع على ملابسها شارات أو علامات تتميز بها الجنود المشتركة في القتال، ثم يصطلح على كلمة سرية (سر الليل) تلقن للجنود من كل الرتب. ويلبس القائد ورجال أركان الحرب علامات يسهل تمييزها. وإذا قوبلت أطواف العدو فمن الجوهري إسكاتها وإلزامها الصمت. وإذا قوبل أي شخص ليس له علامة تميزه وكان يجهل كلمة سر الليل فإنه يعامل بنفس هذه الطريقة.

ولا بد أيضًا من اتخاذ الحيطة لخطر إيقاف الاقتحام بسبب وجود موانع لم تكن منتظرة، ولذا فمن اللازم وجود جنود من المهندسين أو بلطجية المشاة (البلطجية – جنود تتقدم المشاة تحمل عادة أدوات القطع والحفر) لإزالة الموانع. وإذا فتح العدو النيران فمن الجلي أن يكون كل أمل في المفاجأة قد زال. ولذا يتحتم على الجنود أن تستمر في الضغط بشدة مهما كلفهم ذلك؛ لأنهم إذا زحفوا بما في طاقتهم من السرعة يبقى أمامهم الأمل في أن يحرزوا غرضهم. في حين أنهم لو وقفوا أي فترة

فإن وقوفهم يزيد مقاومة العدو قوة. وإذا انسحبوا انتهى انسحابهم بكارثة عظيمة تكاد تكون مؤكدة.

ولكيما يراعى التكتم فمن المعتاد أن لا يباح لأحد بتفصيلات الاقتحام سوى كبار القواد المطلوب منهم العمل إلى حين الوصول إلى موقع التجمع، على أنه قبل مبارحة هذا الموقع يجب إفهام كل الجنود من كل الرتب بالغرض بصفة عامة، وبالنصيب الخاص بالوحدة، وبالتشكيل الذي يتخذ في موقع الفتح، وعلاوة على هذه المعلومات وعلى معرفة المبادئ التكتيكية العامة التي تنطوي عليها، فهناك قواعد ثابتة يجب أن تكون معلومة بالبداهة لدى الجنود من كل الرتب وهي:

يجب ألا تفتح النيران دون صدور الأوامر.

خزنات الرصاص الملحقة بالبنادق يجب أن تكون ملآنة ولكن لا يوضع رصاص بخزنة الماسورة.

لا يستعمل سوى السونكي حتى يضيء النهار.

يجب مراعاة الصمت العام إلى أن تعطى الإشارة بالاقتحام.

يمنع التدخين وإيقاد الأنوار.

إذا صودفت موانع وعراقيل يرقد كل فرد في مكانه إلى أن تزال الموانع.

إذا فتح العدو النيران يتحتم على الجنود من كل الرتب أن يواصلوا الضغط في الحال بما فيهم من نشاط وعزيمة فيتغلبوا على العدو بالسونكي.

القتال في الأراضي الضيقة

للأراضي الضيقة تأثير مشاهد في التكتيكات نظرًا لما تحتمه من تحديد دائرة النظر ودائرة التحركات.

فالغابات، والآجام، والأدغال، والجبال، والأودية، والأنهار ومجاري المياه، كل هذه موانع طبيعية، في حين أن الزراعة تزيد الغابات والنبات، والأسيجة والحواجز والمحصولات الزراعية القائمة على سوقها، ومنازل الزراع، والقرى والمدن، والطرق الغائصة المنخفضة عن سطح الأراضي المجاورة لها صعوبة على صعوبتها. ثم تأتي الحضارة بما لها من شبك السكك الحديدية، وقنوات المياه، وسدودها وجسورها، فتزيد الصعوبات الطبيعية صعوبات أخرى، وتبقى عوائق الحركات مستديمة بدرجة تختلف كثرة وقلة، إلا في البلاد الأوروبية الإقليم حيث ينزل الصقيع والثلج فيجعلان الحركة ممكنة في فصل الشتاء فوق أعمق الأنهار أو المستنقعات، وفوق الطرق والدروب التي يكاد يكون السير فوقها في فصل الصيف أمرًا مستحيلًا. ثم إن احتجاب النظر يكون أكثر حينما تكون الأشجار والأعشاب مورقة عما يكون حينما تكون أوراقها قد سقطت.

وإذا وازنّا بين مزايا وعيوب القتال في الأراضي الضيقة، لظهر لنا أن الرجحان في صالح الهجوم على الدفاع.

فالقوة الهاجمة تستطيع عادة أن تحصل على ما يسترها في المراحل الأولى من القتال، وبهذه الوسيلة يمكن تجنب الخسائر لحين الاقتراب من الغرض، في حين أن احتجاب حركتها وأوضاعها يمكّنها بوجه عام من مفاجأة الدفاع من حيث الاتجاه وثقل الضربة المنوية، فإن الجنود التي تقاتل في الأراضي الضيقة كثيرًا ما لا تستطيع رؤية ما يدور حولها فينقص لديها «الشعور بالطمأنينة» متى علمت أن أحد أجنحتها قد يهاجَم بنجاح دون سابق إنذار، وهذا في صالح الهجوم أكثر مما هو في صالح الدفاع، بما أن الهجوم المضاد الذي هو روح العمليات الدفاعية يتطلب أن يكون التنظيم الذي يسبقه تنظيمًا فعالًا من كل الوجوه.

الحروب الهمجية:

في الحروب الهمجية كثيرًا ما تزداد الصعوبات التي تلازم القتال في الأراضي الضيقة بسبب عدم التعادل العددي من جانب الجنود المتمدينة، والشجاعة الناشئة عن التعصب الديني لدى الهمجيين، ولذا فالنظام (الضبط والربط)، والثقة بالنفس، واليقظة، وأصالة الرأي في تطبيق مبادئ فن الحرب، كل هذه الصفات مطلوبة للتغلب على تلك الصعوبات الإضافية، فصدق العزيمة في التعرض استراتيجيًّا وتكتيكيًّا هو دائمًا أفضل طريقة لإدارة العمليات في الحروب الهمجية، أما من حيث الوقاية، فلا بد من اليقظة والحذر بدرجة أكثر مما في أي ضرب من ضروب الحرب، ففي أيساندلوانا Isandhlwana (٢٢ يناير سنة ١٨٧٩) فوجئ المعسكر البريطاني في سفح تل أيسانذلوانا من قبل جيش للزولو Zulu يبلغ عدده ١٠.٠٠٠ مقاتل، وأبيدت الحامية بأجمعها بوجه التقريب، وعلى الرغم من ذلك ففي نفس ذلك اليوم صد ١٢٠ من الجند من كل الرتب (بينهم ٤٠ مريضًا من ضمن هذا العدد) الهجمات المتكررة التي قام بها ٤٠٠٠ من الزولو في روركس دريفت Rorkės Drift.

وفي العمليات التي أعقبت سقوط الخرطوم فوجئ جيش للصحراء تحت قيادة الماجور – جنرال السيرج. ماكنيل في أدغال كثيفة حينما كان ينشئ له زريبة في طوفرك Tofrik (٢٢ مارس سنة ١٨٨٥)؛ ولكن بعد قتال طاحن استمر حوالي عشرين دقيقة ارتدت عربان المهدوية بخسائر تنوف على ١٠٠٠ قتيل.

وفي العمليات التي جرت في مصر العليا ضد غزاة المهدوية أدت الحركات التعرضية الصادقة العزيمة استراتيجيًّا وتكتيكيًّا إلى معركة توشكى Toski (٣ أغسطس سنة ١٨٨٩) التي أسفرت عن هزيمة الغزاة وإبادتهم عن آخرهم، مقابل خسائر طفيفة أصابت القوة المصرية – الإنجليزية التي كانت تحت قيادة الجنرال السير ف. و جرنفيل.

وفي أوائل العصر المسيحي استدرجت ثلاثة فرق (ليجونات) رومانية جيدة النظام إلى قلاع غابة تويتوبرجر والد Teutoberger Wald (سنة ميلادية) وهناك هاجمها الشيروسكي Cherusci، وهي قبيلة سكسونية تحت قيادة ملكهم أرمنيوس، فأبادوا الرومانيين، وهذه الهزيمة التي لحقت كونتليوس فاروس Quintilius Varus

عدها السير إدوارد كريزي ضمن «معارك العالم الحاسمة الخمسة عشر».

فالقتال في الأراضي الضيقة ضد القبائل الهمجية التي تختلف هجميتها كثرة وقلة، كثيرًا ما يكون من نصيب الجنود البريطانية في شرقي أفريقيا وغربها، في حين أن حدود الهند تتطلب دفاعًا تقوم به التجريدات ضد رجال القبائل في الجهات ذات التلال الجبلية.

وفي قوانين «خدمة الميدان» (جزء ثاني) سنة ١٩٢١، روعيت العناية بذكر خصائص الأجناس الهمجية على اختلافها، التي يخشى على النقط الخارجية للإمبراطورية البريطانية من هجماتها.

الحروب المتمدينة:

التاريخ الحربي لأوروبا وأمريكا طافح بسير وروايات عن القتال الطاحن الذي وقع في الأراضي الضيقة، ولقد كانت الغابات والقرى في كل عصر وجيل، تلعب أدوارًا هامة في الحروب، فهي مغناطيس يجتذب الجنود الذين يقومون بعمليات حربية بجوارها؛ لأن سهولة رؤيتها بأسمائها على الخرائط جعلتها مستحسنة كأغراض يوجه إليها الهجوم أو كحدود لمنطقة الدفاع، وفي كل العمليات كانت الجنود تنجذب إليها بحكم الغريزة طلبًا للاستنارة، أو للحصول على المياه والمؤن والوقاية، ثم إن مواقعها أيضًا قد تجعلها ذات أهمية تكتيكية؛ لأن الغابات كثيرًا ما تكون على سطوح التلال المائلة وفي الاستطاعة احتلالها في الخطط الدفاعية لإرغام المهاجم على فتح جنوده قبل أن يصل إلى الموقع الرئيسي، بينما أن القرى تقع بطبيعة الحال على الطرق التي لا بد من حراستها لأنها المسلك العادي الذي تسلكه كل الجنود لاقترابها من القرى. ففي حرب المواقع تبقى للغابات والقرى أهمية من الدرجة الأولى، وإذا كانت واقعة على طول خط التشكيل لموقع دفاعي أو قريبة منه فيفترض دائمًا كونها محتلة ومنظمة تنظيمًا قويًا بصفتها حلقة من سلسلة من نقط تكتيكية تعاون إحداها الأخرى بالتبادل، ولقد كان ذكر أسماء الغابات صغيرة كانت أو كبيرة، والقرى حتى أحقرها، من الحوادث اليومية في تقارير القتال على الجبهة الغربية في الحرب العظمى بصفتها مسارح لأشد المعارك هولًا في الهجمات والهجمات المضادة، وقد وردت الإشارة عن ٦٧ من الغابات الصغيرة والكبيرة على اختلاف أنواعها في رسائل المارشال هايج. ويظهر على كل حال أن من

المُسَلَّم به بصفة عامة أن الأراضي الضيقة عمومًا، والغابات والقرى خصوصًا، تناسب قتال التأخير أكثر من مناسبتها للدفاع الطويل الأجل. فبناء على ذلك فإن مزاياها في حرب المواقع تكون في صالح الهجوم نظرًا لسهولات المفاجأة المتوفرة فيها بسبب خفاء الحركات.

وهناك أمثلة كثيرة على نجاح قتال التأخير في الغابات والقرى، وقد تمثلت ميزات هذا القتال في الحرب الفرنسية – البروسية.

ففي معركة جرافيلوت Gravelotte (١٨ أغسطس سنة ١٨٧٠) استدرجت غابة بوا – دو – فو Bois – De - Vaux الواقعة على ميسرة الموقع الفرنسي المارشال بازان Bazaine إلى حشد جنوده الاحتياطية في ذلك الجناح الذي يغري العدو على مهاجمته، مع أن المارشال انهزم بحركة التفاف قام بها العدو حول جناحه الآخر، وفي أثناء هجمة من خلال غابة بوا – دو – فو تشتتت أورطة من مشاة البروسيين حتى ضاع الاتصال بين أجزائها تمامًا، وهذا خطر عادي يقع في قتال الغابات، ومع ذلك ففي معركة سبشرين Spicheren التي سبقت تلك الحادثة (في ٦ أغسطس سنة ١٨٧٠) حافظت أورطتان من المشاة على نظامهما واتصالهما في غابة «بفافن» Pfaffen. وتمكنتا من الخروج منها بنظام جيد بأن تحركتا من خلالها بتشكيل قول ضيق، وفي نفس تلك المعركة تمثل فقدان النظام الناشئ عن فقدان السيطرة، فإن جنودًا بروسية أخرى كانت قد استولت على غابة جفرت Gifert وتعذر على الضباط أن ينظموا هجومًا على موقع آخر يليها بسبب امتناع الجنود عن مبارحة ملجئهم بالغابة.

وفي معركة وورث Worth (٦ أغسطس سنة ١٨٧٠) أوقفت أورطتان من مشاة الفرنسيين هجوم ١٨٠٠٠ من البروسيين مدة تربو على ساعة في نيدروالد Niederwald (الغابة السفلى) مع أنه لم يكن هناك استحكامات، بل إن الذي صادف البروسيين حينذاك إنما هي صعوبة الخروج من الغابة التي حصل الاستيلاء عليها لأن طرفها الآخر كان تحت نيران ثقيلة من الفرنسيين الذين كانوا في غابة «الزاسهاوزن» الصغيرة المجاورة لها.

وفي مثل هذه الحروب لا يستطاع عادة تنظيم هجوم مضاد حاسم، ولو أن الجنرال «لي» تمكن من استخدام ١٧٠٠٠ جندي لهذا الغرض ونجح نجاحًا تامًا في

معركة البرية Wilderness (٥ – ٦ مايو سنة ١٨٦٤)، ومع ذلك فإن الهجمات المضادة المحلية هي المعتادة في العمليات الدفاعية في الغابات. وفي نيدروالد بمعركة وورث قام الألاي الفرنسي السادس والتسعون بعدة هجمات مضادة بعزيمة صادقة.

وأما القرى فإنها أكثر اجتذابًا للجنود حتى من الغابات، وهي تعتبر في كل المعارك مراكز محلية للمناورة. فمن أشد حالات الدفاع عن القرى الدفاع الذي حصل في معركة سيدان Sedan (أول سبتمبر سنة ١٨٧٠) حينما ناضل مشاة البحرية الفرنسيين نضال الأبطال في قرية بازيل Bazeilles مدة طويلة، وبعد أن رفعت الراية البيضاء على قلعة سيدان استمر القتال طويلًا باستبسال في قرية بالان Balan وهي الخط الثاني من خطوط الدفاع عن موقع بازيل.

والزائر الذي يزور ميدان معركة سيدان يرى فندقًا صغيرًا اسمه «إلى آخر طلقة» أقيم تذكارًا لذلك النضال.

وقد قام الفرنسيون بهجوم ليلي على قرية نوازفيل Noisseville (٣١ أغسطس سنة ١٨٧٠) نجح نجاحًا باهرًا، فكانت المفاجأة والظلام معًا مما زاد الصعوبة المعتادة في الدفاع عن القرى.

الهجوم على الغابات:

المراحل الافتتاحية للهجوم على الغابات تشبه مثيلاتها في الهجوم على أي موقع آخر، ولكن بمجرد ما يحصل الاستيلاء على الجنب الخارجي للغابة يجب استغلال المزايا العظيمة التي يوجدها ضيق دائرتي النظر والنيران استغلالًا تامًا، ومباغتة النقط الضعيفة، أما الهجمات الجانبية فهي في هذه الظروف مهلكة بدرجة استثنائية؛ إذ ربما نجحت قبل أن يشعر الجنود المدافعون الآخرون بتهديدها، ولكن يجب الحذر كل الحذر من الشراك المنصوبة، ولا بد من أن تكون كل الحركات مسبوقة بكشافة، وأن يحصل الزحف بوثبات سريعة لاجتناب النيران المسددة من مرامٍ قريبة، ويجب أن يكون كل من الإمداد والاحتياطي قريبين من الجنود الأمامية حتى يبقى الاتصال وتأتي المساعدة في الحال.

وللمدافع الرشاشة والهاونات الخفيفة قيمة عظمى في المساعدة عن كثب؛ لأن الهاونات تقوم مقام المدفعية وتوقع الخسائر بالعدو المحتمي بالأشجار، أما الغابات الصغيرة فمن العادة مهاجمتها من الأجناب التي تسلط عليها نيران شديدة من

المدفعية إلى أن يتجه الهجوم إلى داخلها. بينما توضع المدافع الرشاشة ومدافع لويس في أماكن تمنع منها وصول المدد إلى الغابة وتقطع على المدافعين رجعتهم.

ففي أثناء الهجمات المضادة التي قام بها الألمان في كمبراي (من ٣٠ نوفمبر إلى ٤ ديسمبر سنة ١٩١٧) استخدمت الدبابات في قتال الغابات والقرى. وكان لها أثر فعال وفضل كبير في الاستيلاء على غابة جوش Gauche ؛ إذ كانت تعمل بالتعاون مع فرسان الهنود التابعين لفرقة الفرسان الخامسة مترجلين عن خيولهم. وفرقة الحرس. لكن بالرغم من وصولها إلى ضواحي فيللرجويزلان Villers Guislain اضطرت إلى الانسحاب بسبب أن مدد المشاة لم يتمكن من التعاون معها ضد نيران مدافع العدو الرشاشة.

وفي معركة مسين (٧ يونيه سنة ١٩١٧) مكّنت دبابة جنود المشاة من الاستمرار في الزحف بتغلبها (الدبابة) على مدافع ماكينة العدو (الرشاشة) التي كانت موضوعة في مزرعة «فاني». ومع ذلك فإن الدبابات بوجه عام لا تستطيع أن تقوم بمناورات في الغابات نظرًا لما يصادفها من العوائق التي لا يمكن التغلب عليها. وإن دائرة منفعتها محدودة بوجود الطرق أو غيرها من مسالك الاقتراب الخالية من الأشجار وما إليها.

وفي أثناء القتال الذي يحصل من أجل القسم الداخلي من الغابة يكون «الاستطلاع أثناء المعركة» من أهم الأمور، ولا بد من حراسة أجنحة القوة الهاجمة حراسة خاصة نظرًا لاحتمال حصول هجوم مضاد. ويجب حفظ الاتصال للتفادي من ضياع الاتجاه. وفي الزحف من الموقع الذي صار الاستيلاء عليه يحتاج الأمر إلى مهارة تكتيكية عظمى. وإذا أوجد المدافعون موقع نيران في نطاق مرمى قريب. فقد لا يكون من الممكن الخروج من الغابة إلا إذا أزالت الجنود المتعاونة هذا الموقع أو أبطلت عمله.

بل وقد يكون من الضروري المرابطة في الطرف الخلفي من الغابة لمقابلة هجوم مضاد ثم الخروج منها بعد إعادة التنظيم من كلا الجانبين أو من الطرف المقابل، بقصد الزحف بعد قسم القوة إلى قسمين على جناحي موقع النيران (الذي يشغله المدافعون) تحت نيران مزعجة تطلقها الجنود الموجودة في الطرف الآخر من الغابة. وإذا كان في الإمكان السيطرة عليه. وكان استمرار الزحف ضروريًا. يجب على

الجنود الذين ينجحون أن يستعيدوا تنظيمهم داخل الغابة (مع الحذر من الاحتشاد في الزوايا الخارجة) ثم ينفتحون قبل الزحف لكي يتقدموا بهجمة واحدة حتى يتخلصوا من الغابة.

الدفاع عن غابة:

الطرف الخارجي لأية غابة عرضة للأخطار بصفة خصوصية، ولكن لا بد من احتلال بعض أجزاء منه بحكم الضرورة من أجل الرصد والمقاومة (خصوصًا في مدة الليل) بينما توضع العراقيل الثقيلة في الأجزاء التي لم تكن محتلة، وتجعل هذه الأجزاء عرضة لنيران جانبية تأتي من مدافع المواقع المحتلة.

ومدافع الماكينة ومدافع اللويس تلائم المواقع الدفاعية بوجه خاص متى وضعت على دراوي (دوشمات) مختفية ومقوّاة (الدوشمة هي السطح الذي يوضع فوقه المدفع) أما المحيط الخارجي فيجب تقسيمه إلى قطاعات ترابط فيها وحدات كاملة لكل منها قائد معين، ثم تنشأ خطوط دفاعية في داخلها أيضًا، وتفتح فيها مواصلات جانبية من خلال الأشجار تعلم بعلامات يسهل تمييزها تسترشد بها الجنود حين خروجهم للهجمات المضادة، واقتصادًا للوقت تفتح عدة دروب بدلًا من طريق واحد متسع.

أما الخط الثاني للدفاع فيجب أن يشتمل على موقع دفاعي يدافع في كل الاتجاهات بحيث يستطاع منه اكتساح كل مسالك الاقتراب بالمدافع الماكينة ومدافع اللويس، وهذا الموقع أيضًا لا بد أن تتوافر فيه السهولات للخروج للهجوم المضاد.

وإذا كانت الغابة بعيدة عن منطقة النقط الخارجية للدفاع بعدًا متجاوزًا للحد الذي يجعل الغابة عاملًا من عوامل الخطة المرسومة، لا بد من اتخاذ التدابير التي يكون من شأنها إبطال المزايا التي تنتفع بها القوة الهاجمة من سلوك طريق للاقتراب يكون مختفيًا، وذلك إما باستعمال الغاز وإما بتسليط نيران على مخارج الغابة توقع بالعدو الخارج منها خسائر جسيمة أو تبيده.

وفي أغلب الأحوال تضايق القوة الهاجمة، وتبين لها مظاهر المقاومة في غابة من هذا القبيل بواسطة الأطواف المقاتلة، وفي الإمكان وضع العراقيل في طرفها القريب والأسلاك في خارجها حتى تستدرج القوة الهاجمة إلى التجمع في الدروب

المعرضة لنيران جانبية من مدافع الماكينة.

الهجوم على القرى:

للهجوم على قرية ثلاثة أطوار كما في الهجوم على غابة. ففي القتال من أجل الطرف الخارجي لقرية من المحتمل مضايقة الجبهة بهجوم بالنيران. بينما تهاجم كل أصناف البلاتون الأربعة أحد الجناحين أو كليهما تحت ستر نيران المدافع الماكينة ومدافع اللويس.

أما الطور الثاني فقد يتطلب إعادة التنظيم قبل الهجوم على القرية بالذات. وفي أثناء ذلك يكون الاستطلاع. والتعاون. وإرسال المعلومات. من أهم الأمور. وكل النقط التي يحصل الاستيلاء عليها يتحتم توطيدها حالًا. ثم يستمر الهجوم بأقصى درجات الشدة. ويجب تدريب الجنود على دخول المباني من خلفها. وعلى أن تزحف على طول جانب الطريق الملاصق للأسوار والمباني الموجودة لتصعب على العدو إطلاق النيران دون أن تعرض أشخاصها للإصابات بدرجة لا لزوم لها. ثم إن الهاونات الخفيفة وقنابل اليد. التي يستطاع الرمي بها في النوافذ المحصنة بصفة خاصة. أو إلقاؤها إلى ما وراء تحصينات الشوارع تعتبر من الملحقات الهامة للبندقية والسونكي. أما المدافع الرشاشة (الماكينة) ومدافع اللويس فستسنح لها الفرص للمعاونة في هجوم مضاد أو في صد هجوم مضاد. وفي إخماد نيران العدو الآتية من موقع حاكم موجود وفي نهاية الشارع. وأما الدبابة فإن أفضل استخدام لها إنما هو في هذا الضرب من ضروب الحرب. بما أنها تستطيع التغلب على أي نوع من أنواع تحصينات الشوارع بوجه التقريب. أو تدميره. وفي إمكان المشاة أن تقتفي أثرها على الفور. على أنه يجب أن لا ينظر إليها دائمًا إلا كمساعد للمشاة. لا بصفتها سلاحًا رئيسيًّا.

وأما في الطور الثالث فإن الزحف من القرية التي صار الاستيلاء عليها بينما يقوم الإمداد «بكنس» من بقي على قيد الحياة من حاميتها. قد يكون من الجوهري أن يسبقه إعادة تنظيم الجنود.وفتحها كما هي الحال في قتال الغابات. وفي كل طور من أطوار القتال في الغابات وفي القرى لا بد من توقع هجوم مضاد فجائي دائمًا. ولا بد من وجود احتياطي محلي لصده. والخروج من القرية يتطلب وثبات سريعة إلى نقط يستطاع منها السيطرة على مواقع النيران الخلفية.

الدفاع عن قرية:

إنه لمن الصعب تجنب ضم القرى وإدخالها ضمن الخطة الدفاعية؛ نظرًا لما تحتوي عليه من سهولات الحصول على المياه، والستر، والملجأ، غير أنه بينما أن القرى تساعد على قتال التأخير، فهي عرضة لأن تصير «مصائد للقنابل» في الدفاع الذي يطول أمده إلا إذا كانت تحتوي على غرف تحت الأرض تكفي لإيواء الجنود. في حين أن تأثير انفجار القنبلة فيها يزداد تأثيرًا.

وهناك مبادئ معينة مشتركة في كل أنواع القتال الدفاعي في القرية هي:

١- ينبغي أن تتألف الحامية من وحدة معينة تحت قيادة قائد معين.

٢- يجب أن توضع الجنود الأمامية أمام طرف القرية لسببين:

الأول – هو أن طرف القرية بالذات معرض للإصابات من نيران المدفعية.

الثاني – وهو السبب الرئيسي هو منع الهجوم من الاستقرار في المباني الأمامية. أما في حالة ما إذا كانت القرية صغيرة فكثيرًا ما يكون من المفيد احتلال مواقع على أجنحتها تكون حاكمة على طرف القرية بنيرانها، وذلك لاستدراج العدو إلى «القمع» المكون بهذه الصورة.

٣- ينبغي أن يكون كل من الإمداد والاحتياطي في نقطة مركزية من القرية ليبقيا على استعداد للقيام بهجمات مضادة محلية على الفور؛ لأن ذلك وحده هو الذي يمكّن من الدفاع عن القرية ضد عدو ثابت العزم.

٤- يجب فتح مزاغل في المنازل ووضع أكياس الرمل في النوافذ، وفتح مواصلات وقتية بين المنزل والآخر لتزداد بها قوة المناورة لدى المدافعين.

٥- يجب الدفاع عن داخل القرية بنيران متقاطعة من المدافع الماكينة ومدافع اللويس، بينما أن الكنائس والصالات والأطراف الداخلية للحدائق والميادين يجب إعدادها كلها وتهيئتها للمدافعة دفاعًا مستميتًا، إلا أن مثل هذه الأمكنة يجب ألا تتخذ منازل للإقامة نظرًا لما فيها من خطر الإصابات بضرب المدافع المستمر.

٦- الصعوبات الطبيعية التي تصادف المحافظة على السيطرة في قتال القرى، يتطلب تلافيها زيادة في الجهود وفي اليقظة من قبل كل القواد، ويتحتم اتخاذ تدابير خاصة لجمع المعلومات في مراكز الأخبار والتقارير، كما يجب أن تكون مواقع هذه المراكز معلومة لدى جنود القوة المدافعة على اختلاف رتبهم.

خواص الأسلحة المختلفة

«لا يستطاع بذل قوة أي جيش بأكملها ما لم تتعاون أجزاؤه كلها معًا تعاونًا وثيقًا. وهذا لا يتيسر إلا إذا كان أعضاء كل سلاح يفهمون الخواص المميزة للأسلحة الأخرى، فلكل منها ميزاته الخاصة ووظائفه، وهو مقيد بتعاون غيره من الأسلحة ». (تعليمات خدمة الميدان جزء ثاني)

وقال المارشال هايج:

«إن فهم عبارة «مهمة الغير» فهمًا قائمًا على الذكاء، هو أول عامل جوهري لنجاح التعاون».

المشاة

«المشاة هم السلاح الذي يكسب المعركة في نهاية الأمر».

(تعليمات خدمة الميدان جزء ثاني)

إن السرعة التي تستطيع المشاة الزحف بها، والمسافة التي تستطيع أن تقطعها في يوم واحد هما الحدان الوحيدان اللذان تقاس بهما مقدرة المشاة الجيدي التدريب على إنزال الضربة، ففي الحرب العظمى قد زال هذان الحدان بدرجة عظيمة باستخدام وسائل النقل الميكانيكية، وهذه الوسائل سوف يأخذ استخدامها في التوسع في الحروب الحديثة لإحضار جنود جديدة إلى مسرح القتال أو إلى مكان قريب منه، أو لنقل الجنود التي أعياها التعب من ميدان المعركة على وجه السرعة، ومقابل هذين الحدين الطبيعيين اللذين يحددان درجة خفة الحركة، توجد المزايا التي تعوض عنهما، وهي مقدرة المشاة على التحرك إلى أي أرض كانت، أو اجتياز أي نوع من الأراضي بوجه التقريب، سواء بالليل أو بالنهار، ثم السرعة التي يستطيع بها المشاة المدربون إيجاد ما يسترهم أو إنشاءه على الفور في الوقت والحين.

فالغرض الرئيسي من المعركة هو الالتحام بالعدو وإتلافه إما تقتيلًا وإما أسرًا. وهذه المقدرة على الالتحام بالعدو هي التي تجعل المشاة السلاح الحاسم في

المعركة.

البندقية والسونكي – البندقية هي السلاح الرئيسي للمشاة، والبندقية البريطانية «القصيرة ذات الخزنة، طرز لي – انفيلد» هي أحسن بندقية للقتال، فالرامي المتمرن يستطيع أن يطلق ١٥ طلقة مسددة (منشنة) في الدقيقة الواحدة بأن يجدد الحشو (التعمير) والدبشك في كتفه وعينه على الهدف، والبندقية والسونكي مثبتة بها هي السلاح الرئيسي لقتال التحام للاقتحام أو لصده، وفي الاقتحام ليلًا يعتمد جندي المشاة بكليته على السونكي.

أداة الحفر والردم: متى حملها كل جندي من أي رتبة أخرى في الصفوف، كانت ملحقًا لرصاصة البندقية وللسونكي لا تقدر بقيمة.

وفي حرب المناورات حينما يضطر المشاة مرارًا كثيرة لأن ينشئوا دفاعات في ميدان المعركة في الوقت والحين بالليل وبالنهار، تكون قيمة آلة الحفر والردم مما لا يقبل مبالغة، وفي حرب المواقع، وفي تنظيم ساحة الدفاع يستمر طويلًا في حرب المناورات، توجد أدوات كبيرة ثقيلة ومواد من كل نوع لتوطيد الدفاعات وتقويتها. ولكن في إنشاء متاريس سريعة وقتية سواء بالليل أو بالنهار فقد برهنت آلة الحفر والردم الخفيفة التي يحملها الجندي على ما لها من قيمة عالية، فحينما تكون الجنود مشتغلة بحفر خنادقها ليلًا بهذه الآلة ينبغي الحرص على اتباع طريقة منتظمة حتى يكون الخط منتظمًا بقدر ما، ومتجهًا إلى الجهة الصحيحة، فإذا انتشر أفراد صنف من المشاة إلى مسافة امتداد ذراع كل منهم وهم متجهون نحو العدو، ثم تحرك الجنديان اللذان في كل جناح من الجناحين إلى مسافة خطوتين إلى الجنب الخارج، وتحرك جنديا الوسط إلى مسافة خطوتين إلى الوراء، ثم أمر الصنف بالحفر على «خط أطراف أقدامهم» فتكون نتيجة الحفر (حتى في أشد الليالي ظلامًا) إنشاء خندق قصير للنيران بتقاطع وسطي، وهذا الخندق في الإمكان وصله في أول فرصة تسنح، بالخنادق التي حفرتها الأصناف الأخرى المنتشرة على هذه الصورة.

وفي أثناء التقهقر من مونز (في أغسطس وسبتمبر سنة ١٩١٤) تمكن «الجيش الصغير الحقير» تحت قيادة المارشال فرنش مرارًا متعددة، بواسطة آلة الحفر والردم لا غير، من إيجاد ملجأ له من الرصاص، وإنشاء نظام من خنادق للنيران كلفت الألمان المتعقبين المئات من الأرواح وأخّرت حركتهم تأخيرًا ماديًّا.

مدفع لويس: مدفع لويس هو مدفع ذاتي الحركة (أتوماتيكي) يطلق نفس الذخيرة التي تطلقها البندقية القصيرة ذات الخزنة طراز لي – انفيلد، وكل بلاتون من المشاة يشتمل على صنفين من مدافع لويس، ومعدل سرعة نيران هذا المدفع يزداد بفعله الأتوماتيكي، وأقصى معدل له يسمح بإطلاق ٤٧ طلقة في أقل من عشر ثوانٍ في حين أنه يمكن إطلاق طلقة واحدة أو طلقتين حين الإرادة، أما سرعة تحرك أصناف مدافع لويس فهي نفس سرعة تحرك الأصناف الأخرى من المشاة.

مرامي البنادق ومدافع لويس

المرمى القريب – نهايته ٨٠٠ ياردة

المرمى المؤثر – من ٨٠٠ ياردة إلى ٢٠٠٠ ياردة

المرمى البعيد – من ٢٠٠٠ ياردة إلى ٢٥٠٠ ياردة

القنابل: القنابل اليدوية وقنابل بنادق جريناد، هي ملحقات أي توابع للبندقية والسونكي ومدفع لويس، أما استخدامها الرئيسي فهو تخطي النقط المحصنة أي المرور من فوقها وخصوصًا في حرب المواقع، أما قنبلة اليد فإن الذي يحد مرماها هما مهارة الرامي وقوته، وقد تعتبر مسافة ٣٠ إلى ٤٠ ياردة أقصى مسافة لها، وأما قنبلة البندقية فإنها تؤثر إلى ما يقرب من ٤٠٠ ياردة، وتستخدم بوجه عام لإيجاد حاجز محلي (أي غلالة من النيران) أو للبحث وراء السواتر، وفي الحالة الأخيرة تستعمل بزاوية سقوط عالية كما في الهاونات أو الهاوتزر.

الهاونات الخفيفة: صنف الهاون الخفيف هو جزء متمم لكل أورطة من المشاة، ومع أن هذه الأصناف تتجمع أحيانًا لتعمل معًا لأغراض خاصة، إلا أن عمل الصنف المعتاد هو مع أورطه.

والصنف المؤلف من هاونين خفيفين يطلقان قنبلة كروية وزنها ١١ ليرة إنجليزية يشتمل على ضابط واحد و٢٠ جنديًّا من كل الرتب الأخرى، ويحتاج إلى حصانين وعربة ذات عريش، ونظرًا لارتفاع زاوية السقوط ففي الاستطاعة إطلاق القنابل وراء ساتر عال للبحث والتفتيش، في حين أن الهاونات ليست في ذاتها أغراضًا واضحة الظهور، ومن السهل نقلها إلى المسافات القصيرة، وهي تدخل القتال في ظرف ٣٠ ثانية.

على أن البطء النسبي الذي يلازم القتال بالقنابل الكروية يمكّن العدو من

التعرف على أمكنة الهاونات فتنشأ عن ذلك ضرورة اتخاذ الوسائل لتجنب تبادل نيران المدفعية، وفي الاستطاعة مداومة إطلاق النيران بمعدل يبلغ أقصاه من ٣٠ إلى ٤٠ طلقة في الدقيقة الواحدة لمدة دقيقتين أو ثلاث دقائق إذا كانت الذخيرة حاضرة، وبزاوية مقدارها ٤٥ درجة يمكن إيصال المرمى إلى مسافة ٧٠٠ ياردة.

المدافع الماكينة (الرشاشة):

«أشهر مميزات مدفع الماكينة هي مقدرته على إطلاق كتلة مركزة من النيران في الاستطاعة مداومتها إلى أجل يكاد يكون غير مسمى حسب توفر الذخيرة، ثم إن السهولة التي يستطاع بها إخفاؤه في القتال، والسيطرة على نيرانه يمكّنان من الانتفاع من تأثير المفاجأة». (قوانين خدمة الميدان جزء ثاني)

وبلاتون مدافع الماكينة هو جزء متمم لكل أورطة من المشاة، ولكن في الهجوم، كثيرًا ما تتجمع المدافع الماكينة قصد إيجاد نيران تمر من فوق الرءوس لخفضها أو غيرها من النيران الساترة، في حين أنها في الدفاع تكون باشتراكها مع المدفعية الهيكل الذي تبنى عليه توزيعات الدفاع.

ثم إنه نظرًا لما لها من قوة النيران فإنها تمكّن القائد من الاقتصاد في عدد جنود المشاة المخصصين لعمل دفاعي محض.

أما مراميها فهي نفس المرامي السابق ذكرها في البنادق ومدافع لويس، ومعدل إطلاقها هو نحو عشرين ضعفًا لنيران البندقية، في حين أن في الإمكان إطلاق من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ طلقة دوامًا حين الحاجة.

الجنود الراكبة

الفرسان: أشهر مميزات الفرسان هي خفة حركتهم، وهذه الخفة في الحركة تمكنهم من الهجوم على غير انتظار، ومن الدفاع بعزيمة صادقة، في حين أن في إمكانهم قطع القتال أو إبطاله بأسهل مما يستطيع المشاة، ويمكنهم الحصول على المعلومات ووقاية قوة أخرى وهم بعيدون عنها بمسافة كبيرة، ومن تعزيز الفوز الذي ينال بالمعركة واستغلاله.

«والفرسان في إمكانهم، إذا طُلب منهم، القيام بمعظم العمليات التي يستخدم فيها المشاة بحكم العادة، على أن ما تتطلبه الخيول من العناية ينقص عدد البنادق التي يستطاع إدخالها فعلًا في القتال، ولهذا السبب ينقصهم العمق

بالقياس على تشكيل من المشاة مماثل لتشكيلهم».

(قوانين خدمة الميدان جزء ثاني)

وأسلحة الفرسان هي السيوف والمزاريق للقتال وهم راكبون. وفي العادة أن تعمل مدفعية الفرسان مع الفرسان. أما السلاح الذي يستعمله الفرسان للقتال وهم مترجلون عن الخيل فهو البندقية، والمدفع الماكينة، وبندقية هوتشكس. وقد وردت الأمثلة على استخدام الفرسان في الحروب الحديثة في كل الموضوعات.

المشاة الراكبون: مميزات المشاة الراكبين وطرائق استخدامهم. يستثنى عنها عدم تجهيزهم بعدد القتال وهم راكبون. كالفرسان؛ إذ يمكّنون القائد من مد هجومه أو دفاعه إلى مدى يندهش له المشاة. ثم إن محاولات المشاة تجاوز جناح قوة مدافعة مؤلفة من المشاة الراكبين يصيبها الفشل بوجه عام بسبب خفة حركة القوة المدافعة كما حصل في حرب جنوب أفريقيا في سنة ١٨٩٩ – ١٩٠٢.

راكبو الدراجات: لراكبي الدراجات في الظروف التي تلائمهم خفة في الحركة أعظم من خفة الفرسان، وفي استطاعتهم زيادة قوة النيران مع تطورها أكثر مما يستطيعه الفرسان؛ إذ ليسوا في حاجة إلى من يمسك الخيول. على أنهم مع ذلك مقيدون بالطرق، وعرضة للإصابات أثناء تحركهم، ولا يستطيعون القتال إلا وهم مترجلون. ومضطرون إلى الرجوع إلى دراجاتهم عقب القتال. بينما أن ماسكي خيول الفرسان في إمكانهم مقابلة الجنود المترجلة في نقطة يتفق عليها من قبل.

المدفعية

«إن الدور الذي تقوم به المدفعية هو مساعدة الأسلحة الأخرى في التغلب على المقاومة، وتقديم كل ما يمكن من المدد للمشاة الذين يناط بهم البت وفصل الخطاب في آخر الأمر».

(قوانين خدمة البلاد جزء ثاني)

والعمليات الحربية الحديثة تشتمل على كل مراتب المدفعية. ثم إن وسائل النقل الميكانيكية تجعل في الإمكان الإتيان بأثقل المدافع إلى ميدان المعركة، ونقلها حينما يقرر القائد الانسحاب. في حين أن ازدياد القوة الدفاعية في العراقيل وفي نيران الأسلحة الصغيرة بالاشتراك مع ازدياد خفة الحركة التي أوجدها النقل الميكانيكي تمكّن من وضع كل أنواع المدفعية ما عدا المدفعية التي هي فوق الثقيلة (التي

تحتاج إلى قاعدة في عربة سكة حديد) وراء المشاة وبالقرب منهم في الهجوم وفي الدفاع. ومع ذلك فمن الواضح أن المدد الأقرب يأتي من أضعف المدافع من حيث قوة القنابل، وذلك نظرًا لتفوق المدافع الخفيفة في سرعة الحركة.

وفي الحروب الحديثة يجري جانب عظيم من أعمال المدفعية في ساعات الظلام بحكم الضرورة، وذلك بسبب كثرة التحركات ليلًا تفاديًا من الرصد الجوي وما يترتب على ذلك من استخدام الضرب غير المباشر لإيقاع الخسائر أثناء هذه التحركات. ولهذا السبب فإن رجال المدفعية يحتاجون إلى التغيير مرارًا أكثر مما كان في الأيام السابقة لوجود الطيارات.

ولقد كان نمو المدفعية أثناء الحرب من علامات التغيير المستمر الذي طرأ على طرائق الحرب، فإن ازدياد عددها وقوتها قد تجاوز حد ما كان معروفًا في الحروب السابقة. قال السير د. هايج في رسائله: «فالمدافع البالغ عددها ٤٨٦ بين خفيف ومتوسط التي نزلنا بها إلى الميدان في أغسطس سنة ١٩١٤ كان يمثلها في التاريخ الذي عقدت فيه الهدنة ٦.٤٣٧ بين مدفع وهاوتزر من كل الأنواع، وفيها قطع من أثقل العيارات».

وقال أيضًا:

«من ابتداء حركاتنا التعرضية في أغسطس سنة ١٩١٨ إلى أن تم عقد الهدنة، استهلكت الجيوش البريطانية من الجبهة الغربية حوالي ٧٠٠.٠٠٠ طنًّا من ذخيرة المدفعية، ففي الأسبوعين المبتدئين من ٢١ أغسطس إلى ٣ سبتمبر كان معدل استهلاكنا في اليوم الواحد ينوف على ١١٠٠٠ طن، في حين أن في الثلاثة الأيام العصيبة من المعركة وهي ٢٧ و٢٨ و٢٩ سبتمبر (معركة كمبراي الثانية) أطلقت مدفعيتنا ما يقرب من ٦٥٠٠ طنّا من الذخيرة». وفي جدول رمي المدفعية الآتي بعد كانت المرامي المؤثرة للمدفعية الخفيفة التي تطلق قنابل المفرقعات العالية، مؤسسة على استعمال الطابة رقم «١٠٦»، وقد جاء في رسائل السير د. هايج ما يأتي:

«إن اختراع الطابة الجديدة المعروفة برقم ١٠٦، التي كان أول استعمالها في معركة أراس (من ٦ أبريل إلى ٧ يونيو سنة ١٩١٧) أمكن من إتلاف عراقيل الأسلاك بسهولة وبسرعة، فعدلت خططنا لمهاجمة المواقع المنظمة؛ لأن انفجار القنبلة

بمجرد مسها الأرض وقبل أن تدفن فيها قد زاد مفعول الفرقعة في التدمير بدرجة عظيمة، فصار في الإمكان تقطيع الأسلاك في زمن أوجز وبذخيرة أقل بكثير مما كان يبذل من قبل، وازداد بذلك عامل المفاجأة في العمليات».

ومراتب المدفعية هي: خفيفة، ومتوسطة، وثقيلة، وفوق الثقيلة.

المدافع الخفيفة:

مدافع التحميل عيار ٢.٧٥ من البوصة هي أضعف المدافع من حيث قوة المقذوف، ولكنها أخف حركة من أية مدفعية أخرى، ويستطاع نقلها في البلاد ذات الموانع التي تحول دون سير ذوات العجلات.

وهاوتزر التحميل عيار ٣.٧ من البوصة لها قيمة خاصة في الأراضي الضيقة؛ لأن ارتفاع زاوية سقوطها تمكن من البحث فيها وراء أعمق السواتر سواء في الهجوم أو في الدفاع.

ومدافع مدفعية الفرسان: عيار ١٣ ليرة (وزن المقذوف) هي أخف حركة من كل أنواع المدفعية الأخرى التي تتحرك فوق العجلات، وهي تستخدم عادة مع الجنود الراكبة، وجنود مدفعية الفرسان من كل الرتب يركبون، وتكاد خفة حركتها أن لا تقل عن خفة حركة الفرسان.

ومدافع الميدان: عيار ٣ بوصة التي تطلق قنبلة زنتها ١٨ ليرة، هي سلاح المدفعية الرئيسي في جيش الميدان، ومع أنها أثقل حركة من مدفعية التحميل ومدفعية الفرسان، إلا أنها أقوى منهما من حيث قوة المقذوف، وبها يوجد المدد الرئيسي للمشاة حين التحامها بالعدو وفي صدده، ثم إن مقدرتها على إيقاع الخسائر بالنيران الجانبية بالشرابنل تجعلها ملائمة للدفاع بنوع خاص، كما أن دقة ضبط الأسلحة الحديثة تمكنها من التعاون في الهجوم بنيران سائرة يزحف المشاة تحت حمايتها إلى الاقتحام دون أن يعوقهم عائق، وعلاوة على وظائفها العادية واستخدامها في تبادل النيران بين البطاريات (أي أعمال البطاريات المضادة) يمكن استخدامها للتغلب على الدفاعات بضربها بقنابل المفرقعات العالية أو لإخراج ساحة من الأرض عن دائرة القتال وجعلها على الحياد باستعمال قنابل الغاز، أو لإحداث ساتر صناعي من الدخان.

وهاوتزر الميدان: العيار ٤.٥ من البوصات لها قوة تعرضية زائدة وخفة في الحركة

كخفة مدافع الميدان.

والمدافع الخفيفة هي الأسلحة الرئيسية للحماية من الطيارات وللدفاع ضد الدبابات. أما الدبابات فلا قوة لها أمام المدفعية، وأشد أعدائها تأثيرًا عليها هي المدفعية الخفيفة.

وفي أثناء معركة السوم الأولى ازداد الهجوم البريطاني رهبة جدية بقدوم الدبابة التي تغلبت على اختلافات تسوية الأراضي، وسحقت دفاعات الأسلاك، وعبرت الخنادق، ومع أنها كانت مصحوبة بجنود من المشاة، فإنها كانت معتبرة عاملًا حاسمًا للانتصار أينما حلت. ومع ذلك ففي فترة من فترات المعركة حدث أن مدفعًا واحدًا من مدافع الميدان كان يديره بمنتهى الشجاعة ضابط بمفرده من ضباط المدفعية الألمانية، عطّل عددًا من الدبابات وأخرجها من القتال، فكان يطلق المدفع وسلاحه أفقي الوضع دون أي زوايا، مصوبًا إياه على كل دبابة حين صعودها إلى قمة مرتفع، وكانت المشاة تمدها عن كثب. فكان في إمكان مدفع واحد من مدافع لويس أن يحول دون استعمال هذا المدفع.

المدافع المتوسطة: المدافع المتوسطة التي تطلق قنبلة وزنها ٦٠ ليرة تستخدم بصفة رئيسية في أعمال البطارية المضادة، وفي تأدية وظيفة مدافع الميدان عيار ١٨ ليرة على مرمى أبعد من مرماها (مدافع الميدان)، وبقوة أقوى من قوتها. وللهاوتزر المتوسطة نفس هذه النسبة، فقوتها التعرضية أعظم من قوة هاوتزر الميدان.

المدافع الثقيلة: المدافع الثقيلة عيار ٦ بوصة التي تطلق قنبلة وزنها ١٠٠ ليرة تستخدم ضد الأغراض التي يتجاوز مرماها مرمى المدافع الخفيفة والمدافع المتوسطة، وهي أشد تأثيرًا منها. والهاوتزر الثقيلة عيار ٨ بوصة و٩.٢ بوصة تستعمل بصفة رئيسية ضد البطاريات المستورة والدفاعات القوية أو لتدمير عراقيل الأسلاك باستعمال الضباب (الطابات) الآنية المفعول (التي تلتهب بملامستها الأرض).

المدافع فوق الثقيلة: المدافع فوق الثقيلة عيار ٩.٢ فما فوق تحمل عادة فوق قواعد بعربات السكك الحديدية. ومع أنها ذات سرعة عالية وقوة عظيمة في مقذوفاتها، ودرجة كبيرة من خفة حركتها (تمكنها من الاشتراك في القتال في أي جزء من أجزاء ميدان المعركة حتى وضعت لها القضبان الملائمة) إلا أن قوس نيرانها

(القوس الذي تتحرك في حدوده فوهة المدافع) محدود جدًّا، و«حياتها» (أي مدة استعمالها قصيرة).

الهاوتزر فوق الثقيل: عيار ١٢ بوصة أو ١٨ بوصة له نفس المزايا والعيوب التي للمدافع فوق الثقيلة، أما استعماله العادي فهو تدمير الدفاعات المستديمة، وهدم الجسور (الكباري) وما أشبه ذلك.

والهاوتزر: عيار ١٢ بوصة له أيضًا قاعدة تجرها العربات الميكانيكية وله تأثير عظيم في أعمال البطارية المضادة.

المهندسون

«كل الأسلحة مسئولة عن تشييد استحكاماتها، وواجبات المهندسين هي مساعدة هذه الأسلحة بعمل الاستطلاع الهندسي، ورسم الخطط، وإسداء النصيحة، والإشراف الفني، وإيجاد المواد وتشييد الاستحكامات التي تتطلب مهارة فنية خاصة..

ومع أن المهندسين قد تعلّموا بصفتهم جنودًا مقاتلة، إلا أنهم يعتبرون احتياطيًّا لا يستخدمون إلا إذا نفذت كل حيلة أخرى؛ لأن الإصابات التي تقع في صفوفهم لا تعوض بسهولة، وقد يتورطون في القتال من غير ضرورة ماسة فتحرم منهم الأعمال التي تكون ذات خطورة بالنسبة للعمليات».

(قوانين خدمة الميدان جزء ثاني)

قوة الجنرال كاري في أثناء معركة السوم الثانية

جاء في رسائل السير د. هايج ما يأتي:

«جمع الميجور جنرال ب. ج. جرانت رئيس المهندسين بالجيش الخامس قوة مختلطة تضمنت ملحقات، ومتخلفين عن الصفوف، وموظفي المدارس، وبلوكات عمال الأنفاق، وبلوكات من مشاة الجيش، وبلوكات مساحة الميدان ومهندسين من كندا ومن أمريكا، وضمها بعضها على البعض ثم نظمها.

وفي ٢٦ مارس وضع الجنرال جرانت هذه الجنود في خط الدفاعات القديمة التي كانت في أميان بين ميزير Mezières ومارسليكاف Marcelcave وهامل Hamel. وذلك بناء على الأوامر الصادرة من قائد الجيش الخامس، وبعد ذلك نظرًا لعدم

الاستغناء عن الجنرال جرانت في وظيفته الخاصة أشير عليه بتسليم قيادة قوته إلى الميجور – جنرال ج. ج. س. كاري، ولم يكن هناك مدد من أي نوع وراء الفرق سوى قوة الجنرال كاري، وكانت هذه الفرق قد قضت معظم الوقت منذ ابتداء المعركة، في قتال مستمر ..... وفي ٢٨ مارس كانت هذه الجنود هي التي شغلت خطّا ابتداء من مارسلكاف حتى نهر السوم، وكانت فرقة الفرسان الأولى مددًا لها وقريبة منها .... وفي ٢٩ مارس كانت قوة كاري مرابطة في القسم الأعظم من الجبهة البريطانية جنوبي نهر السوم، وكانت تعاونها فرقة الفرسان الأولى والجنود التي لم يكن في الاستطاعة سحبها حتى ذلك الحين التابعة للفرق التي كانت في الأصل مشتبكة في القتال، ووراء هؤلاء الجنود أتيحت فرصة قصيرة لبعض فرق الجيش الخامس لتستعيد التجمع».

الدبابات

الدبابات هي حصون متحركة تحتوي على مدفعية خفيفة، ومدافع رشاشة، وبنادق، ومع أنها تستطيع إيقاع خسائر جسيمة بالنيران فهي تستطيع أيضًا تدمير العوائق، والأسلحة، وإبادة الأنفس.

وحامياتها تبقى محمية من نيران الأسلحة الصغيرة ومن رصاص الشرابنل، ولكنها تكون معرضة للأخطار بدرجة عظيمة من الأنواع الأخرى من نيران المدفعية، أما خفة حركاتها، ودائرة أعمالها، يتقيدان بمقدار ما تحمله من البترول وبدرجة تحمّل الموجودين بها من الرجال، وصلابتهم الجثمانية، وهي تستطيع السير من غير صعوبة في الأمكنة التي لا توجد بها شقوق عميقة، أو مجارٍ للمياه متسعة أو مستنقعات أو أراضي أطلقت عليها القنابل بدرجة شديدة، أو الأراضي الصخرية والجبلية، أو الغابات الكثيفة.

وقد ورد في (قوانين خدمة الميدان جزء ثاني) ما يأتي:

«من إحدى المزايا الهامة التي تنشأ عن استخدام الدبابات بعدد كبير هي المقدرة على القيام بهجمات فجائية فائزة ضد أي نوع من أنواع الدفاعات بوجه التقريب».

وفي أثناء معركة السوم الأولى (من أول سبتمبر إلى ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٦).

«لقد تعاونت مركباتنا المعروفة باسم «الدبابات» المدرعة بدروع ثقيلة، والتي أتي بها إلى القتال لأول مرة، مع المشاة بنجاح، فلما فوجئ بها جنود العدو من كل

الرتب، ساعدت مساعدة ثمينة في التغلب على مقاومتهم.... وقد برهنت هذه المركبات على قيمتها في عدة حوادث، كما قامت الجنود المنوطة بها بأعمال كثيرة من أعمال الشجاعة التي تستحق الذكر».

(رسائل السير د. هايج)

الطيارات

يستخدم في الميدان نوعان من الطيارات؛ الطيارات ذوات الأسطح المستوية التي تندفع بحركة ذاتية، ودائرة أعمالها تكاد لا تُحَدّ، والقباب الطيارة (البالونات) التي يمكن جرها بعربة من عربات اللوري متى كان الجو ملائمًا، وفي الاستطاعة نقلها مرارًا دون أن تفقد صلاحيتها للعمل.

الطيارات:

لها قيمة من أعظم درجة في الاستطلاع والمواصلات الداخلية، فهي لا تقتصر على الحصول على المعلومات والرجوع بها إلى القاعدة التي صدرت عنها فقط، بل تسهل أيضًا الاستطلاع الشخصي الذي يقوم به القواد وضباط أركان الحرب لاكتشاف ميدان المعركة.

ثم إن أعمالها التعرضية والدفاعية ذات تأثير عظيم جدًّا، والتأثير الأولي الذي تحدثه أعمالها التعرضية على أعظم جانب من الأهمية.

ومع أن أسراب الطيارات هي وحدات خفيفة الحركة إلا أن هذه الوحدات تفقد كفاءتها إذا تقرر تنقّلها زيادة عن الحد المعقول، أما أعمال الطيارات في أطوار القتال المختلفة فقد جاء ذكرها في كل الموضوعات.

البالونات:

وهي تحمل راصدين اثنين يستطيعان مداومة الاتصال بالأرض تلفونيًّا على ارتفاع يبلغ ٥٠٠٠ قدم، فالبالونات المنفوخة يمكن تحريكها في الجو الملائم بسرعة أقصاها ثمانية أميال في الساعة حينما تكون على ارتفاع نحو ٥٠٠ قدم، ثم إن قابليتها للإصابات من نيران المدفعية كبيرة لدرجة تمنع استخدامها بالقرب من جبهة القتال.

الغازات

«إنّ استصواب استخدام الغازات بصفتها سلاحًا حربيًّا مسألة يكون النظر فيها من خصائص السلطات ذات الشأن قبل أن تبدأ الحملة الحربية، ومتى صودق على استخدامها، وعلى فرض ملاءمة الأحوال الجوية، فإن المتوقع هو أن هذه الغازات تلعب دورًا في كل قتال، أي يكون لها شأن فيه...

ثم إن الطرائق المتنوعة التي يستطاع استخدام الغازات بها تجعلها سلاحًا يمكن كل الأسلحة أن تستعمله، فالمدفعية مثلًا تعالج قنابل الغازات، والمشاة بالقنابل الكروية المملوءة بالغازات التي تطلقها الهاونات الصغيرة، والطيارات بالقنابل الكروية المملوءة بالغاز التي تلقى من الجو، والمهندسون يعالجون كل الطرائق التي تتطلب ممارسة خاصة».

(قوانين خدمة الميدان جزء ثاني)

والغازات أوجدها الألمانيون لأول مرة أثناء معركة إيبر الثانية (من ٢٢ إبريل إلى ١٨ مايو سنة ١٩١٥)، ثم إن التجارب العديدة التي لا بد منها قبل أن يستطاع استعمال الغازات، والاستعدادات العظيمة التي لا بد منها لصناعتها دليل على أن استخدامها لم يكن نتيجة قرار صدر عن يأس، بل إن استحضارها كان عن سابق تدبير وتروي، ففي أثناء معركة السوم الأولى (من أول سبتمبر إلى ١٨ نوفمبر سنة ١٩١٦) بحسب ما جاء في رسائل السير د. هايج:

«اضطرّنا العدو باستخدامه للغاز واللهب السائل كسلاحين تعرّضيين ليس فقط لاكتشاف طرق لحماية جنودنا من تأثيرهما، بل اضطرّنا أيضًا لاستنباط وسائل لاستخدام هذين السلاحين المهلكين... وبما أننا قد أرغمنا على استعمال طرائق مشابهة لطرائقهم في الدفاع عن النفس فما يوجب الرضاء القول - بشهادة الأسرى أنفسهم، والأوراق الرسمية المضبوطة، ومشاهداتنا- إن العدو قد تكبد خسائر جسيمة من هجماتنا بالغاز في حين أن الطرق التي اتخذناها للوقاية منه قد برهنت على كفايتها تمامًا».

الدخان

الدخان يمكن إطلاقه من قنابل المدفعية، أو من القنابل الكروية التي تطلقها هاونات المدفعية أو المشاة، أو من قنابل بنادق المشاة، أو من شموع الدخان، أو من

القنابل الكروية التي تلقيها الطيارات، أو من آلات المهندسين الثابتة في أماكنها التي تولد الدخان، أو من أنابيب الدبابات التي تصرف الدخان، وهو يستخدم لإخفاء الحركات قصد المفاجأة، أو لتقليل الإصابات، وفي الإمكان استخدامه لإيجاد الظلام عند العدو، بينما تبقى دائرة النظر الطبيعية متوفرة لدى جنودنا، غير أنه ولو أن ثقل الضربة المنوية واتجاهها يختفيان عن العدو بهذه الوسيلة إلا أنها تبقى له بصفة إنذار بميعاد نزولها، ومع ذلك في الإمكان تضليل العدو ومفاجأته باستخدام الدخان، ثم إن قيمته الاستراتيجية والتكتيكية تؤكد أنه سيستخدم في الحروب الحديثة.

وفي المعركة الختامية من الحرب العظمى قال السير د. هايج في رسائله:

«إن استخدام قنابل الدخان لستر زحف مشاتنا وتغطية مواقع العدو، قد ابتكر واستعمل بكثرة وتأثيرٍ آخذَيْنِ في الازدياد..»

أوامر العمليات الحربية

يطلب من كل ضابط من الضباط المقاتلين، من جميع الرتب، أن يصدروا أوامر من أي نوع كان، وأوامر العمليات لا بد أن تكون كتابة دائمًا متى سمحت الظروف بذلك.

والغرض من أمر العمليات هو الاتفاق على أسلوب للعمل ينطبق على نوايا القائد، مع توافر التعاون بين كل الوحدات.

وليس من المحتمل أن يطلب من أصاغر ضباط المشاة إصدار أوامر للعمليات من النوع الذي يدخله التعقيد والارتباك، والقواعد الموضوعة لكتابة الأوامر مبينة بالتفصيل في الكتب الرسمية، وهي خاصة بالضباط الذين هم من الرتب التي يطلب منها إصدارها.

فالقواعد العامة التي تبنى عليها الأوامر من أي نوع كانت، هي أنها يجب أن تكون «صريحة واضحة»، ولقد قيل: إن كاتب الأوامر ينبغي له أن يتذكر دائمًا أن شخصًا واحدًا على أقل تقدير قد يكون متبلدًا فيحاول إساءة فهمها، ومن ثم يجب ألا يكون فيها التباس، وخالية من كل ما يحتمل التأويل، وبينما تكون مشتملة على كل ما هو جوهري من المعلومات، وخالية من كل شيء يكون معلومًا جليًا من قبل لدى الذين تصدر إليهم، فإنها يجب أن تقتصر على الحقائق الواقعية فلا يدخلها

حدس أو تخمين.

«أمر العمليات يجب أن يكون محتويًا على ما يحتاج المخاطب به إلى معرفته فقط، وألا يزيد شيئًا على ذلك، فيجب ألا يعلمه بشيء يستطيع هو أن يتدبره لنفسه، وخصوصًا في حالة ما تكون القوات كبيرة، فلا يتناول التفصيل إلا إذا قضت به الضرورة الماسة، وكل محاولة ترمي إلى الإملاء على المرءوس الموجود في مكان بعيد أي شيء يكون هو أقدر على البت فيه من مكانه الذي هو فيه، لكونه أكثر علمًا بظروفه المحلية، قد تكون مقيدة لقوة ابتكاره حين معالجته للتطورات التي لم تكن منتظرة، ولذا فيجب تجنب كل محاولة من هذا القبيل، وعلى الخصوص يجب اجتناب العبارات التي من قبيل (لحين صدور أوامر أخرى)».

(قوانين خدمة الميدان جزء ثاني)

وبقطع النظر عن القواعد الثابتة المختصة بطبع أسماء الأماكن بحروف كبيرة؛ ومعها الإشارة إلى الخريطة المستعملة، وذكر تاريخ الأوامر، وإمضاؤها، ووضع أرقام على الصور، وذكر الوقت الذي صدر فيه الأمر وطريقة إصداره وما إلى ذلك، فيجب أن يتضمن المغزى العام لكل أوامر العمليات ما يأتي:

العدو يعمل كذا .... ما أنويه هو .... فعليك أن ....

وبعبارة أخرى يجب الإفصاح عن كل ما هو معلوم عن العدو، وعن جنودنا مما هو جوهري في الأمر، يأتي بعد ذلك بيان ما ينويه بوجه عام القائد الذي يصدر الأوامر، ثم يليه النصيب المطلوب القيام به في العمليات من الشخص الصادر إليه الأمر.

أما طريقة إحراز الغرض، فتترك للشخص الصادر إليه الأمر إلى أبعد مدى في الإمكان، مع مراعاة ميزاته الشخصية وكفاءته.

وقد جاء في (قوانين خدمة الميدان جزء ثاني) ما يأتي:

«من الجوهري أن لا يكون المرءوسون ذوي أهلية للعمل بذكاء وعزيمة طبقًا للأوامر أو التعليمات المقتضبة فقط، بل يجب أن يكونوا أهلًا للاضطلاع بمسئولية تجاوز الأوامر الصادرة لهم، إذا دعت الضرورة لذلك، أو تغييرها».

مراجع الكتاب

«قوانين خدمة الميدان.. جزء أول وثاني»

«تعليم المشاة.. جزء أول وثاني»

« «التكتيكات الصغرى» للماجور جبرال السير كليري»

« «معارك الدنيا الفاصلة الخمسة عشر » للسير إدوارد كريزي»

« «مبادئ الحرب» للمارشال فوش»

« «١٩١٤» للفيلد مارشال الايرل فرنش أوف بير»

« «مذكرات» الجنرال يوليسس جرانت، من جيش الولايات المتحدة»

« «رسائل السير د. هايج» للفيلد مارشال الايرل هايج أوف بيمرسيد»

« «جولات أركان الحرب وما إليها» لـ اللفتنانت – جنرال السير هاكنج»

« «عمليات الحرب» للجنرال السير هاملي»

«ستونوول جاكسون» للكولونيل ج. ف. ر. هندرسن»

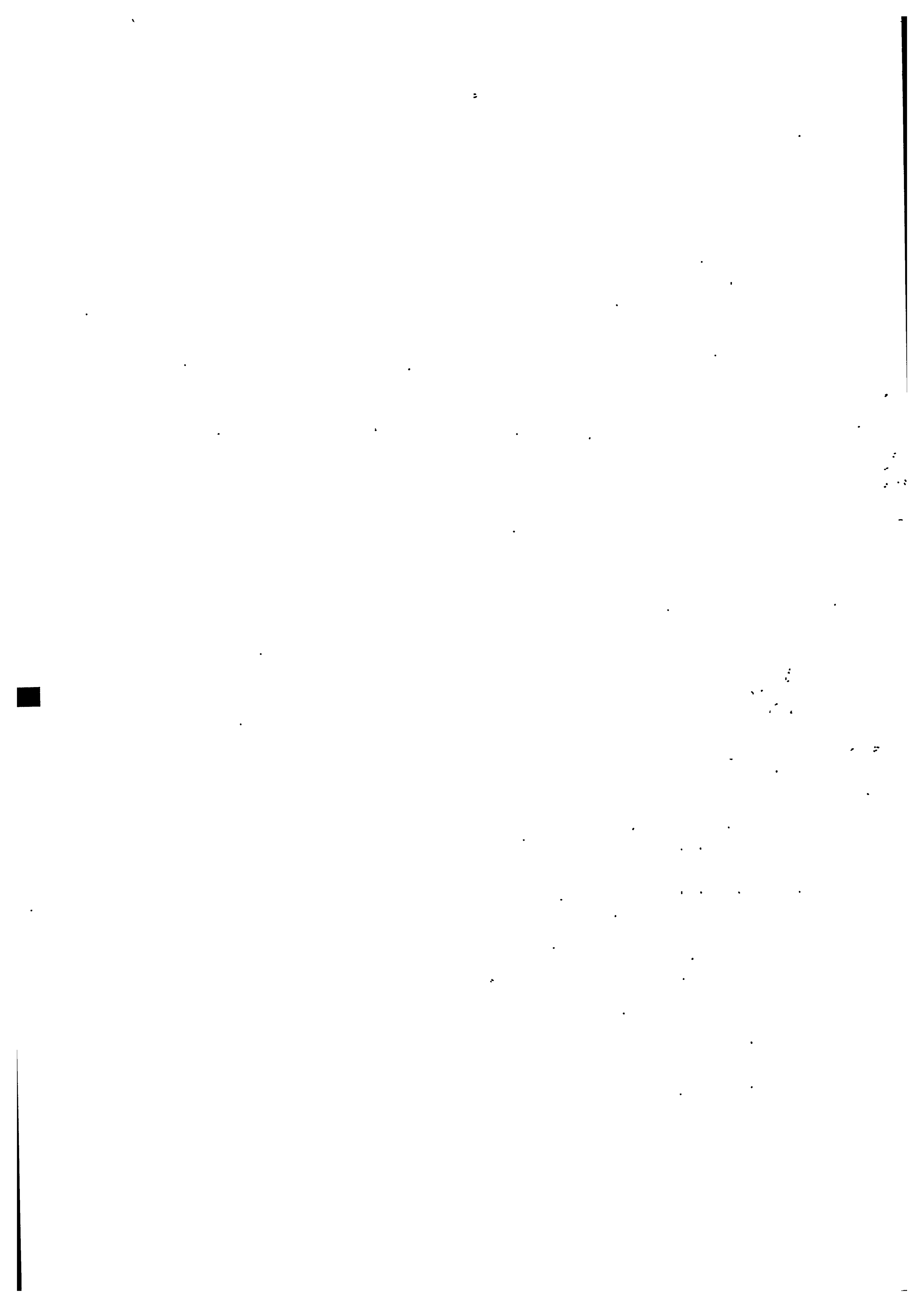
«علم الحرب»« «تاريخ حرب شبه الجزيرة» (إسبانيا) للسير وليام فرنسيس باتريك نابير»

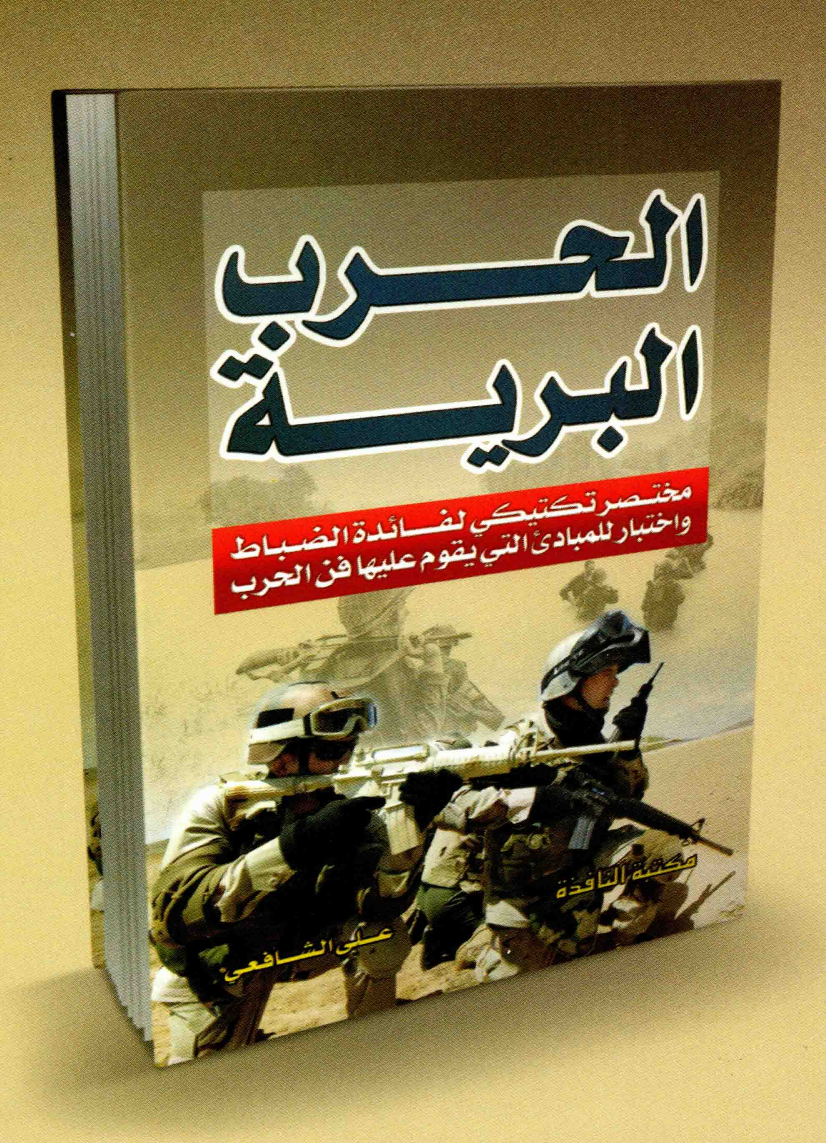
«أول – لوك – وي» راجع «سونتون»

« «المنحنى الأخضر» للميجور جنرال أ . د . سونتون»

«التدمير وإعادة التشييد» للجنرال ر. تيلار من جيش الولايات الجنوبية»

المحتويات





مكتبة النافذة